

بасيل نيكتين

فنصل روسيا سابقا بایران، عضو الجمعية الآسيوية وجمعية علم الإنسان بباريس، عضو المؤسسة العالمية لعلم السلالات البشرية

الكرد

أصلهم، تاريخهم، مواطنهم، عقائدهم، عاداتهم
آدابهم، لهجاتهم، قبائلهم، قضياتهم، طرائف عنهم

طبعه جديدة ومنقحة
قدم لها وراجعها ودققتها:
صلاح برواري

الكتاب والكاتب في سطور بقلم صلاح برواري

كتاب الكرد (*Les Kurdes*) مؤلفه المستشرق الروسي الكبير باسيل نيكيتين (*Basile Nikitine*)، هو بحث اجتماعي وتاريخي هام، وضعه المؤلف عام ١٩٤٣ باللغة الفرنسية في باريس، لكنه لم يتمكن من طبعه وقتئذ بسبب عدم تلقيه المساعدة من أحد لطبعه.

وفي عام ١٩٥٦، وأثر تضافر جهود بعض مشاهير العلماء الفرنسيين، وعلى رأسهم المستشرق الشهير لويس ماسينون (*Louis Massignon*) الذي قدم للكتاب، تم طبع الكتاب في باريس بمساعدة مالية من المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية.

يعتبر هذا الكتاب مرجعاً هاماً لا يستغني عنه أي مهتم بالقضية الكردية وباحث فيها.

صدرت للكتاب حتى الآن ثلاثة ترجمات، الأولى باللغة التركية، والثانية باللغة الروسية (موسكو ١٩٦٤)، والثالثة - التي بين أيدينا - باللغة العربية وقد صدرت عن دار الروائع اللبنانيّة - بيروت، وبطبيعتين: الأولى عام ١٩٥٨ والثانية عام ١٩٦٧. والطبعة العربية للكتاب تعتبر من أسوأ الترجمات، لما فيها من أخطاء

طبعية ولغوية وغيرها، مما يفقد الكتاب الكثير من قيمته العلمية.

وتداركاً للأخطاء الكثيرة الواردة في الكتاب، التي وقع فيها كل من المؤلف والمتجم، من أسماء الأماكن والأعلام والتاريخ، فقد راجعنا الكتاب بدقة وعناية، وصححنا كل ما يمكن تصحيحه من أخطاء، وعلى الشكل التالي:

١- الأخطاء التي أمكن تصحيحها على الكتاب مباشرة، لم ندرجها في جدول الخطأ والصواب، بل صخنها مباشرة، مثل:

- اورمياه: تم حذف الهاء الزائدة، وأبقى على صيغة (اورميا) القريبة من الصيغة الأصلية (اورمي).

- هكاري: تم حذف الياء الزائدة (الأولى) والابقاء على الصيغة الصحيحة (هكاري).

- هماوند: تم حذف الياء الزائدة، والابقاء على الصيغة الصحيحة (هماوند).

- آماديا: تم الابقاء على هذه الصيغة، بسبب تشابهها مع الصيغة الكردية الأصلية (آميدى) أي العمادية.

- بوهتان: تم الابقاء على هذه الصيغة بسبب تداولها

بين الکرد إلى جانب الصيغة المرخّة
المتداولة حالياً (بوتان) أما صيغة
(بحطان) الواردة في بعض مواضع
الكتاب، فقد أشير إليها في جدول الخطأ
والصواب.

- تم حذف الكثير من النقاط الزائدة، الواردة في بعض الكلمات. أما الأخطاء العديدة الأخرى، التي لم نتمكن من تصحيحها على الكتاب مباشرة، فقد أفردنا لها جدواً خاصاً ومطولاً (جدول الخطأ والصواب)، آملين من القراء الكرام الرجوع إليه، وتصويب أخطاء الكتاب على ضوئه قبل مطالعة الكتاب، كي تكون الفائدة أعمّ وأشمل. وبسبب قلة الامكانية المادية يؤسفنا عدم التمكن من إعادة تنضيد الكتاب، الذي تتولى اصدار طبعته الحالية مجلة (آسو - ASO) - الأفق - الکردية (وهي مجلة ثقافية مستقلة تصدر لأول مرة)، ويعتبر هذا الكتاب باكورة منشوراتها.

ختاماً نرى من الضروري إيراد معلومات مقتضبة عن حياة وأعمال المؤلف بأسيل نيكتين:

حياته:

- ولد عام ١٨٨٥م في مدينة (سوسنوتشي) في بولونيا.

- تخرج من معهد لازاريف للغات في موسكو،

متخصصاً في اللغات الفارسية والعربية والتركية. وفي عام ١٩٠٨ انتسب إلى معهد الترجمة، التابع لوزارة الخارجية الروسية في العاصمة سان بطرسبرغ. ومن ثم عمل في القنصلية الروسية في أفغانستان.

- في عام ١٩١١ اجتاز نيكيتين، وبنجاح، اختباراً لوزارة الخارجية، واختير سكرتيراً لقسم الترجمة في القنصلية الروسية بمدينة (رشت) عاصمة إقليم گيلان في إيران.

- في عام ١٩١٥ رقي إلى رتبة نائب قنصل، ومارس مهام عمله الجديد في مدينة (تبيريز) عاصمة إقليم أذربيجان الإيراني. بعدها ذهب إلى مدينة اورميه (ورمي) في كردستان إيران، ومارس عمله هناك بصفة قنصل ولمدة ثلاثة سنوات. وخلال عمله في اورميه، تعلم اللغة الكردية بشكل جيد، وتجول كثيراً في كردستان إيران، جاماً خلال جولاته هذه الكثير من الوراثق والمخطوطات الهامة.

- بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا، لم ترق له أفكار الثورة فترك عمله وغادر إيران إلى فرنسا عام ١٩١٩ (حيث كانت زوجته فرنسية). وهناك عمل، ولمدة ٢٨ عاماً، في فرع البحوث الاقتصادية التابع للمصرف الفرنسي للتجارة الخارجية، مואصلاً إلى جانب ذلك دراساته وأبحاثه المتعددة، حول الكرد والعديد من

الشعوب الشرقية الأخرى، حيث بلغت أعماله الخمسين عملاً، ما بين كتاب وبحث ومقال.

- توفي في باريس بتاريخ ٧/حزيران/١٩٦٠ عن عمر بلغ ٧٥ عاماً.

أعماله عن الكرد:

له أعمال كثيرة عن الكرد والقضية الكردية، منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع بعد. ومن أهم أعماله غير المطبوعة هي ترجمته الفرنسية لكتاب (الراعي الكردي) للبروفيسور الكردي السوفيتي (أ. شمو).

يعتبر كتابه (الكرد) هو الكتاب الوحيد الذي ألفه عن الكرد، أما أعماله الأخرى فقد توزعت بين محاضرات ومقالات وبحوث متنوعة نشرها في المجالات العلمية الفرنسية والإنكليزية والإيطالية والبولونية، وهي :

محاضراته :

١- المواقف الدينية في النصوص الكردية التي جمعها باسيل نيكيتين: محاضرة القاما في المؤتمر الدولي لتاريخ الأديان، باريس ١٩٢٣ ، وتقع في (١٨) صفحة.

٢- محاولة لتصنيف الفولكلور الكردي استناداً إلى التحليل الاجتماعي - الاقتصادي : محاضرة القاما في المؤتمر الدولي السادس عشر للأنثروبولوجيا، بروكسل - ١٩٣٥ .

- ٣- إسهام في دراسة الجماد: رسالة بعثها إلى المؤتمر الدولي السادس لتاريخ الأديان، بروكسل - ١٩٣٥.
- ٤- شهادة كردية عن الجماد: رسالة بعثها إلى لجنة تنظيم المؤتمر الدولي الثاني عشر للمستشرقين، استانبول - ١٩٥١.

بحوثه ومقالاته:

- ١- مشاهدات حول الكرد (١٢ صفحة)، باريس.
- ٢- ولاة اردىان (٢٧ صفحة)، باريس - ١٩٢١.
- ٣- الكرد والمسيحية (٩ صفحات)، باريس - ١٩٢٢.
- ٤- الحياة المترددة الكردية (١٠ صفحات)، باريس - ١٩٢٢.
- ٥- قصة سوتو وتتو (١٩ صفحة)، لندن - ١٩٢٣.
- ٦- نظرة عامة على مناطق الحرب العظمى في شمال غرب ايران (٥ صفحات)، باريس - ١٩٢٤.
- ٧- الاقطاعية الكردية (صفحة واحدة)، باريس - ١٩٢٥.
- ٨- الكرد يتحدثون عن أنفسهم (١٠ صفحات)، باريس ١٩٢٥.

- ٩- من القصص الكردية (١٨ صفحة)، لندن - ١٩٢٦.
- ١٠- أين وصلت الكردولوجيا (٥ صفحات)، نابولي - ١٩٣٢.
- ١١- دفاع الكرد عن المذهب السنّي (٤٤ صفحة)، بولونيا - ١٩٣٣.
- ١٢- ملاحظات حول الكرد (٣٠ صفحة)، لندن - ١٩٣٤.
- ١٣- نظام الطرق في كردستان (٢٥ صفحة)، باريس ١٩٣٥.
- ١٤- المسألة الكردية (١١ صفحة)، باريس - ١٩٤٦.
- ١٥- القصيدة الغرامية الكردية (١٤ صفحة)، باريس - ١٩٤٧.
- ١٦- عن الكرد وبلادهم: بحث للميجرسون، ترجمه نيكيتين عن الانكليزية وعلق عليه وطبعه عام ١٩١٧ في مدينة (اورميه) بكردستان ايران.
- ١٧- مقالات متنوعة وقيمة عن الكرد نشرها في دائرة المعارف الاسلامية ومجلة (افريقيا وأسيا).

المقدمة

*

تحتضن كتلة جبال أرارات عند منابع دجلة والفرات ، ومنذ قرون عدة خلت ، بجموعة من القبائل أثبتت أكثر من مرة عبر التاريخ ، تجانسها الاجتماعي ووحدة لغتها : إنها قبائل الأكراد . ومع أن عدداً كبيراً من الاختصاصيين في الشؤون الكردية ، قد باشروا منذ نصف قرن دراسة منظمة لهذه القبائل ، فإن حقيقة الكردستان لا تزال غير واضحة ، وهذه الدراسة التي يقدّمها متخصص ضلیع من الشؤون الكردية هي أول مؤلف شامل يتناول المشكلة الكردية من جميع أوجهها .

ومع أن الدولة الكردية لم توجد قطّ ، فإن المشكلة الكردية قائمة . وإذا كانت اللهجات التي يستعملها الأكراد إيمانية ، إلا أنها توحّي بوجود عنصر فيها غريب عنها . وإذا كان دين الأكراد هو الاسلام ، إلا أن عناصر قديمة ما تزال تشوب

البيزيدية وأهل الحق والسنّة والشيعة ، وهي عناصر قلّما توافق الخط المستقيم للدين الإسلامي . وقد لمعت بين الجماليات الكردية في سوريا والأناضول والعراق وأرمينيا وفارس ، شخصيات تميّزت عبر التاريخ بقوة خصائصها الكردية المضطهدة ، مثل صلاح الدين الأيوبي . وكثيراً ما عرف تاريخ الشرق رجال سياسة تركاً وعرباً وفرساً يعودون إلى أصول كردية .

وقد تمكن باسيل نيكستين لوجوده في أورمنيا ، وبفضل صداقاته المتنية ، أن يجمع عن الأكراد وثائق مباشرة أفادت منها سجلات علمية غربية عدّة . كما أن المؤلف ، معتمداً على غزارة المكتبة الانكليزية والروسية اللتين تعاظمان يوماً بعد يوم ، في هذا الموضوع ، تناول في فصول كتابه جميع أوجه المشكلة الكردية : فأصل الأكراد وأصول هجاتهم ، وأنماط حياتهم ، وغاذج شخصياتهم ، ومساكنهم ، وتكوين قبائلهم ، ونوع تكتلاتهم ، وتاريخ نشوء فكرة الأمة لديهم ، هذه هي المحاور التي تدور حولها دراسة المؤلف في كثير من التفاصيل الدوّب . وقد عرف المؤلف أين يوقف حدوده عند النقاط الكثيرة التي لا يزال الغموض يكتنفها ، حتى ليظهر بوضوح كم أشبع المشكلة درساً وتحيضاً .

ومن خلال العرض الذي قدّمه المؤلف – وهو على حقٍّ – لاتساع الأدب الشعبي لدى الأكراد ، هذا الأدب الذي يفيض حيوية وإن كان لما ينضح بعد ، يمكننا أن نستشعر طلائع تجدد

إنساني بامكان الأكراد الجيلين الذين سبق أن تحالفوا مع
الأتراك السلاجوقيين لاحتلال الأراضي ، أن يبعثوه ثانيةً في
الدول المجاورة لهم ، خصوصاً إذا ما سوّيت بعض الخلافات
القائمة .

لويس ماسينيون

أيار ١٩٥٨

مقدمة المؤلف

*

من هم الأكراد؟ وما الفائدة من دراسة تاريخهم ومجتمعهم؟
إن غايتنا هي أن نقدم للقارئ خلاصة جميع الدراسات التي
وضعت حتى الآن عن الأكراد كي يكون على اطلاعٍ على
حقيقة إحدى بقاع آسيا ، هذه القارة الشاسعة التي تستفيق
اليوم من رقادها في انتفاضات قومية وثورات اجتماعية متلاحقة .
فالأكراد يشكلون عنصراً هاماً في آسيا ويلعبون دوراً رئيسياً
في تطورات الشرق السياسية والاجتماعية والروحية .

وقد لزمنا جانب الحياد في دراستنا هذه إذ لا يجوز لإنسانٍ
ما أن يدين شعباً ويقاضيه لحفوته . فلا يتسرّ عنّ القارئ فيظن
أن الأكراد قومٌ من السفاحين مجرد أنهم كتبوا صفحة سوداء في
تاريخهم عندما قاموا بدورٍ فظيع في اضطهاد الأرمن في أواخر
القرن الماضي . وإنما على الباحث أن يكتفي بشرح أسباب حوادث

التاريخ وظروفها ، وأن يدرس نشوء الشعوب وتطورها الاجتماعي والسياسي .

وتاريخ الأكراد طويل معقد . ودراستنا هذه ليست سوى لحةٍ خاطفة عنهم ولكنها تستند إلى أحدث ما توصلت إليه علوم التاريخ والآثار والسلالات والانسان واللغة .

ويعتز المجتمع الكردي بنظامه العشائري وروحه القبلية . فالأكراد يعيشون جماعاتٍ في منعزلٍ عن المجتمع المحيط بهم ، فتراهم يُشكّلون دولةً وسط دولة حتى في المجتمع السوفييفي نفسه . وهذا هو سبب الاعتقاد السائد بأن الشعب الكردي هو عنصرٌ فرضيٌ وشغب .

والكردي فخورٌ بأصله ونسبة مخلصٍ لرئيسه يضحي بدمه فداءً لبني قومه . وهو فارسٌ شجاعٌ يحب الحرب وتروق له الملابس الزاهية الألوان . أما في حياته العائلية فهو أبو حنون وزوج مخلصٍ يكرّم امرأته وأولاده . وفي أوقات الفراغ يحب الكردي الغزل والغناء والأنشيد الحربي . إنه قاسٍ مع القريب ولكنه قاسٍ أيضاً مع نفسه وهو ثارةٌ عنيدٌ وثارةٌ محتالٌ إنما هو دائمًا شديد الذكاء كثير الحماسة سريع الغضب . يحب الطبيعة وما فيها من جبالٍ ووديانٍ ، ومياهٍ ومرروجٍ . ولا عجب في ذلك فالطبيعة مرعى لمواشيه التي تكون ثروته الرئيسية . أما في حقل الدين فالكردي يضع مصلحة القبيلة في منزلةٍ قبل فروضه الدينية ، غير أن ذلك لا يصرفه عن الروحانيات والتمسك بالمعتقدات . ويتجلى التراث الفكري للأكراد في الغناء الشعبي – الفولكور – وليس

في الأدب المكتوب .

، ولا يخفى أن المشكلة الكردية قد طرحت على بساط البحث منذ الحرب العالمية الأولى ، وأن هدف الأكراد هو إنشاء وطنٍ قومي لهم . ولقد عقدوا الآمال على منظمة الأمم ، ولكن تحنيط الحدود لم يلب مطالبهم القومية إذ شتت شملهم بين عدة دول .. وكانت خيبة الأمل هذه سبب استيائهم الشديد الذي عبروا عنه بعدة ثورات دامية .

ولا يسعنا أن نتكمّن عما يخبئه المستقبل ، ولكن من الواضح أن وضع الأكراد كأقليات سياسية متفرقة ، هو سبب تذمرهم وثوراتهم . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنهم يزدادون وعيًا ، فإننا نتساءل إذا كانت هذه البقعة من العالم ستعرف الاستقرار يوماً !

ومنطقة الكردستان لها أهمية جغرافية واقتصادية كبرى ، فهي إحدى الصلات بين الشرق والغرب وفيها تتفجر ينابيع غزيرة من النفط الحيوي للعالم . فمن مصلحة العالم كله أن يسود السلام في هذه المنطقة . ولا شك أن الضمير العالمي يودّ ويعمل على أن تسود مبادئ العدل ومبادئ حقوق الإنسان .

إني أشكر من صميم فؤادي جميع المستشرقين والباحثين الذين ساعدوني في دراستي هذه وأقدم لـ إكرامي الخاص إلى العلّامة لويس ماسينيون الذي شاء أن يكتب مقدمة كتابي .

فِيْلِهِ وَإِلَيْهِمْ جَمِيعاً أَنَا مُدِينٌ بِعِرْفَانِ الْجَمِيلِ .

بِاسْلِيلِ نِيكِيتِين

ملاحظة : إني أقدر فضل أعضاء اللجنة الفرنسية للأبحاث
العلمية « C.N.R.S. » الذين ساعدوني في الحصول على منحةٍ ماليةٍ
كي أقوم بطبع هذا الكتاب ونشره .

المؤلف

الفصل الأول

أصل الأكراد ومميزاتهم اللغوية والانسانية

*

نسبة المقاييس

إن البحث عن أصول شعب ما يطرح مشكلة دقيقة جداً ، خصوصاً في مثل حالة الأكراد ، ذلك أن الشواهد التاريخية يحوزها التباسك ، ويتعذر في بعض الحالات التثبت منها . فلكي نصوّر هوية شعب ما ، ننجاً في الغالب إلى مقاييس معينة مثل التسمية والعرق واللغة ، دون أن نقتصر بالقيمة المطلقة لهذه المقاييس . وفي الواقع إن التسمية وحدتها لا تسمع بأي استنتاج مرض فيها يتعلق بالشعب الذي يتسمى بهذا الاسم أو ذلك . بالنسبة للشعب الفرنسي ، مثلاً ، إذا ما اعتمدنا فقط على تسميته دون أن تتأكد من سوابقه التاريخية ، أمكننا الافتراض بأن هذا الشعب يعود إلى أصلٍ جرماني . كذلك

بالنسبة للروس ، فتسمية الشعب الروسي المشتقة من السكندينافية ، قد تضلنا . إذا لم نكن نعلم أنها – أي التسمية – تشير إلى طبقة مسيطرة من زعماء « الفريغ » اتخذ الشعب السلافي تسميتها منهم . والشعب البلغاري اليوم لا صلة تجمعه بأجداده الطورانيين الذين كانوا يعيشون حياتهم البدائية على ضفاف الفولغا . ومثل ذلك أيضاً الشعب الروماني الذي اتخذ تسميته من بعض الفرق الرومانية التي كانت في بلاده ، والتي لم تكن تتألف من لاتينيين فقط . وعلى ذلك قس جميع الشعوب . وما يصح بشأن التسمية يصح أيضاً بشأن الجنس واللغة ، إذ يستحيل علينا أن نحدد بدقة عناصرها الصافية ، والحقيقة بأن تصبح عوامل مقارنة بين شعوب وُجِدت في مطلع التاريخ . وعدا ذلك فإن مهمة عالم اللغة تبدو أكثر سهولة ، إذ غالباً ما يتمكن من إرجاع الكلمة إلى أصلها الأولي ، بالإشارة إليه . وبالمقابل ، فإن عالم « الأنثروبولوجيا » لا يستطيع أن يستخلص النموذج الابتدائي لإنسانٍ تحدّرت منه ذرّية ، بالإضافة إلى أن عالم الآثار لم يكن حتى الآن ليقدم للأنتروبولوجيا كل المساعدة المنتظرة (١) .
 ويقدم لنا فن النحت بصورة خاصة خاتمة نبذة عن الإنسان الأولي ،

(١) أني لأشعر بالخنق الشديد كلما فكرت بعلماء الآثار الذين استخرجوها من تربة آسيا الشرقية كل هذه الآثار العملاقة الرائعة ، غير أنه لهم يأبهوا إطلاقاً للبقاء الإنسانية التي كانوا يعيشون عليها ! إنها ببريرية علمية اقترفها رجال يدعون أنهم « رجال علم » (عن كتاب الأجناس مؤلفه أ. بيatar ، صفحة ٣٨٨) .

غير أن علم مقاييس الجماجم لا يتفق مع هذه النتائج . والخلاصة أن جميع هذه المقاييس نسبية ، ففي بعض الحالات يصعب قياس التطور الدقيق لشعب ما في دقائق حياته وتصرفاًه الأولية كما ترويها المذكرات ، بقدر ما يصعب علينا ، من خلال ملامح رجلٍ ناضج ، أن نتبين معالم وجه طفولته . من المؤكد أننا قد نجد بعض التشابه ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن رائدنا في هذه الحالة هو قناعتنا المسبقة بأننا نجاه شخص واحد . غير أن الحلقات التي تربط بين شعبٍ كهذا نعرفه الآن ، وبين ما ندعى له من صورة ابتدائية ، غالباً ما تكون غير كافية لأن توحى بالشبه .

من هم الكردوخيون

لقد نقل لنا التاريخ عدة أسماء تُشبه في لفظها اسم الشعب الكردي ، فاستند إليها الباحثون في بناء الفرضيات أو في نقضها .

حدثنا المؤرخ الإغريقي كزينوفون عام ٤٠٠ ق . م . عن الكردوخيين وهم شعبٌ عاش في منطقة الكردستان . وكان الاعتقاد السائد أنهم أجداد الأكراد . فهم جيليون فرسان مثلهم ، يقطنون نفس البلاد ولم اسم شبيه باسمهم . ولكن أصحاب بعض المستشرقين أمثال نولد كي في كتابه عن الأكراد ، وهارقان وويساخ أثبتت أن لفظة كردي ليست لغوية من صيغة لفظة كردو التي تعني : « قويًا كالبطل » . ويرى هؤلاء

العلماء أن الأكراد ينحدرون من السرتين الذين ذكرهم ستراابون وغيره من المؤرخين وقد كانوا يسكنون بلاد ميديا الصغرى وبلاد برسيس . ثم إن العلامة ليهمان بوت وهو من أشهر الباحثين المختصين بالموضوع ، أثبت في كتابه عن أصل الجيورجيين أن الكردودخين هم أجداد الجيورجيين - الكرتقاليين « سكان جبال القوقاز اليوم » وأنهم كانوا يقطنون المنطقة التي يلتقي بها الفرع الشرقي من دجلة وهو بوهتان سو بالفرع الغربي . فالشعب الكردي إذًا لا يمت بصلة لشعب الكردودخ . وقد برهن العلaman نولدكي وهارغان أن الأكراد أتوا من بلاد فارس واستوطنوا نفس المنطقة .

ولقد سبق العالم الروسي مار العلامة ليهمان فيَّ أن الكردودخين هم أجداد الجيورجيين ، غير أنه لم يستبعد أن يكون لهم صلة قوية تربطهم في الأصل بالأكراد وبالكرت . وبالواقع فإن بعض الكلمات الكردية تشبه بعض الكلمات الكرتية . فكلمة « أم » مثلاً هي في اللغة الكردية دِيدَا أو دِيَا ، وفي اللغة الكرتية أيضاً ديداً أو دِيَا .

وسواءً أصح التقارب لغوياً بين الكردودخين والأكراد أم لم يصح ، فمن الثابت أن لفظة كَرْد موجودة في كثير من الأسماء المحلية . فالآراميون كانوا يدعون هذه المنطقة « بيت كردو » . أما الأرمن فيسمونها كَرْدُوك . والعرب يدعونها بـ كَرْدا . وهناك فرضيات كثيرة عن أصل الأكراد تُستمد براهينها من الأسماء التاريخية في تلك المنطقة . ففضلاً عن الكردودخين

الذين تكلم عنهم المؤرخ الاغريقي كزينوفون ، فقد سكن تلك المضاب بين القرن التاسع والقرن السادس قبل الميلاد - وهي الفترة التي سبقت بجيء الأرمن - الحلذيون الذين يدعون أيضاً أورانو . غير أن القليل الذي نعرفه عنهم لا يفيدها شيئاً في إيضاح أصل الأكراد . إنما نعلم أن لغتهم لم تكن هندية - أوروبية بل كانت تشبه اللغات الكررتقالية . أي أنها تختلف تماماً عن لغة الأكراد الحالية التي أثبت العلم أنها لغة إيرانية من أصل هندي أوروبي .

وكان العلماء يظنون أن الأكراد هم أنسباء الكلدان سكان بابل . وقد أثبت العلامة ليهمان أن الكلدان هم شعب سامي لا علاقة لهم بالحلذين . ويشير كتاب العهد القديم إلى أن الكلدان قد سكنا منطقة كردستان الشرقية . وذكر ذلك مار كوكولو في معرض كلامه عن الكلدان ، وقال أيضاً : إن هناك شعباً كردياً مسيحياً يسكن في جبال الموصل . وهكذا ساد الرأي في العصور الوسطى أن الأكراد ينحدرون من أصل كلداني .

وفي القرن الثامن عشر كان كبار المؤرخين وعلماء اللغة يعتقدون بصحة ذلك رغم أن المبشرتين غارزوبي وسالدينه قد بينا العلاقة الوثيقة بين اللغة الكردية واللغة الفارسية الحديثة . ولقد أثبت العلم الحديث أن اللغة الكردية هي حتماً إيرانية الأصل . فالأبحاث التي قام بها العلماء في القرن التاسع عشر عن بلاد كردستان وعن الأكراد ولغتهم والمعلومات التاريخية

الأكيدة عن قبائل الأكراد وعن هجاتهم ومعتقداتهم قبل صدر الإسلام ، كل ذلك أظهر أن النظريات السابقة عن أصل الأكراد كانت خاطئة . فعلماء اللغات وبالأخص بوت وروديجار قد دحضوا النظرية القائلة بأن اللغة الكردية هي كلدانية الأصل، وأثبتوا علاقتها باللغة الفارسية الحديثة وباللغة الزندية وهي أم اللغة الفارسية .

وقد برهن العالم الروسي «كونيك» استناداً إلى وثائق تاريخية أن هناك عرقياً وثقياً بين الأكراد وبقية الشعوب المتقدمة التي سكنت قديماً في آسيا الوسطى . ثم إن الصلة بين اللغة الكردية واللغة الإيرانية كانت حجر الزاوية في بناء نظريته القائلة بأن الأكراد هم من أصل آري كلايرانيين وغيرهم من شعوب آسيا الصغرى . ولقد شاركه في رأيه هذا رينان ودورن ولرش .

نظريّة مينورسكي

عرض العلامة مينورسكي نظريته هذه في المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي عُقد في بروكسل عام ١٩٣٨ . ويرى هذا العلامة أن الأكراد ينحدرون من البحتانيين . ولقد ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت أن البحتانيين كانوا يُشكّلون مع الأرمن السبط الثالث عشر من أمبراطورية الفرس .

ويثبت مينورسكي نظريته استناداً إلى لغة الأكراد وإلى طريقة حياتهم ، فيرى أن لغتهم رغم تعدد هجاتها هي إيرانية

الأصل ، إنما تأثرت باللغة الميدية ، وهي لغة ميديا الصغرى
التي تضم مقاطعاتي أذريجان وأدروباتين .

وقد درس مينورسيكي تاريخ المنطقة التي تقع جنوب بحيرة
أورميا والتي كان يتنازعها الأشوريون وشعب أوراتو في القرن
الحادي عشر قبل الميلاد . فتبين له أن قبائل عددة قد سكنتها منهم
الفرس والميديون . وفي الواقع فقد نزح الفرس عام ٧١٤ ق.م .
نحو الجنوب ومدّ الميديون سلطانهم على المنطقة كلها إلى أن
أتى المانيون المطبوعون بالطابع الإيراني ثم الساسيون وهم من
أهل إيراني بخت . وعند انهيار مملكة أشور وسقوط نينوى
عام ٦١٢ قبل الميلاد حصل فراغ في المنطقة لم يلأه سوى وصول
قبائل إيرانية جديدة استوطنت شرق دجلة أي في وديان
الكردستان ، واختلطت بعدئذ بقبائل المارد والكريتيفي
وهي على الأرجح قبائل مانية . ويؤكد مينورسيكي مستندًا
إلى الأسماء الجغرافية أن القبائل الكردية والكريتية قد توسيعت
وامتدت من بحيرة أورميا حتى بوهتان وأوست في القرن الرابع
قبل الميلاد إماراة كردية هي إمارة مهكيرت . وخلاصة رأي
مينورسيكي أن الأكراد هم مزيج من قبائل عديدة منتقلة
وليسوا من دم واحد ومن أرض واحدة .

نظريّة العلامة مار

يصر العلامة مار على رأيه بأن هناك قرابة بين الأكراد
وشعب الكردونخ والكريتفل . ويفسر كون اللغة الكردية

الحالة من أصل إيراني بأن الأكراد قد استعوا عن لغتهم الأصلية بلغة جديدة إذ أحلوا العنصر الآري محل العنصر الجافتي ويستشهد على ذلك بخبر تقليدي يتناقله الأكراد فيقولون إنهم تركوا لغتهم القديمة واعتبروا اللغة الجديدة . وقد ذكر المسعودي هذا الخبر في كلامه على الأكراد ثم نقضه قائلاً : «إن لغة الأكراد الأصلية لم تكن سوى اللغة العربية ! » وقول المسعودي هذا لا يتلامم طبعاً مع ما افترضه العلامة مار .

إن مار لا ينكر أن عادات الأكراد صلة كصخور بلادهم وأنهم يحافظون دائمًا عليها . فاعتقادهم باليزيدية مثلًا هو اعتقاد قديم راسخ له جذور حتى في أرمينيا نفسها . والعادات الدينية التي حافظوا عليها تشبه تماماً الحياة الدينية في جيورجيا . ورغم ذلك فهو يُسلّم بأنهم غيروا لغتهم وينسب هذا التغيير إلى التطورات الاجتماعية وحدها .

ويقول العلامة مار إن الأكراد شعبٌ أصيل سكن جبال آسيا الصغرى حيث تكونت لغته وتطورت من أصلها الجافتي القريب من اللغة الجيورجية والخلدية إلى أن أصبحت لغة هندية أوروبية قريبة من اللغات الإيرانية والأرمنية ، وفيها بعض عناصر تركية . وتتفق نظرية مار مع نظرية مينورسكي في قوله إن اللغة الكردية أثناء تطورها قد تأثرت باللغة الميدية .

أما مانا إذن نظريتان عن أصل الأكراد : الأولى تقول بأن أصلهم إيراني وأنهم رحلوا في الجيل السابع قبل الميلاد من جنوب بحيرة أورميا نحو بوهتان ، بينما ترى النظرية الثانية أنهم شعبٌ

أصل لا ينعدر من أصل إيراني إنما هم أنسباء للخلدين والجيورجيين والأرمن وقد استبدلوا لغتهم الأصلية باللغة الإيرانية . وتفق النظرitan في بعض النقاط . فكلتاها قُسْلَهان بأن لغة الأكراد قد تأثرت شهلاً باللغة الأرمنية وباللغة الماردية ، إنما طفت عليها لغة القبائل الإيرانية في الجنوب فاعتبرها الأكراد نهائياً وهم يتكلمونها حتى اليوم .

ما هو رأي الأكراد في أصلهم ؟

إن أهم وثيقة تاريخية تعبر عن رأي الأكراد في هذا الموضوع هو كتاب «شرف - نامه» وقد كتبه باللغة الفارسية أمير شرف خان بدليسبي عام ١٥٩٦ . ويروي مؤلفه أسطورة الطاغية «زهاق» ويزعم أنه كان ملكاً إيرانياً أصابه داء غريب وهو أن نبت له في كل كتف أفعى . ولم يستطع الأطباء شفاءه فنصح له إيليس كي ينحفف من حدة ألمه أن يستعمل مرهمًا من دماغ أحد الشباب . فأمر بتضحية شابين يومياً . ولكن الجلاد كان حنوناً فكان يضحي شاباً ويرحم الثاني مستعيناً عن دماغه بخ خروف . وهرب الشباب الناجون سراً واحتلوا في جبال نائية لم تدستها قدم . وهناك ثموا وتكلذروا إلى أن أصبحوا شعباً هو الشعب الكردي الذي يعيش من الزراعة وتربية الماشية ويُعرف بالبسالة والشجاعة . وقد زعم بعض الكتاب العرب القدامي أن الأكراد هم أبناء الجن . أما الكتاب الأكراد المعاصرون ومنهم محمد علي عوني والسيد حسين حسني فقد حاولوا أن يرهنوا بأنهم من أصل هندي أو روسي

كالإيرانيين أنفسهم . وبرهانهم يستند إلى كون لغتهم لغة إيرانية .

ماذا يبرهن علم السلالات البشرية ؟

لقد أظهر علم السلالات البشرية أن أكراد الشرق هم غير أكراد الغرب . فالكردي الشرقي يشبه تماماً الإنسان الفارسي في لونه الأسمر وفي شكل جسمته وهي من نوع *brachycéphale* . أما الأكراد الغربيون فهم مختلفون عنهم بلونهم الأشقر وعيونهم الزرقاء وشكل جسمتهم وهي من نوع *dolichacéphale* . وقد أثبتت ذلك دراسات العالم فون لوشان الذي يعتقد أن هؤلاء ينحدرون من شعوب أوروبا الشمالية .

أما هيئة الأكراد الخارجية فقد وصفها الكاتب سوان الذي عاش زمناً طويلاً بين الأكراد قال :

إن الأكراد في الشمال طوال القامة صغار الفم بنيتهم نحيفة ووجهم بيضوي وأنفهم طويل معقوف . يربون شوارب طويلة ويحلقون ذقنهم بلا استثناء . يغلب فيهم اللون الأشقر والعيون الزرقاء والبشرة البيضاء .

أما في الجنوب فالأكراد هم بنوع عام أقل رشاقة ووجهم أكثر عرضاً . وهم صفات أهالي الجبال : فجعلتهم على العمل عظيم وملامح وجوههم تتم عن الحزم والكبرياء . وبشرتهم صافية تخالما بشرة إنسان انكلو سكروني » .

ولكن إن جاز هذا الوصف على بعض الأكراد فلا يجوز عليهم
جيعاً . فأغلبهم أقرب إلى الساميين منهم إلى الانكلوسكون .
وفي الواقع لقد بحثت دراسات الدكتور هامي أن الأكراد هم
مزبور شديد الاختلاط يتميز بعضهم عن بعض بين قبيلة وأخرى .
وخلاصة القول أن أصل الأكراد غامض معتقد لم يتم
الاتفاق عليه بعد بين علماء التاريخ ، ولا يزال الميدان واسعاً
للدراسات والأبحاث والنظريات في هذا الشأن .

الفصل الثاني

أين تقع بلاد الـكردستان؟ معنى هذا الاسم
ومدلوله التاريخي والجغرافي

*

كلمة كردستان في تاريخ الشرق

إن لفظة كردستان تعني بلاد الأكراد . وهي منطقة واسعة لا حدود سياسية لها ولا وحدة قومية تجمع بين سكانها . وقد أطلقها سنجار وهو آخر ملوك السلاجوقيين على إحدى مقاطعات مملكته وذلك في القرن الثاني عشر بعد الميلاد . وكانت هذه المقاطعة تضم عدة ولايات يفصل بينها سلسلة جبال زغروس . ففي شرق هذه السلسلة تقع ولايات همدان ودىـنـتـور وكرـمـشاـهـان . وفي غربها تقع ولايتها شهر زور وسنـجـار . أما عاصمتها فكانت

قلعة» هي قلعة بَهار^١ الواقعة شرقي همدان . وكانت هذه المنطقة قبل القرن الثاني عشر تُدعى «جبل الجزيرة» أو «ديار بكر» . وأول مؤرخ ذَكَرَ كلمة كردستان هو القزويني في كتابه المسنن «نزهة القلوب» سنة ٧٤٠ هجرية أي في القرن الرابع عشر لليلاد .

ويحدّ هذه المقاطعة شمالاً مقاطعة أذربيجان ، وغرباً العراق العربي ، وجنوباً مقاطعة خوزستان ، وشرقاً العراق الفارسي . وكانت مقاطعة كردستان تضم ستة عشر قضاء إدارياً .

وقد أجمع المؤرخون الشرقيون على أنَّ القسم المدعو الكردستان الفارسي لم يكن سوى جزء من مقاطعة أطلق العرب عليها اسم «مقاطعة الجبال» . أما القسم الآخر من كردستان وهو يقع اليوم ضمن حدود تركيا وال العراق ، فيُعرف باسم ديار بكر . ولكن بعد غزوة المغول المعروفة لم يعد الكردستان الفارسي يتضمن سوى المناطق الجبلية .

وفقدت العاصمة «بَهار» من أهميتها بعد موت جنكيز خان فاختار خلفاؤه مقرًا آخر لهم في قلعة «سلطان عباد الجمجمة» . وفي القرن الخامس عشر فقدت مقاطعة كردستان معظم أجزائها إذ استولى الفرس على ولاية همدان ولوستان . ولم يبق من الكردستان الفارسي سوى ولاية أردىان مع عاصمتها سندوج . وفي أوائل القرن السابع عشر أطلق العثمانيون اسم «كردستان التركي» على إحدى ولاياتهم التي كانت تشمل لواء درسيم ولواء موش ولواء ديار بكر . أما الجمهورية التركية الحالية فلا تعترف

بوجود العنصر الكردي بل تطلق على الأكراد إسم «أتراك الجبال».

الكردستان في الجغرافية الطبيعية

لقد درس العالم السوفيافي مينورسكي جغرافية آسيا الوسطى والصغرى فلفت نظره نقطتان هامتان وهما : أولاً جبل أرارات ، ثانياً خليج الاسكندرية .

ففي جنوب أرارات تتدلى سلاسله ضخمة من الجبال تتجه جنوباً على مسافة ألفي كيلومتر ثم تشعب وتعزف نحو الجنوب الشرقي حتى الخليج الفارسي . وتقع جبال الأكراد بين أرارات وجبل جلاميرغ . وتحدها شمالاً قمم جبلية أرمينيا وجنوباً هضبة أذربيجان وهي أقل علواً من جبال الأكراد ، ثم هضاب بلاد فارس وهي شاهقة العلو . وهكذا ، فإن جبال الأكراد مع بحيرة أورميا تشكل شبه منخفض محصور بين قمم أكثر منه علواً . وفي الواقع فإن ارتفاع حوض بحيرة أورميا يتراوح بين 1220 متراً و 1400 متراً .

أما خليج الاسكندرية فهو نقطة انطلاق لسلسلتين من الجبال ، سلسلة طوروس الشمالية وسلسلة طوروس الجنوبيه . ولهذه الجبال أهمية كبرى لكونها خزانات للمياه يغذي أنهار دجلة^١ والفرات والزاد وهي شرائين حيوية لهذه البقعة من العالم .

(١) على الضفة الشمالية من دجلة يرتفع جبل «جودي داغ» ويمتد معظم السكان من مسلمين ومسيحيين ويزيديين أن سفينة فوج قد رست على

وتقع جبال زغروس في الجنوب الشرقي من أرمينيا وهي تشكل الحدود الطبيعية بين إيران والعراق ولا يفصلها عن أرمينيا سوى جبال صر كيرامار . ويعزى الجغرافيون الإيرانيون في جبال زغروس ثلاثة مناطق هي :

الأولى : منطقة كردستان المكري وتبلغ أعلى قمة فيها ٣٢٠٠ متر وهي تتضمن حوضي مياه : حوض بحيرة أورميا وحوض دجلة مع رافده الراين الأصغر .

الثانية : منطقة كردستان الكرمنشاهاني وتعرف باعتدال ارتفاعها وقد كانت ممراً لجيوش داريوس ملك الفرس ثم لجيوش الاسكندر ذي القرنين . وتحتوي على بعض الوديان والسهول الخصبة وترويها مياه نهر غمزاب - ونهر كراسو . وتردّر فيها مدينة كرمشاه وسكانها حضر على عكس سكان الجبال البدو الرعاة .

الثالثة : منطقة أرداان المعروفة بالكردستان الفارسي ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب مترين كيلومتر تقريباً ويحدّها شهلاً منطقة ساينكلا ، وغرباً منطقة السليمانية وكركوك ، وجنوباً وادي نهر الديالا ، وشرقاً نهر وهمدان وتشكل أرداان محافظة هامة خصبة تسقيها أنهر عدة منها نهر كيزلوزن . وتكثر كثافة

قامته . وقد بنوا مزاراً كبيراً يمدون إليه كل عام في شهر آب ويختلفون مما يبعد نوح طوال ثلاثة أيام . ومن الأساطير الطريفة التي يرويها اليزيديون والمعروف أنهم يكرمون الأنفاعي أن نوح قد بنى سفينته في قرية عين سينا الواقعة على بعد ستين كيلومتراً من الموصل قرب مدينة بدريدة ، وكان يتحمل هذه الناس وسفرتهم إلى أن أتى الطوفان وبدأت المياه تتسرب إلى السفينة من ثقب في أسفلها فأسرعت الأفعى وسدّته برأسها .

سكنها في السهول والوديان .

المنطقة التي يسكنها الأكراد حاليا

لقد تبين لنا من هذه الكلمة الجغرافية أن أول ميزة لبلاد الكردستان هو طابعها الجبلي . ففي هذا الاطار الطبيعي نشأ الشعب الكردي فبني مساكنه في أعلى القمم وسفوح الجبال وفي أحضان الوديان . وقد بدأ نشأته على الأرجح على ضفاف أنهن بوهتان والخابور والزاب الأكبر ثم اتشر بعد ذاك في هضبة أرمينيا وفي الكردستان التركي وجبال إيران الغربية .

ويعيش الأكراد اليوم على أراضٍ شاسعة تبدأ قرب بغداد عند ضاحية « مندي »، وتقتد شمالاً على طول الحدود العراقية والإيرانية ثم على حدود إيران وتركيا حتى جبل أرارات . وهي تشمل منطقة القوقاز السوفياتية أي مقاطعات أرمينيا وأذربيجان .

وكان عدد الأكراد كبيراً جداً في القسم التركي من أرمينيا . غير أن السلطات العسكرية التركية قد عملت على إجلائهم في عهد أتاتورك في عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ . فقد نفت منهم إلى بــ الأناضول أكثر من مليون شخص من رجال ونساء وأطفال ودمرت مدنهم وقراهم عن بكرة أبيها . ويعيش قسم كبير من الأكراد في سهل الجزيرة خصوصاً على الضفة الشرقية من الفرات . ونجد كثيراً من الأكراد مشتتين غرباً وشرقاً في فيليقينا وقرب قزانيا وفي خراسان حيث جمعهم الشاه عباس الكبير ، ثم قرب قزوين وفي مقاطعة

فارس حيث نقلهم نادر شاه عام ١٧٣٦ - ١٧٤٧ ، ويقطن بعضهم
في مزنديران .

ويكمن القول أن الكردي لا يحب مفارقة الجبال . وفي الواقع
نرى العنصر الكردي يتخلص في السهول وعلى ضفاف البحيرات
متراجعاً أمام العرب والأتراك والفرس والأرمن .

الفصل الثالث

نمط الحياة ، المشاغل ، والعادات

*

ينقسم الأكراد إلى حضر وإلى أنصاف بدو . ويتفاوتون بالفعل عدد البدو منهم بصورة مستمرة ، ليتحولوا شيئاً فشيئاً إلى أنصاف حضر . وهم يقطنون السهول في فصل الشتاء في بيوت من اللبن ويزرعون الأرض في الربيع . وعندما يأتي الصيف يعودون مع قطعانهم إلى المراعي العالية في الجبال ، بعد أن يتركوا بعض رجالهم في الحقول ليحرسواها . وتكون هذه المراعي أحياناً قرب المناطق التي يقضون فيها فصل الشتاء . وتم عملية الانتقال في الأغلب على مسافات واسعة ووفق خطوط مسيّرة مرسومة منذ أجيال كثيرة هي الحال بالنسبة للقبائل التي تشتت على سفح جبل زغروس الغربي ما بين النهرين . وفي الشتاء تصعد الجبال حتى حدود

فارس ، بل وإلى داخل فارس ذاتها .

المجرات الكردية الموسمية

يصف لنا الضابط ديكسون هجرة قبيلة « هريكي » التي تشتهر في شهاب منطقة ما بين النهرين فيقول : « إنهم يمتازون نهر الزاب الأكبر قرب زيار ، حيث يینون كل عام جراً للانتقال فوقه »، وهذا ما يستغرق منهم بعض الوقت ويضطرهم لأن يكونوا على علاقات طيبة مع أكراد المنطقة ، من أتباع الشيخ بوزان ، وإلا فإن هؤلاء ينعونهم من اجتياز النهر . ثم يسلكون الطريق العليا فوق « تجيبي بيلندا » وينحرفون نحو الشرق متبعين مسالك وادي شمدينان سو — راقد الزاب الأكبر — في قافلة طويلة من الرجال والبغال المحملة والخيل والمواشي . وتصبحهم قطعان من الغنم ترعى على مسافات قرية منهم عند المنحدرات ، فيها يتولى حراستها رعيان مسلحون ومتعرّرون في القمم . وعندما تصل القافلة إلى محاذاة نهر أورامارسو ، تقسم إلى شطرين ، أحدهما يصعد في وادي « سات » ، والثاني يتوجّل في وديان هريكي وبستانار ، في مسيرة يطويه متعرجاً على مراحل عدّة حتى يصل إلى أعلى السفح في شمال « سات داغ » . وينطلق أفراد هذه القوافل في سفرهم أحراضاً لا تقدم أنظمة كأنهم قبضات غل تُرشّقت هنا وهناك ، فتشاهد هنا عائلتين أو ثلاثة تفصل عن الجموع فتضطحب كل ما لديها من أمتعة وخيم وبساط وسلال وأكياس قمع وملابس ... وهناك ترى نعجة مريضة تُرفع على ظهر إحدى الدواب . والنساء في ثيابهن

المهللة يجررن أقدامهن بتعب ظاهر ، وكل واحدة منهن تحمل على ظهرها جراباً يحتوي على مجموعة حاجات غريبة من أسرة الأطفال ، والأواني المنزلية ، وأوعية الحليب وعدة الشاي ، وفوق كل ذلك الطفل الرضيع الذي لا بد منه ليكتمل المئاج ! وبين هذا وذاك تقع العين أحياناً على صندوق كبير فاقع الألوان : إنه ملك الآغا ، أحد رؤساء القبيلة ، ويحتوي على أجمل ملابسه . وغالبية أفراد القبيلة يضعون على أقدامهم ، ذلك لأن جميع الدواب والحيوانات من ذوات القرون تكون محملة بما فيه الكفاية .

ـ أما الرجال فكلهم مدججون بالسلاح من الرأس إلى أخص القدم ، وهم يقومون على حراسة القافلة . وبعض هؤلاء الرجال يوافق الصبيان الذين يرعون المواشي في أعلى الجبال . ويسود الفترة التي يمر فيها هؤلاء البدو جو من القلق الشديد يستبدّ بالجميع ، فيلزم الفلاحون منازلهم بعد أن يحكموا إغلاق أبوابها ، وينصرف رجال مسلحون إلى التعرّكز في نقاط استراتيجية عالية تحيط بالمنازل لحمايتها . وبين آنٍ وآخر تدوي طلقات الرصاص هنا وهناك . وقد صادفنا قطبيع غنم في بقعة جبلية ساحرة ، فطلبت إلى الراعي أن يتمهل لحظة لالتقط صورة لهذا المشهد الرائع ، فإذا به كالأرنب البري يتدرج عن المضبة وهو يرسل صيحات الاستغاثة ، ويخرب بندقيته ... وما أن أصبح في الوادي على بعد ٤٠٠ متر عنّا حتى سدّ بندقيته صوبنا . وتبدو قطعان الغنم في هذه الرحلات منهكة القوى ، وكثير من الدواب يتسلط على الطريق فتحطّ عليها عصائب من النسور والبواسق ، ولا يخفف البدو عن دوابهم حولتها

أثناء الليل ، بل يضربون خيمهم إلى جانبها وهي محملة .
« ولننتقل الآن إلى منطقة ما بين النهرين حيث يقطن الأكراد
الترانسقازيون » وهذه صورة عن حياة هذه القبائل كتبها أحد
أبنائها أرب شامو في كتابه « الراعي الكردي ^١ »
« ما أن يذوب الثلج وينتشر الحفار وتزهر الأشجار ، حتى
يدب النشاط في القرية الكردية .

« ومنذ الصباح الباكر تبدأ الحركة في كل مكان : فالأكراد
يستعدون لأن ينتقلوا بقطعاً منهم إلى منطقة تسمى « دولغا » حيث
تضع المواشي الصغيرة حملانها .

ويبذل الأكراد كثيراً من العناية بالحملان في مناطق
« الدولغا » ، فيقدمون لها أكثر ما يستطيعون من غذاء لتسمو
بأسرع ما يمكن ، وتقوى أجسامها على تحمل المиграة إلى
أعلى الجبال عندما يستند الحر .

« وفي مراعي الصيف يؤلف الأكراد جماعات من نوع فريد
تدعى « أوبا » من أربعين أو ثمان وأربعين سيداً ، لكي يقوموا على
رعاية مواشיהם بصورة مشتركة ، ويرئس كل جماعة « أوباباشي » ،
يكون أقوى الأعضاء وأوسعهم نفوذاً ، ويسلم زمام الأمور ،
فيوزع الرسوم ، ويعين الأماكن الصالحة لرعي الماشي ، كما
يحدد الفترة الملائمة للانتقال بالمواشي من مرحلة إلى أخرى ، وينتخب

١ - كتب هذا المؤلف في الكردية الترانسقازية أول الأمر ، ثم نقل
إلى اللغة الروسية ، وقام أحدهم بنقله إلى الفرنسية وأعيدت ترجمته عن
الفرنسية إلى الكردية وطبع في بيروت .

هذا الرئيس انتخاباً ، والجميع يدينون له بالطاعة .

« ويكون الأوباباشي في أغلب الأحيان زعيم قبيلة ، ويفرض على الرعيان ، عدا عن مهامهم المباشرة ، أن يعتنوا بمواشي الأوباباشي بدون أي تعريض . وتتلاعث مهمة الراعي بأنه يتنقل بالمواشي في المراقي ، وعند المساء يبعدها إلى الزرية ، ويعدها ويقدم عنها تقريراً للسيد ، وفي الصباح ينطفف زرية الغنم « أغيل » وينقل الزبالة والأوساخ إلى مكان بعيد عن الخيم » .

ملقوس حياة الرعيان

« تنص التقاليد المحلية أن يقوم كل كردي قادر في موسم الحملان على ذبح خروف وتنظيم وليمة غالباً ما تكون في المساء الطلق ويدعو إليها جيرانه ورعايانه ، يتوفّر المضيف وزوجته على خدمة ضيوفهم وحثّهم على الطعام . وبعد انتهاء الوليمة ، ينطلق الشباب في الرقص والأغاني الشعبية ، وفي نهاية الاحتفال يشكر المدعون المضيف على حفاوته ، ويتمون للمضيفة أن تعدد في الصيف كثيراً من الزبدة والجبن ، ويسألون الله أن يبعد الأمراض عن المواشي ، ويخصب المداعي .

ويدعى هذا الاحتفال في اللغة الكردية « ساربيز » أي بداية نمو المواشي . وقد دهشت كل الدعّة عندما حضرت هذا الاحتفال لأول مرة ، ولكن الأب والأم كلانا يتسمان ويقولان إن « ساربيز » ليس عيداً كبيراً ، فعمما قريب يأتي « بارودان » أفضل أيام السنة .

« وتنمو الحرفان وتقوى ، ويزداد ذوبان الثلوج في الجبال ، فيعلن الأوباباشي أن « بارودان » هو أفضل أيام السنة . إنه يوم الرحيل من « الدولغا » إلى المراعي الجبلية . ويبدأ الاستعداد قبل أسبوع لاستقبال هذا اليوم . ومنذ الصباح الباكر يرتدي الجميع أفضل الملابس ، وترتّن الفتيات رؤوسهن بالزهور البرية النضرة ، ويعلقون في أنوفهن الخازيم والصفائح النحية المستديرة ، ويكون الأكراد الأغنياء قد ثبوا أنوف بناهن منذ الطفولة لهذا الغرض . كذلك تُحلّى النعاج والحرفان والماعز بخصل الصوف المذهبة ، وتعلق في رقباب أفضل الكباش الجلاجل النحاسية . « وفي هذه الأثناء تكون الشمس قد أخذت ترتفع في الأفق ، وتوشّك الاستعدادات على الانتهاء .

« وتدق الساعة الخامسة . كل شيء قد أعد وأصبح جاهزاً ، عند ذلك يعطي الأوباباشي إشارة البدء بالرحيل . ويتقدم موكب « البارودان » الراعي الرئيسي بأجمل ثيابه ، وفي يده مزماره . إنه يقوم بدور القائد ، فيلقى بتعلّياته إلى الفتيان في طريقة معاملة الحلان ، والنعاج التي ترفض إرضاع صغارها . ويأتي خلف الراعي الرئيسي أجمل كيش ، وقد علق في رقبته جرس يوصل رنّات عالية .

« وقبل الإنطلاق مباشرة يخاطب كل سيد راعي قطبيعه بقوله : « إني إذ ألتئم على قطبيعي ، أطلب إليك أن تؤدي واجبك بأمانة ». « ثم يبدأ الراعي الرئيسي بالعزف على مزماره فيتحرّك الموكب . وإنني لا أزال أرى في ذهني صورة القطبيع يلعق بالراعي

في نظام ثام ، بينما أحاط به مساعدو الراعي يصغرون ويلوّحون بالقضبان ليمنعوا أي خلل في القطيع ، حيث لكل خروف ونعجة مكان خاص ، ولا أزال أشاهد الأطفال والشبان يتراكمون بشياهم الزاهية ويغنون أغانيهم الشعبية ، فتتجاوب هذه الأصوات مع ثغاء الحلان والنعاج وتحدو الرعيان ، في جوقة تناوح أصواتها في الوادي العميق والجبل المكللة بالتلوج .

« ولا يتشكل هذا المركب سوى مرتين كل سنة : في الريع عندما تقل القطعان إلى راعي الصيف ، وفي أواخر الخريف إذ تزور القطعان . وإذا عرفنا أن ثروة الأكراد تعتمد على هذه القطعان ندرك أهمية هذين المركبين الفصليين » .

أهمية تربية المواشي

توفر قطعان الماشي للأكراد كل ما يحتاجون إليه من أسباب المعيشة . أما الحيوانات الأهلية الشائعة الاستعمال فهي : الجمال والأبقار والخمير والماعز ، والغنم ذو الآلية والكلاب . ولكن الأكراد قليلاً ما يربون الجمال والأبقار ، أما الخيل فيستعملونها للركوب وفي بعض الأحيان يستعملون حليها كمشروب غذائي ، ولكن أقل ما هو مستعمل لدى بدو التركستان ، وبشهادة الحصان الكردي الحصان العربي ، إلا أنه أصغر وأشد قوة ، ويعتبر جميع الأكراد من أمهر فرسان العالم . ولا يقتني الأكراد إلا القليل من الخمير ، بينما يكثر وجود الغنم لديهم . وغنم الأكراد كبير الجسم ، له ذنب مزدوج من الشحم « آلية » . ويعيش هذا الصنف في المناطق

الحاره والبارده معاً ، حيث تمر ثانية أشهر من الصيف والثلج ، وأربعة أشهر من الحر الشديد . وصوف هذا الصنف أنعم من صوف الأغنام في سوريا والعراق . أما باتجاه الشرق في منطقة أرمينيا القديمة فنجد غنماً أبيض صوف طويل يسمى « أدليس » . وقد أخذ الغنم القائم اللون يزداد أكثر فأكثر ، وهو أنواع عدّة أشهرها « كيزيل كرمان » أي الكرمان الأحمر ، و « توج هريك » ، مور ، وكلها سوداء اللون ، بالإضافة إلى نوع « كركس » وهو خليط من الأحمر والأبيض .

وتستخدم نساء الأكراد صوف الغنم وشعر الماعز في حياكة الأنسجة الغليظة ^١ أو في صنع أنسجة الثياب . ويشكل الحليب ، في مختلف مستوياته وصنعه ، الغذاء الرئيسي عند الأكراد . وخلافاً لما قد يتصور البعض ، فإن اللحم نادر الوجود في ما كلهم ، فالغنم لا تذبح إلا في حالات اضطرارية ، أما الحروف فيقايسن مقابل الحبوب ، ومن هذا يتضح أن أكل اللحم مقتصر على المناسبات الحارقة .

فحياة الأكراد منظمة وموقته بالنسبة لاحتياجات قطعان مواشיהם . وذوبان الثلوج وظهور نباتات الربيع على هضاب أرمينيا يبشران باقتراب الموعد الذي يتحرر فيه الرجال وتطلق فيه

(١) للأكراد طريقة فريدة في صنع الأنسجة الغليظة التي تستعمل كبسط أو خيم أو معاطف شتاء وهي أن تلف ثفابات الصوف حول قضيب بطول مترين ونصف المترين ، ويربط بطرفين القضيب حبلان طولان يعلقان في سرج حصان يطلق في البراري عدة أيام وهو يركض ويجر خلفه هذه المزمه .

الحيوانات من عقال الشتاء . أما إذا تأخر الرياح عن موعده ففخطر الجوع يتهدد المواشي إذ ينتهي علفها . ولا يدوم فصل الرياح أكثر من ستة أيام تقريباً ، تكون فيها الأرضي رطبة مبللة ، والليالي باردة ، ولكن سرعان ما تسطع أشعة الشمس وتجفف التربة وتبس الأعشاب ، فيرحل الأكراد في طلب الكلأ ، ويسلقون الجبال أكثر فأكثر حيث يتاخر ذوبان الثلوج الذي يختلف أثره مراعي خصباً ، لا يلبث أن يجف خلال أسبوع فيتو كونه ويصعدون إلى أعلى . وفي الخريف ، في أواسط شهر تشرين الأول ، تبدأ رحلة معاكسة ، إذ يتراكم الثلوج في الجبال ويحظر المطر في الوديان فيضطرهم ذلك لأن يبطروا تدريجياً متعددين عن الثلوج . وينتهي بهم الأمر لأن يعودوا إلى مواطنهم الأصلية حيث يكون الكلأ قد عاد ينمو .

ويختلف الأكراد بهذه الورحلة المترقبة كحدث سعيد ، إذ تعود القطعان سليمة معافاة ، والرعيان يتشارقون لقبض أجورهم ، والأسياد فرحة بآرائهم . والنساء يتحدون في طريق العودة عن مقدار الزبدة والجبن التي أعددتها خلال الصيف . أما الرجال فتشغلهم قضية بيع منتجاتهم من الجبن والزبدة والصوف ، ليشتروا بأثمانها القمح والشعير ، ذلك أن الأكراد البدو لا يمارسون الفلاحة والزراعة . وتباهى النساء - خصوصاً نساء الأغنياء - فيما بينهن ، بال الحاجات التي اشتريتها من الباعة المتجولين وهي من المحرام والحيوط والابر والأزار والزّين . ويتهمس الشبان والشابات بالأسرار : فلان اختار قلانة خطيبة له ! هذه الفتاة رضيت بذلك الشاب خطيباً

لها ! هل حددَ فلان موعد الزواج ؟ ويسامر العشاق بأحاديث الأويقات الجليلة التي قصوها في الصيف ، ويذكرون الأماكن التي كانوا يرتدونها ويختلون فيها ، والسنابس الصافية التي استقوا منها المياه العذبة ، والليالي المقرمة يتاجرون فيها بين الزهور الجليلة ! إنها أويقات جميلة ، وأجمل ما فيها ، تلك الفترات التي كان يفلت فيها العشاق من رقابة الأهل فيلعبون ويضحكون ، يرقصون وينغتون ، ثم تحين اللحظة الحاسمة فيتبادل كل زوج من العشاق القسم باسم الله « كوبيد » ، أن يبقى الواحد أميناً على عهده للآخر . ويحلّ أخيراً عيد « بيران بيردان » ، أي عيد توك الحرف . وهو اليوم الذي يفرح به الرعيان ومساعدوهم ، إذ تنتهي مهمتهم ويتقاضون أجورهم . وفي هذا اليوم تفصل النعاج في حظائر خاصة ، وتطلق بينها الكباش لتشخصها . ويأخذ الأكراد حينذاك في إطلاق الرصاص كأنهم يحتفلون بزفاف نعاجهم ، وتنقسم في هذا العيد أذ المأكل والخلوى مثل النوعا « مرتوعا » ، واللحم المشوي المحفف على النار « قاورما » .

وترفع الفتيات عن قبعاتهن المحارم الحريرية ويربطنها حول أعنق الحراف الجبطة إليهن ، فيتقدم الشبان ويأخذونها تعبيراً عن سحبتهم ورغبتهم في الزواج ، فيما يراقب الأهل الفتى الذي التقط حرمة ابنته ، وهم يعرفون أن الاتفاق كان قد تم في الصيف . فإذا لم يمانع هؤلاء الأهل تُعقد الخطوبة بين الشاب والشابة ، وبعد وقت قصير يحتفل بالزواج .

الزراعة والتقطاف والصيد

عرفنا القاريء حتى الآن على خط الحياة التي يعيشها الأكراد الذين يعتمدون لتحصيل معيشتهم على تربية الماشي في الدرجة الأولى . ولكن هناك في بعض الحالات أكراد يلتجأون إلى زراعة بعض حقول الشعير في منحدرات أرمينيا ، غير أن الغلة التي يحصلون عليها ضئيلة جداً ، ويستخدم الشعير في صنع الجبز كـ أنه علف للخيل . والزراعة أكثر تطوراً على منحدرات جبال طوروس نحو سهل ما بين النهرين ، ومع ذلك فليس صحيحاً أن ننظر إلى الأكراد كرعاة وأنصاف بدو فقط . فهناك أكثر من منطقة مثل كردستان الفارسية ، يعيش فيها الأكراد حياة حضرية ويعيشون الفلاحة والزراعة . بل إننا نصادف حتى أقصى زوايا كردستان الوسطى « هركي - أورامار » زراعة متقدمة ، بوسائل ريفية متقدمة . ويقول لرش :

« إن الأكراد شأنهم شأن قدماء الكلدانين ^(١) على مهارة فائقة . فهم لا يتقاعسون عن العمل في إقامة المغارى المائية لري أراضيهم . غير أن شأنهم هو أيضاً شأن جميع سكان الجبال ، لا يغيبون الزراعة إلا اهتماماً ثانوياً ، وهم يزرعون النرة والقمح والشعير والأرز ، »

(١) يعترض الباحث أحدياناً على آثار فنية قديمة في كردستان . فعلى الضفة اليمنى لنهر « بيلاتسو » يوجد حاجز عمودي كبير الارتفاع . وعلق مسافة ٥٠ متراً تقريباً تقوم خرائب جسر مائي قديم لا تزال تظهر منه أربع أو خمس قناطر . غير أن فقدان أية كتابة على هذه الآثار يجعل من المستحيل التعرف إلى ملامح هذه البلاد « بندر » .

يقدار ما هم بحاجة إليها في معيشتهم فقط ، ذلك أن ثروتهم الحقيقة تقوم على تربية قطعان المواشي .

ويمضي المؤرخون على أن العقبة الرئيسية في وجه غزو الزراعة لدى الأكراد هي في نظام الضرائب الذي من شأنه أن يشطب كل عزية . وبالمقابل ، فإن الأمراض والكوارث التي تصيب القطعان أحياناً تحمل الأكراد مرغمين على تعاطي الزراعة . ولا بد لنا في الحديث عن اقتصاديات الأكراد من أن نذكر القدر الذي يُسهم فيه الصيد والتقطاط بعض متطلبات الأرض . ففي أرمينيا حيث تدور الغابات ^١ ، يشكل جمع الوقود اهتماماً جدياً ، فينصرف الأكراد إلى اقتلاع بعض النباتات « الاستراغال » ويجعلونها على ظهور الحمير لبيعها في أسواق المدينة ، وأحياناً يصنعون منها الفحم . غير أن مواد التدفئة الرئيسية تُصنع من روث البقر الذي يُمزج بالبن أو بالأوراق اليابسة . وتتوفر أشجار السنديان الضخمة في جبال طوروس الجنوبية ^٢ ، العنصر الذي يستعمل في الصباغة .

أما الصيد فلا يشكل مورداً هاماً للأكراد ، خصوصاً في أرمينيا حيث يندر وجود الصيد . فما هناك إلا بعض الغزلان والخنازير البرية ، والثعالب والذئاب . والأكراد يستعملون

(١) أما الجزء الغربي من إقليم إيران الـ كردستان الإيرانية فتقطنه الغابات ، الامر الذي يجعل الأكراد هناك يصنعون جميع أدواتهم المزليّة ، حتى القدور ، من الخشب .

(٢) في إقليم إيران الفارسي أربعة عشر نوعاً من السنديان أهمها : الباوط ، الخرنوب ، القلقاف .

أسلحتهم النارية لحماية قطعائهم ضد هذه الحيوانات المفترسة ، الأمر الذي جعل وجود هذه الحيوانات يتناقص ويضمحل .

الصناعات اليدوية والتجارة

في دراسة الصناعات اليدوية عند الأكراد ، لا بد من الاشارة إلى ما تقوم به النساء من أنسجة يدوية ، يظهرن فيها كثيراً من التذوق والتأنق خصوصاً في صناعة الملابس وترميم الخيم . وفي هذا المجال أيضاً تبرز متطلبات الادارات في الضرائب عائقاً كبيراً في سهل نمو هذه الصناعات ، فحيث ترتفع الضرائب نجد الأكراد يقعون في فقر مدقع ، ويجدون كثيراً من اندفاعهم في أشغال الأنسجة الفنية التي يوحى بها إحساس في بدائي ، ولكنه فطري لا تعوزه النضارة والبراعة في تنسيق الألوان . ويشهر الأكراد في منطقة « سناه » في إيران بصناعة سجادات الصلة ، بالإضافة إلى صناعة مقابض الخناجر من العظم ، والنقوش ، وعقد الأحزمة . ويجب ألا يفوتنا بأن الكردستان ليست بلاد البدو وال فلاحين فحسب ، بل هناك مدن وقرى كبيرة عدّة ، ثمة فيها بعض الصناعات اليدوية الفنية التي أصبحت من تقاليدها العريقة . ويكتفي أن نذكر على سبيل المثال : بتليس ، وأربيل ، وسناه وسودج بولاج . إنها مدن كردية صرفة ، تطورت فيها الصناعات اليدوية بجميع أشكالها : صناعة الجلود والمعادن والأخشاب . ويقدم « سر كيسيان » في مقاله عن عبد الحان ، سيد بتليس الكردي في الجيل الثامن ، تفاصيل مثيرة عن القطع الفنية والأسلحة ، والخل

والمخطوطات التي كان يتكلّمها هذا السيد . وهذا ما يجعلنا على التأكيد من أنه كان بين الأكراد من يهوى جمع التحف الثمينة ، ويشجع الصناعات اليدوية . ويوجد في « سناء » بشكل خاص صناع ماهرّون للعب وطاولات الشطرنج ، والأواني الفخارية . كما يوجد في « فان » صياغ بارعون .

ولإذا ما اعتبرنا الكردي في الحدود التي ذكرنا ، جانعاً يدوياً ، فإنه لا يمكننا إطلاقاً أن نعتبره تاجراً متهناً على الرغم من أنه مضطرب لأن يجلب من الخارج الحاجات التي لا يؤمنها له اقتصاده الطبيعي . ومن هذه الحاجات في الدرجة الأولى الأسلحة التي يشتريها من الأرمن ومن الإيرانيين ، وهي ضرورية لتأمين حياته المعرضة دائماً للخطر ، حتى أنه مستعد لكل تضحية في سبيل الحصول عليها ، ثم حاجات الزينة الفخمة إذ أن الكردي يحب الثياب الجميلة ، ويرتدّها بأناقة عريقة في طباعه . ولذلك نلحظ في الأغاني الكردية الشعبية وصفاً مسماً للأسلحة والألبسة والخيال . والكردي نادرًا ما يستعمل النقود في تجارةه ، إنما هو يفضل عمليات التبادل . أما القطع النقدية فستستخدمها النساء في تزيين ثيابهن ورؤوسهن ، ويحصل الكردي على الجبن والزبدة والصوف والمواشي والأخشاب والسجاد والجلود ، بواسطة المقابلة ، وليس الكردي في هذه المقابلة هو الرابع .

ولإذا كانت أوجه الحياة الاقتصادية الحديثة مهمة من قبل أكثر الباحثين ، إلا أن باسطناعتانا تبيّن معالمها لأنها لم تتطور إلا في حدود ضيقة . لقد عرفت بلاد الكردستان نوعاً من النظام الرأسمالي ، لأنها كانت مركزاً هاماً في تزوين بغداد والقطنطينية

وسوريا بالمواشي ، كما كانت تصدر الصوف وال酥油 والأصماع المطية ، وبعض مواد الصباغة . وبالمقابل كانت الكردستان تستورد الأسلحة والأنسجة القطنية والحرير والسكر وبعض الأصناف الاستهلاكية الأخرى . ومن الممكن التقدير بأن صادرات الكردستان كانت أكثر من وارداتها ، مما جعل مقادير من الأموال تجتمع لدى الأكراد الحضر .

وكان القسطنطينية وحدها تستورد من الكردستان ما لا يقل عن مليون ونصف مليون رأس غنم وبقر ، ولا ريب أن القطعان التي كانت تصدر أكثر عدداً من هذا الرقم يكثير . ولكن وعورة الطرق وطولها كان يتسبب في فناء قسم كبير منها . وكانت الكردستان تصدر أيضاً بما يزيد عن ٣٥٠٠٠ ليرة استرلينية من العفص ، وكميات كبيرة من الصوف ، وبالخصوص صوف ماعز « الأنغورا » الذي يستخدم في صناعة المعاطف والشالات . ويقدر أن الكردستان التركية كانت تصدر سنوياً في أواسط الجيل التاسع عشر بضائع بقيمة ٧٠٠،٠٠٠ جنيه استرليني . وكان أهالي الكردستان يبيعون منتجاتهم في أسواقهم المحلية فهم يخشون رجال الجمارك ، فإذا في التجارة الأرمن واليهود والأترالك يحملون البضائع المختلفة ويقايسونها بمنتجات الكردستان . وكان أهالي الكردستان يستغلون الحديد والرصاص في خفية عن أعين الحكومة التركية ، فيصنعون من هذه المعادن بعض أدواتهم ويعملون الباقي .

من مجموع هذه المعلومات عن الحياة الاقتصادية في كردستان يصل « فيلتشفسكي » إلى الاستنتاج بأن التجارة في الجيل التاسع

عشر كانت على قدرٍ كافٍ من التنشيط في كردستان ، خصوصاً في مجال التجارة المحلية ، قبل امتداد النفوذ الاستعماري . أما فيما يتعلق بكردستان التركية في الوقت الحاضر ، فلن النشاط الاقتصادي قد أفاد كثيراً بظل النظام الجمهوري الذي أنشأه كمال أتاتورك ، فسكة الحديد أضحت تصل إلى ديار بكر وإلى أرضروم ، ومن المنتظر أن تتمتد حتى حدود إيران وإلى شمال العراق . ومن المؤكد أنثر سكة الحديد سيكون كبيراً في تلك المناطق ، إذ يسهل التنقل والتبادل . ومن الثروات الأرضية التي يُبدىء باستغلالها في تلك المنطقة ، النحاس في « ارغاني » في منطقة « ديار بكر » . وهناك مناجم هامة للحديد والفحم والنفط . ويبدو أن الحكومة التركية ترعى أصحاب الموارث الأكراد ، فتوفر لهم الخدمات البيطرية ، وتساعدهم على تحسين أنواع الصوف . والواقع أن كل التجديفات التي يمكن أن تقي الأكراد إنما تقع مسؤولية تنفيذها على عاتق السياسة العامة التي تتبع حيالهم . إن نظرة شاملة إلى الخارطة الاقتصادية لتلك المنطقة تبين لنا أن الثروات الطبيعية التي لا يمكن نكران وجودها في الكردستان لا تكفي وحدها لازدهار البلاد ، بل إنها بحاجة إلى جو عام من الأساليب الحديثة .

ويؤكّد « بادرج » في كتابه « النسطوريون » أنه لو وُجد أكراد تركياً تحت إدارة عادلة لكانوا أصبحوا رعايا مخلصين نافعين . فالأكراد الذين يمارسون الزراعة كانوا يشكون كثيراً من حكم الشاه . ومن المؤكد أن « بادرج » يتحدث عن الأكراد عام

١٨٤٠ ، غير أن الأكراد حتى اليوم لا يزالون ينظرون بمistrust شديد إلى السلطات الحاكمة . ولم تقدم هذه السلطات على أية خطورة لتبديد مخاوفهم .

منهاج الإصلاح الاقتصادي

ويصح القول ذاته بالنسبة للأكراد إيران ، فعلى الرغم من أن حكم رضا شاه بهلوبي ، قد أدخل كثيراً من التطورات العميقة ، فقوى السلطة المركبة ، وأدخل التنظيمات الحديثة ، ونشط عمل المصارف الزراعية ، ومد السكك الحديدية ، ووسع الطرقات البرية ، على الرغم من كل ذلك فإن هذا العمل الجندي الذي يحتاج لنفس مدید ، لم يستطع لخروج منطقة كردستان الإيرانية من عزلتها . ونحن نذكر هنا منهاج الإصلاح الاقتصادي الذي تحتاجه كردستان الإيرانية كما وضعه المؤلف الإيراني « شيم المداني » ، وهو :

أولاً – يجب أن تنقل القبائل الكردية البدوية من الحدود إلى السهل وأن توجه نحو الزراعة ، فيوضع على رأس كل قبيلة مندوب عن وزارة الزراعة ليسر على إسكان أفرادها ورعايتها أشغالهم .

ثانياً – يجب أن يزداد عدد المدرسين بحيث يصبح كافياً في كل قبيلة لتدريس أبنائها من الذكور والإناث ، على أن تُنشَّأ المدارس وتدرس المواد باللغة الإيرانية ، ويراعى ألا تكون المناهج متقدمة ، وأن يُدرس تاريخ إيران باختصار .

ثالثاً - أن تُفتح مدارس مهنية في « كرمنشاه » و « سمنا » أو في أي مكان آخر تحتاره الحكومة لتعليم التجارة والحدادة وغيرها من المهن .

رابعاً - أن يُفتح فرع للمصرف الزراعي في كردستان ، ليقدم القروض والسلف بالنقد أو بالمواد ، فيتحرر الفلاحون من الضغط الذي يُثقله عليهم الملاكون ، ويرتفع بذلك مستوى معيشتهم .

خامساً - إنشاء بعض مصانع السجاد والصباقة تحت إشراف الاختصاصيين ، الأمر الذي يساعد على إنهاض هذه الصناعة بتطوير منتجاتها وفقاً لمتطلبات الأسواق الخارجية .

سادساً - اتخاذ الاجراءات الحاسمة لمنع التهريب الذي يتم على حساب التجارة المشروعة .

سابعاً - إنشاء مدارس زراعية ، أو انتداب اختصاصيين إلى الكردستان لتعليم الأهالي الوسائل الحديثة لتجفيف الثمار ، وإعداد المنتجات الغذائية التي لا تزال على الرغم من جودتها ، لا تتلامم من حيث تجهيزها مع متطلبات الأسواق الحديثة .

ثامناً - أن توفر الحكومة أجهزة خاصة لاستغلال الغابات ، ذلك أن الأكراد يقدمون على قطع الأشجار بطرق اعتباطية تعرّض الثروة الخشبية في كردستان إلى الزوال .

تسعاً - يجب وضع تشريع يحدد بدقة واجبات وحقوق كل من ملأكي الأرض وال فلاحين ليزفع الظلم عن كامل الفلاحين .

عاشرأً - تحتاج كردستان إلى طرق معتبرة تصلها بالمناطق المحيطة بها مثل كرمنشاه ، وأوزريجان ، والعراق العجمي ، وببلاد

ما يعن النهرين .

أحد عشر - اتخاذ إجراءات صحية عامة لحاربة كثرة الوفيات بين البدو ، وهم عنصر منتج في الأمة الإيرانية .

ملاحظات حول الاقتصاد الكردي وطرق تحسينه

إن أسلوب حياة الأكراد ، ومشاغلهم ، وعاداتهم كما أتينا على تفصيلها ، إنما هي نتيجة حتمية لطبيعة البلاد التي يعيشون فيها . فالظروف المناخية وتكوين التربة جعلت من الكردي منذ سحيق الأجيال مربياً للمواشي ، وبدوياً أو نصف بدوي ، لا فلاحة حضرياً . والكردي لا يتحول إلى فلاح إلا إذا أرغمه على ذلك كما حصل إبان الحرب العالمية الأولى عندما فصلت الجبهة الروسية التركية بين القبائل الكردية وبين مناطق الرعى الصيفية ، الأمر الذي أفقى عدداً كبيراً من قطعان الماشية . وما إن انتهت الحرب حتى وجدت بعض القبائل نفسها مضطرة لأن تبدل من نمط حياتها . وقد تؤدي الأوبئة التي تصيب الماشية إلى النتيجة ذاتها . أما المبادرات الحكومية لتحضير البدو ، فسوف تصطدم دائماً بذكورة الكردي الجبلية التي تحقر رجل السهل . ولا تستطيع الحكومات أن تحرز بعض النجاح إلا إذا توسلت لغايتها بالكثير من الدراية والصبر ، واستعملت جميع الوسائل المالية والتكنيكية الازمة . وقد كان الكردي حتى الآن ينظر بشديد الحذر - وهو على حق - إلى أية إجراءات تتخذه السلطات ، لأنه يحس " بأنها تحمل إليه الشر " . وكل جهد يرمي إلى تحضير البدو سوف يبوء بالفشل إن لم تؤخذ الوسائل نفسها بعين

الاعتبار . فأول ما يجب فعله هو كسب ثقة الآغا رئيس القبيلة ، الذي لا تزال له سلطة فعالة في أكثر القبائل . أي أنه يجب التوسل إلى الأكراد بواسطة الأكراد ، وبالعمل ضمن محيط القبيلة ، وهي الإطار الطبيعي للبدو . أما محاولات القوة ، فإنها تهدد بخلق مضاعفات خطيرة ، لأنه من الصعب إخضاع الشخصية الكردية بالعنف والإكراه .

هذه بعض الملاحظات العامة ، والواقع أن الأسلوب يختلف باختلاف الحالات والظروف ، فلا بدّ من دراسة كل مشكلة على حدة ومن جميع جوانبها .

الفصل الرابع

فردية الكردي وطباعه

*

ان خصائص الامة تكمن في طبيعة أفرادها وعاداتها
رمواهيم الرئيسية ، وحتى في المبادرات التي تميز شعراً
عن آخر ١

فوليت « القاموس الفلسفي »

الصعوبة في رسم صورة واضحة عن نفسية شعب ما

عندما نقوم بدراسة عن شعبٍ ما ، لا يمكن إغفال الوجهة
النفسية لدى هذا الشعب . ومن المؤكد أن لكل شعب نفسيته
الخاصة وهي عبارة عن مجموعة من الملامح تميزه عن شعب آخر أو
تقرّبه منه . ومع ذلك ، دون أن ننكر وجود ملامح ثابتة في

أخلاق شعب ما هي حصيلة ماضيه وظروف معيشته ، لا بد لنا من الإشارة إلى خطر إطلاق العموميات في هذا المجال . وكثيراً ما تكون هذه العموميات غير واقعية ، ثم تعلق بهذا الشعب أو ذاك مع الأيام ويصبح من الصعب تصحيحها^١

وغالباً ما تأتي هذه العموميات ، التي نطلق عليها اسم «تعاريف نفسية» بتأثير عوامل شخصية تقللها الظروف . فهذا الشعب الذي نرفعه إلى السماء لأسباب سياسية في الغالب نعود في الغد لنبط به إلى الحضيض إذا ما تبدلت الظروف . ثانيةً نمتدح الفردية في مقابلتها بالنفسية الجماعية ، وتارة أخرى نحمل على مساوىء الارتجال الفردي في مقابلته مع النتائج الكبيرة التي يتحققها النظام الجماعي . قد نعتبر الاقتصاد والتروي من الفضائل ، ولكنها في بعض الأحيان يولدان البخل والتقاعس ، وهناك دراسات تحاول أن توضح ملامح شعب ما عن طريق عقلية الريف عند أفراده ، على اعتبار أن «العقلية التجارية» تطمسها التسويات . ويعلق بعضهم أهمية كبرى على المظاهر الواضحة والمنطق ، فيزيد عليهم بعض آخر بأن الحياة لا تخضع للمنطق ، ولا تتقييد بالسلمات .

ونحن في دراستنا هذه التي تتناول بها الشعب الكردي ، نتخذ

١ - الواقع أن هذه القضية صحيحة في المقياس العلمي . فمن المؤكد أن لا فراد شعب ما قاسماً مشتركةً عميقةً الجنوبي يجمع بينهم . فإذا ما اغترب أحد الأفراد إلى وسط آخر يستطيع أن يكتب صفحات جديدة ويكون لذاته شخصية جديدة . إلا أن هذا التبدل طاريء وسطحى ، سرعان ما يزول عندما يعود الفرد إلى وسطه الأصلي .

خطاً وسطاً بين جميع هذه النظريات فنعرض أولاً آراء الأجانب الذين قاموا بدراسات عن الأكراد ، ثم تأخذ من القصص الشعبي الكردي رأي هذا الشعب في نفسه .

نماذج كردية للدكتور كريستوف بدوي من رعاة جبال طوروس

قدم الدكتور هلموت كريستوف أعمق دراسة عن طبائع الأكراد ، وذلك في المؤلف الذي أتينا على ذكره ، حيث يقارن بين الأكراد والأرمن . ويرى هذا المؤلف بالاستناد إلى اعتبارات سياسية واجتماعية ، أن هناك أربعة نماذج للأكراد :

١ - رعاة الماشي في المضبة التركية - الأرمنية العليا ، وعند المجرى الأعلى لنهر « كورا » أي في أراكش ومراد والفرات ، وحوض بحيرة « فان » .

٢ - رعاة الماشي في منحدر طوروس الجنوبي .

٣ - الأكراد المغاربون عند مناطق الحدود .

٤ - الأكراد أنصاف البدو !

ويعتبر كريستوف أن أكراد طوروس الجنوبي الذين يرتدون بادية سوريا وما بين النهرين في الشتاء ، هم النموذج الأصيل للأكراد وجميع الفروع الأخرى مشتقة عنه ، ذلك أن طبائع هذا النموذج قد تكونت فقط بتأثير صراعه مع الطبيعة ومع الأعداء . ففي هذه المنطقة يتتابع البارد القارس والحر الشديد بفترات قصيرة ، فالحر لا يطاق في وديان طوروس بينما الرياح الباردة تعصف في

الجبال .

وبالاضافة إلى هذه الصعوبات الناحية ، هناك وعورة المنطقة التي تجعل الانتقال من مكان إلى آخر عملية منهكة . ولا شك أن التغلب على مثل هذه العقبات يحتاج إلى قوة إرادة ، وإلى قدرة احتلال كبيرة . لقد عرف عن البدوي أنه إنسان حالم ، لا يرى في العالم إلا الأسباب والشياطين ! ولكن هذا لا يمنعه من أن يكون شديد الوعي للواقع . وطبائع البدوي لم تتكون فقط من مواجهته للطبيعة القاسية ، بل هناك أعداء يحيطون به ولا بد له من شجاعة فائقة للتغلب عليهم . فالقبائل الكردية في طوروس تعيش في حالة قتال دائم ، وتتقاول في الصيف لاحتلال المراعي الخصبة ولحمية مواشيها . ولكن المعارك الرئيسية إنما تدور في الشتاء ضد البدو العرب وذلك عندما يأخذ البدو الأكراد يهبطون بمواشيهم من الأعلى إلى بادية سوريا والعراق . والبدو العرب شأنهم شأن جميع البدو لا يعتبرون سرقة المواشي عاراً ، ويعرفون أن الأكراد لا يستطيعون اللحاق بهم في البادية ، غير أن الأكراد أشد مراساً في الحرب . وفي الواقع ، إن الاشتراك بين الأكراد والعرب يعود إلى أصليهما وظروفهما المعيشية ، لذلك من المفيد أن تتوقف عند هذه الناحية قليلاً .

يقول المراقب الفرنسي الدقيق الكابتن روندو :

« تحدّر سلسلة جبال أرمينيا والكردستان المدار آ شديداً من جهة الجنوب عبر ماردین ونصیبین وجزيرة ابن عمر نحو بادية الجزيرة التي يقطنها البدو العرب . وتعتبر هذه المنطقة حدآ فاصلاً

بين عالمين . فيينا يتعدى على البدو العرب الذين يعتمدون في معيشتهم على الجبال ، أن يصلوا إلى تلك الجبال ، نجد بالمقابل أن الأكراد ينظرون باشتئاء إلى البداية ، حيث يسهل عليهم أن يجدوا مراعي لمواشיהם وينصرفوا في الوقت ذاته ، إلى بعض الزراعة . وعندما تتمكن السلطات أن تفرض على البدو العرب قانون احترام المزروعات ، يهبط الأكراد إلى السهل . غير أن الموسم ليست دائماً خصبة ، والمناخ السهلي يضعف من صحة رجال الجبال ، وهكذا يهلك السهل الأكراد » .

ويقول بانس : « وهكذا نجد أنفسنا في منطقة الحدود بين العرب والأكراد ، وهي من أهم مناطق الشرق الآسيوي لإذ يصطدم فيها شعبان مهاجران . فالبدو العرب قد صدرأ من الجنوب ، من الصحراء السحرية ، بينما يهبط البدو الأكراد من الشمال ، من حيث أتى الأرمن والأتراك أيضاً . وإذا أردنا أن نتفهم هذا الحدث المهام يكفي أن نلقي نظرة على الخارطة فنرى الخطوط الثلاثة التي تشير إلى الحدود الشمالية للبلاد العربية ، وإلى المناطق التي يسعى إليها البدو العرب في الصيف والشتاء طلباً للكلا . ونلاحظ أن هذه المناطق محاطة بسلسل جبلية من الجنوب والعرب لا يصلون منها إلا إلى المدن الرئيسيّة ، ففي الصيف يتوجل العرب في الشمال حتى يبلغوا أقصى الحدود العربية ، أما في الشتاء فيتراجعون إلى الجنوب .

« وهكذا نجد أنفسنا مضطرين للاقرار بأن شعوب الشمال يتميزون بميل إلى التوغل نحو الجنوب أكثر من ميل شعوب الجنوب

إلى الصعود نحو الشمال . ولما كانت شعوب الشمال قد اعتادت على مناطق كردستان الغزيرة المياه ، فإن تزوحها نحو الجنوب لا بد أن يتوقف عندما تصل إلى المنطقة التي تدوم فيها إمكانية الري ، فوراً لها تمتد البادية التي لا تصلح إلا لحياة المواشي والتي كانت دائماً تحت سيطرة البدو العرب . وبالمقابل فإن العرب لن ينفذوا فقط إلى جبال أرمينيا ، حيث يقتدون البادية التي لا يستطيعون العيش بعيداً عنها » .

يبين لنا أن المعالم الأولى التي تبرز من شخصية الأكراد هي حبهم للقتال ، ذلك أن حياة البداوة التي يعيشونها وسعدهم الدائم إلى المراعي الخصبة ، أو إلى الصيد أو الغزو ، كل ذلك أوجد لديهم حالة نفسية جعلتهم ينفرون من كل التزام ويشورون ضد كل إكراه . لقد علّمت الحياة الفرد الكردي « أن العالم ملك للشجاع » ولو لا أن القبيلة تشكل مدرسة الفرد الكردي وتعلمه التضحية وخدمة المجموع ، ل كانت طباع الأكراد كفيلة بأن تقفيهم . وإذا كان الكردي يتمتع بخلق نبيل شعاره : الكرامة والشهامة وحسن التصرف ، فذلك لوقعه تحت تأثير هذا العامل المزدوج : الصراع المستمر ضد الطبيعة والانسان من جهة ، والخضوع لأنظمة القبيلة من جهة ثانية .

وكأن الطبيعة لا ترحم الكردي ، كذلك فهو لا يرحم خصميه ! فالأخذ بالثأر والميل إلى الانتقام يسيطران عليه .

ويروي رايينو القصة التالية :

« حدث في ١٨ حزيران عام ١٨٩١ أن دعا يونس خان حاكم

مدينة « بنه » وأسرته لزيارته ، ثم أقدم بمعونة خدمه على ذبح ضيفه وابنه ... ولكن الابن الثاني وعمره ١٥ سنة أفلت من بين أيدي القاتلين بعد أن « جرح ، وانقضّ » على يونس خان وقضى عليه بضربه خنجرو ، كما قتل ستة من الخدم قبل أن يستسلم .

وتقول الأمثال الكردية الشائعة : « عدو الأب لا يمكن أن يصبح صديق ابن » و « أن تلوث يديك بالدم أفضل من أن تخلّي عن الأخذ بالثار » . وتعطش بدو الأكراد للدم يفوق تعطش غيرهم من البدو . ويعود هذا الطبع إلى أن القاتل يستطيع بكل سهولة أن يتوارى بين الجبال هارباً . ويؤخذ على الأكراد إفراطهم في كل شيء حتى في الأكل ، وهم يدركون الأضرار التي تلحق بهم من جراء هذا الإفراط ، لذلك يقول مثلكم : « كل شيء يكسر إذا كان نحيفاً ، أما الإنسان فيكسر إذا تضخم » . ولا ريب أن الكردي يستطيع أن يضع حدّاً لغراائزه ، بدليل علاقاته المعقولة مع الفلاحين الأرمن الذين يعملون في أرض تخصل الأكراد .

بدوي من رعاه أرمينيا

الصفة الأساسية التي تميز الأكراد الذين يعيشون فوق هضبة أرمينيا هي أنهم يقضون فصل الشتاء القارس مع الفلاحين الأرمن في منازلهم تحت الأرض . فيما يقضي أكراد جبل طوروس هذا الفصل في مقاتلة بدو سوريا والعراق في تنافسهم على المراعي ، يكون أكراد أرمينيا مختبئين في المنازل المغلقة مدة ستة أشهر تقريباً . ويحدث في هذه الفترة أن يتعرف هؤلاء الأكراد إلى

الأرمن الذين يتنازعون معهم مرافق العيش . وسلاح الأرمن هو مرونته ، لذلك نلحظ عند أكراد أرمينيا مرونة وقدرة على الاحتيال .

وقد تحدث الكونت « ده شوله » عن تصرف بكتوات الأكراد السيء تجاه الأرمن ، إذ يسلبونهم أراضيهم ، ثم يرغمونهم على أن يعملوا عندهم كعمال . أما مؤلف « كونتاسون » فإنه يحمل عبد الحميد وحده — دون الأكراد — مسؤولية المذبحة الكبرى التي تعرض لها الأرمن .

الأكراد المحاربون وانصاف البدو

إن الخط الأساسي لشخصية الأكراد الذين يعيشون على الحدود ، أنهم يعتمدون في تأمين حياتهم على القتال فقط ، فيسلبون وينهبون . لذلك فإن طبائع العنف والجشع والتعطش إلى الدم تبلغ عند هذه الفتة من الأكراد حدودها القصوى ، بل إن جميع المتاقضات التي تمازج نفسية الكردي تبلغ عند هؤلاء أوجها . وسوف يتبيّن لنا أن معظم الأكراد الذين تتشكل منهم المدن الكردية يعود أصلهم إلى هذه الفتة .

وأخيراً نصل إلى الفتة الرابعة وهي أنصاف البدو الذين ابتعدوا أكثر ما يمكن عن الطبع الكردي الأصيل . ولنلاحظ في أكراد هذه الفتة ، تقلص الميزات الكردية ، وذلك لأنعدام فرص استخدامها . فالصراع ضد العدو فقد إلى حدٍ كبير أهميته . وحب السلطان بل والشجاعة قد هبطا إلى أدنى مستوى ، ليحل محلهما الجمود

واللامبالة . وكما أن زوال نظام القبيلة الصارم قد أبز كل ما في النفوس من ميل إلى الطمع ، فإن السلطة السياسية قد قتلت في هذه النفوس حب الحرية .

العناصر الكردية المدنية

كانت حكومات تركيا وإيران تعهد إلى رؤساء القبائل الكردية القائمة على الحدود بهام الحكم ، فيصبحون نوعاً من الحرس لحدود الدولة ، الأمر الذي كان يصرفهم عن أعمالهم التقليدية . وكان هؤلاء الرؤساء الحكم يجمعون حولهم عدداً من الرجال المسلمين لتنفيذ المهام الجديدة ، فلا يبقى بينهم وبين الحياة الحضرية سوى خطوات . وكانت مراكز الحكم تقام عند تقاطع خطوط المواصلات ، حيث يستطيعون أن يضعوا البلد تحت رقابتهم . وكانت تركيا تعهد إلى الأمراء الأكراد بتولي الادارة في أرمينيا وفي غيرها من الولايات ، ذلك أن هؤلاء الأمراء بالإضافة إلى السلطات التي تتحمّل إياها الحكومة المركزية ، يتمتعون بتأييد القبائل الكردية . وقد أصبحت وظيفة « باشا » في أغلب الأحيان متوارثة في أسر الأمراء الأكراد . وهكذا أصبحت سلطات هؤلاء السادة الكرد مزدوجة : فمن جهةٍ هم رؤساء قبائل بدوية مستقلة ، وهم من جهةٍ ثانية موظفون وجندو للسلطان . كذلك كان اتجاههم السياسي مزدوجاً ، فعندما تقوى الحكومة المركزية تراهم يمارسون وظائفهم بأمانة ، أما إذا ضعفت فيستبد بهم الشعور بالاستقلال ويتصرون عند ذاك وفق رغائبهم ، فتضطر الحكومة

التركية لأن تلتزم معهم في معارك طويلة .

وكان الأكراد يقطنون في قلاع منيعة أو في قصور محصنة ، ويلاؤن فراغ أوقاتهم بالصيد وال الحرب ، فيقاتلون رعاياهم المتمردين ، أو بعض جيروانهم من « الباشوات » الموظفين أيضاً لدى الدولة ، أو يحاربون المتصos . وفي بعض الاحيان يمارسون ، هم بأنفسهم ، أعمال الغزو . ويمكن اعتبار هؤلاء الأكراد الذين تغلب عليهم صفات المخارين ويحيون حياة النبلاء في أرمينيا ، عناصر معادية للحضر في تلك المنطقة ويسمونهم لا « سارت ^١ » . وبقدر ما كانت صفات الرجال المخارين نامية لدى الأكراد ، كانوا ينتقدون لأدنى استعداد لمارسة الاعمال الاقتصادية . لذلك كانوا يلتجأون في كل حاجاتهم المالية والتجارية إلى الأرمن . فإذا كان مطعم الكردي الأعلى أن يصبح « باشا » ، فإن مطعمالأرمني الأعلى هو أن يصبح صاحب مصرف ! وهكذا كان يتم الواحد منها الآخر . ولكن الوضع في المدن الريفية ، كان مختلفاً مما هو عليه في المدن التجارية الكبيرة ، ذلك أن « الباشا » الكردي كان في الغالب يأبه الخضوع لسيطرة الأرمني ، لأنه لم يكن في أعماقه موظفاً بل كان سيداً مستقلاً يقاوم باستمرار ليحافظ على منصبه . فهو يدير بنفسه العمليات الحربية ، وفي الصيف يترك المدينة ليسكن خيمته في أعلى الجبال . وبالمقابل ، فإن الأكراد الذين يقطنون المدينة هم في أغلبهم من أنصاف البدو الذين أضعوا استقلالهم بقدر

١ - السارت في آسيا الروسية الوسطى يمثلون العنصر الحضري أو المدنى ، وهم على العكس من « الكرغىز » أو التركمان البدو .

ما تحضرّوا ، وأحسّوا بثقل التزاماتهم تجاه البدو ، وتجاه الملاّكين
الذين يعملون في أراضيهم ، وتجاه الضرائب ، لذلك فإنّهم كانوا
يتربّون الريف ليزحفوا إلى المدينة حيث يشتغلون عمّالاً ، فتردداد
طبقة الشغيلة في هذه المدن . وشيئاً فشيئاً تغلب مزايا الحضارة على
الأكراد دون أن تُفقدُهم تماماً صفات البداوة الأصلية . وكثيراً
ما نعثر في جميع مدن آسيا على مثل هذه الطبقة من الشغيلة البدو :
أكراد وعرب وتركان ، إلا أن أولادهم يأتون حضريين تماماً .

أراء : سوان ، بندر ، ميلانجن ، وغرام ، لرش ، في الأكراد

يقول « سوان » الذي عاش بين الأكراد وتكلّم لغتهم :
« إذا أردنا أن نعدل في الحكم على الأكراد ، لا بدّ لنا من
أن نقارن ما بين كرستان وأوروبا منذ ٦٠٠ سنة . وحتى اليوم
إذا ما قابلنا بين الأوروبي والكريدي ، فلا أعتقد أن كفة الأخير
تشيل . فإننا نجد بين مجموع ألف كريدي – إلى أية فئة اتسّوا –
 مجرمين أخلاقيين أقلّ بكثير مما نعثر عليه في مثل هذا المجموع من
ال الأوروبيين .

« غير أنه من الصعوبة بمكانة إعطاء حكم عام شامل على الأكراد ،
لأن طبائعهم عديدة وكثيرة التباين .

« وتسود الأكراد العقلية الإقطاعية بشكل غنيف ، حتى أن
« فائز » أحد رحالة القرن التاسع عشر لاحظ تشابهاً قوياً بين
الأكراد اليوم وقبائل سكوتلندia منذ بضعة قرون .

« وبهذا الكريدي باستقامته التي لا تتزعزع ، وبمحفاظته على

العهد الذي يقطعه ، وعطّفه النيل على أقاربه ، وسلو كه الانساني
— بصورة خاصة أكراد الجنوب والوسط — تجاه المرأة ، وإحساسه
الثاقب بالأدب والشعر ، وشوارعه إلى التضحية . من أجل قبيلته ،
وتقاضره بيلاده وعرقه . فكم يكشف الكردي من معانٍ النبل
والأخلاص عندما يعلن قائلاً : « أنا كردي » !

« كذلك ، فإن نفسية الكردي ملتبة الحماسة . تراه يثور
فجأة ولأقل سبب ، وذلك نتيجة حياته المضطربة الملائمة بالمفاجآت .
ولكنه في الوقت ذاته يحب الشكبة ، وهو دائماً مستبعد لأن يروي
المفارقات التي يسبّها طبعه الناري .

« كان في منطقة « أوراما » نعيم كردي من قبيلة « هركي »
عقصته ذبابة ، فأخذ يهرش مكان العقصة . وبعد خمس دقائق من
توقفه عاد يحس بأثر العقصة ، فهو شـ مـكانـهاـ منـ جـدـيدـ . وظل على
هذه الحالة برهة من الزمن ، وأخيراً ثارـتـهـ تـأـرـتـهـ فـتـاـولـ مـسـدـسـهـ
ولعن « أبا الذباب » وأطلق النار على إصبعه فقطعها .. »

واختلف كريديان ذات يوم في تحديد المكان الذي يظهر فيه
« سيروس » الذي يعيش نهاية الفصل الحار من السنة . ودون أن
يطول الجدال حول الموضوع ، انقضوا واحدـهـماـ علىـ الآخرـ في
صراع قاتل . ولم يفترقا إلا وإنـهـماـ قدـ فـارـقـ الحياةـ !

ويقول الرحالة الفرنسي بندر حوالى عام ١٨٨٧ :

« على الرغم من بذلة الأكراد ، فإنهم يتمتعون بشاعر
الكرامة ، ويقيدون كلـاـ بـعـهـدـهـ .. فإذا ما وعدك أحدهم بأنه
سيوصلك سالـاـ إـلـىـ مـكـانـهـ ماـ ، فـأـظـمـنـ إـلـيـهـ دونـ أيـ تـرـددـ . ولكنـ

إذا ما صادفك في الغد فإنه لا يتردد إطلاقاً في معاملتك معاملة
فاسية إذا لزم الأمر».

أما الضابط «ميلنوجن» الذي لم يتعلم اللغة السكردية ، ولكن
وجوده في إحدى الفرق التركية في أرمينيا وفتر له التعرف إلى
الأكراد في جوّهم الطبيعي ، فيقول :

«إن تمازج الصفات السيئة والحسنة الذي يجلده لدى الأكراد ،
يشكل طبيعة عامة لدى جميع البدو : العرب والأكراد والكرغيز
وغيرهم . بيد أن الكردي يأتي في مزايا الفروسية بالدرجة الثانية
بعد العربي ^١ ، فهو يحترم حقوق الضيافة ويحترم من يتوجه إليه » ،
ويعدّ ميلنوجي أمثلة على المذابح التي اقترفها الأكراد ، ومنها
حادثة ذبح العالم الألماني شولتز عام ١٨٣٠ . ويلحظ لدى الأكراد
أنهم ليسوا على الصفات التي يتندحون بها بعض الباحثين .

لقد ذكرنا آراء العالم الانكليزي في الأكراد على الرغم من
تحامله ، ذلك لأننا لا نريد أن نصور الشعب الكردي على أنه
مثالي ، بل إن ما يعنينا هو أن نفهم هذا الشعب .

وهناك رأي لا يقل قسوة، يديه المبشر «وغرام» عام ١٩١٠ ،
فيقول : ليس من طبيعة الكردي التعصب ، فهو لا يظهر أي
اندفاع خاص إلا للغزو ، لذلك لا يمكننا أن نصفه بالتشيّط ، حتى في
أعمال الغزو » .

ويقول «وغرام» في مؤلف ثانٍ :

ـ ٦٧ ـ
ـ مولتك يرى العكس .

« لم تغير طبائع الأكراد منذ عام ١٠٠٠ قبل الميلاد . إنهم شعب قوي وموهوب ، يحسنون المعاملة ، ومع ذلك هناك شيء ما ينقصهم ... فيليثون شعراً فاسلاً ، إذ أنهم لم يتمكنوا حتى الآن من التخلص من حياتهم القبلية » .

لا ريب أن الملاحظة التي يبدوها وغرام جديرة بكل اهتمام . ومن المفيد أن نقرنها بالدور الذي ينسبه كريستون لقبيلة في أحوال الأكراد السياسية والتربوية . فإذا صع أن الأكراد لا يتمكنون من تخطي مرحلة القبيلة ، فهذا يعني أنها تلعب دوراً عائقاً في سبيل ارتقاءهم إلى مستوى من المعيشة الجماعية أفضل . ولكي نكمل عرضنا ل مختلف الآراء ، لا بد من أن نذكر « لرش » الذي يبدأ دراسته برأي « أبوبيان »الأرمني في الأكراد :

« نستطيع أن نطلق على الأكراد لقب « فرسان الشرق » بكل ما في الكلمة من مدلول ، فيما لو كانوا يعيشون حياة أكثر تحضرآ . ذلك أن الصفات المشتركة لهذا الشعب هي : استعداد دائم للقتال ، استقامة وتفان مطلق في خدمة أمرائهم ، وفاء للعد وكرم وحسن ضيافة ، إثمار للدم المهدور ، عداوات قبلية تتشبث بين أقرب الأقرباء ، حب للفروسية ، إحترام فائق للنساء » . ولست أدرى إذا كان « أبوبيان » قد تعرّف إلى قبائل الأكراد الشرقية ، غير أنني متأنٍ من أن هذه المزايا التي أطلقها على الأكراد بصورة عامة تكاد تكون متفقة مع معظم آراء الرحالة الذين عاشوا زمناً طويلاً مع الأكراد . ويرى الرحالة « لرش » الكثير من

الفضائل الاجتماعية لدى هذا الشعب . أما حب القتال فلا يعتبره الأكراد من الجرائم بل هو في المفهوم الكردي من علامات الرجولة والبطولة ... وبالإضافة إلى ذلك ، هناك رأي عام في الشرق يرى أن الأكراد لا يعاملون أسرابهم بذات المعاملة القاسية التي يلقونها لدى التتر والتوكان وغيرهم . ويجتمع الأكراد بالإضافة إلى طبائعهم الحربية ، جبًا قويًا للحرية ، وتمسكًا بطوليًا بكرامتهم . فقد حدث أن وقع أحد بركوات الأكراد أسيرًا أثناء حملة حافظ باشا عام ١٨٣٧ ، فأخذ أعداؤه يعرضون عليه العروض المغربية ليكشف لهم عدد وموقع الثوار الأكراد . فكان يجيب عن هذه المغريات بقوله : « إن الزعيم الكردي لا يقبل إطلاقاً أن يصبح زعيماً لقوم آخرين » . ولم تنفع معه جميع أساليب التشكيل والتعذيب لمدة يومين ، فما كان من الباشا المخود إلا أن رماه في قيدر من الزيت المغلي ، فلبت محظوظاً على رباطة جأشه حتى مات .

كيف يرى الأكراد أنفسهم

لقد عرفنا حتى الآن وجهة نظر الآجانب في الأكراد ، ترى كيف ينظر الأكراد إلى أنفسهم ؟ إننا نبدأ بهذه القصة التي توضح لنا إلى أي حد يغار الكردي على سمعته في الشجاعة : تدور القصة حول مغامرة أحد المصووص واسميه « أمام رزقو » وقد اشتهر في منطقة ديار بكر . ويروي الحكاية أحد غلمانه يقول :

« كانت العصابة متربصة عند إحدى الطرق عندما برب شاب

يحمل على كتفه بندقية « مرتينة » ويتنشق بحزامه خرطوش :
 ويضع كفه على اذنه ويغنى بصوت عالٍ . فتصدى له أحد رجال
 عصابة « إمام رزقو » ، وسلبه أمتنه دون أن يدي أية مقاومة .
 وبعد مدة وجيبة ظهر على الطريق رجل عجوز يتلطف بعبادة مهللة ،
 ولكنه يقبض بشدة على سيفه وبخنه وينهر حماره لسرع في سيره .
 فأصدر « إمام رزقو » أمراً بسلب هذا العابر . فتصدى له أحد
 الغلام وصاح به : « هوليه هوليه ! » ولكن المسافر العجوز واسمه
 « إمام خال » رد عليه قائلاً : « هوليه هوليه » ثم راح يشم الغلام .
 وعندما انتهز الغلام وأمره بأن يسلمه كل ما يملك ، غضب « إمام
 خال » وصاح به في شتيمة كبيرة . فما كان من الغلام إلا أن أعد بندقيته
 وصوّبها إلى العجوز . غير أن هذا الأخير انقض عليه بسيفه ، فهُوَ
 الغلام أمامه ، فلما حقه العجوز إلى مركز العصابة حيث التقى برئيسيها .
 وجرى بينماها حديث قصير ، رضي العجوز بنهايته ضيافة « إمام
 رزقو » وأكل معه « الكتاب » وقبل أن يغادر العجوز مخيم
 العصابة أهداه رئيسها الأمتعة التي سُلبت من الشاب وزاد عليهما
 خنجراً ، وقال له : « خذ هذا فأنت أهل لأن تحمله » .

وتبيّن رواية « الصراع بين عبد وعزيز » كيف أن الكردي
 يجمع في ذاته العنفوان والتهور في وقت واحد . فقد كان بطلاً
 الرواية من قبيلة واحدة وقرية واحدة ، وكأنهما قريبين . وكان عبدو
 عمدة القبيلة . وفي ذات سنة تكانت الحكومة التركية من فرض
 ضريبة كبيرة على القبائل وذلك لكثره ما جيئت من جنود ،
 فحدث تدمير عام بين الأكراد وأخذوا يتحدثون عن محاولات

لإسقاط رؤسائهم ، باعتبار أنهم مسؤولون عما جرى . فغضب عبدو ، عمدة القبيلة ، وقال بتعجب : ليجرب من يشاء أن يزحزحني عن منصبي ، فإني أردية كالكلب بهذه البندقة ! فردة عزيز التحدى بقوله : سأسقطك عن منصبك ، وافعل ما تشاء .

ومررت بضعة أيام التقى بعدها عبدو وهو مسلح ببندقية بعزيز وأخيه أحمد وهما مسلحان بالخناجر فقط . فمرّ بهما دون أن يلقي التحية المعتادة « الله بعكم » فصاح عزيز : لقد فقد هذا الكلب ماء وجهه ، فأطلق عبدو عليه النار وأصحابه . إلا أن عزيزاً وجروحه لا يزال ساخناً ، انقض على عبدو خنجره وسدّد إليه ضربتين ، ثم مدّ يده إلى جرحه يشده دون أن ينبس بكلمة واحدة . أما عبدو فأخذ يصفع طالباً النجدة . فاقترب أحمد من الاثنين فشاهد الدم تنزف منها جميعاً ، غير أن عزيزاً كان صامتاً فظنّ أن الرصاصة لم تصب منه مقتلاً ، فراح يشتمه لأنه أقدم على قتل قريب له . وعندما انتهى من شتمه ، قال له عزيز : « عوضاً عن أن تستمني انزع الرصاصة من جنبي . ففك أحد ثياب أخيه ، وما أن شاهد الجرح ، حتى استل خنجره وهمّ بأن يجهز على عبدو ، فناداه عزيز قائلاً : « تعال يا أخي ، فإنما قضيت عليه . احملني على ظهرك إلى البيت ». ونقل الاثنين إلى منزلهما ، وعند المساء لفظاً روحيهما .

هذه الأقوصرة الساذجة والقاسية تعطينا صورة واضحة عن طبائع الكردي . فعزيز وهو يلفظ أنفاسه كان متباهاً لأن يقول لأخيه : « لا تتعب نفسك في الإجهاز على عبدو ، فإنما أجريت له حسابه . »

وبصورة عامة ، لا يعلق الكردي كبير أهمية على الحياة .
كان أحد الأكراد يسير في غابة فشاهد كردياً آخر يقتطف « العفص » في أعلى سندبانة . ولاحظ شيئاً بارزاً تحت سترته ، فظن أنه كيس دراجم ، فصوّب إليه بندقيته ورماه من أعلى . وعندما فتشه لم يعثر إلا على بعض أكواز البصل ... فعاد إلى منزله خائباً ، وقص على والدته ما حدث له ، فقالت له ... « لا تبئس ، سوف تأكل البصل مع الخبز » ويدو أن الكردي ، مثل الألباني ، يجد لذة في مشاهدة أثر الرصاصات التي يطلقها من بندقيته فتُردي رجلاً سليم الجسم معافى .

وتبرز شجاعة الكردي واستبساله أيضاً في صيد الحيوانات ، فنادرًا ما تخطئه وصاكته الوعول في الجبال . وتروي الأقاوص أن صياداً كردياً اسمه بيازيد ، أنجد ذات يوم دبًّا كان قد فاجأه فهد وكانت يتغلب عليه وحفظ الدب المعروف للكردي وتعلق به وصاحبه ، وكما جاء في أقاوص لافونتين ، فقد انتهت القصة بأن قتل الدب صديقه الكردي إذ رماه بحجر كبير ليكش عن وجهه الذباب .

ويروق للكردي أن يروي قصصاً أبطالها لصور . فالمغامرات هي أيضاً من الصفات التي لا يحقرها الأكراد . وقصة « كمو » شهيرة في قرية « شاكولورده » ، وكان هذا قد صنع عدداً من خلايا النحل ووضع فيها أفراد العسل المسلوبة وبعض الزفابير ليغطي ما سلب . وحدث ذات مرة أن قبض عليه أحد أصحاب الخلايا وهو يأخذ من خلاياه ، فقال له « كمو » : « جرت العادة في كردستان

أنه عند إنشاء خلايا جديدة ، لا بد من ثلاث نحلات : إحداها نشريها ، والثانية تستأجرها ، والثالثة تسلبها ». وراجت أعمال « كو » إلى أن جاء يوم وصل فيه إلى القرية مأمور الضرائب ، فاختار ماذا يفعل . إن هو صرّح له بأنه يملك عدداً قليلاً من النحل ، فكيف يبور كميات العسل الكبيرة التي كان يبيعها ؟!. وإن هو صرّح له بأنه يملك عدداً كبيراً ، وقام المأمور بالكشف على الخلايا فوجد فيها زناير لا غير .. فكيف يبور عدم وجود النحل ؟! فما كان منه إلا أن أحرق ما عنده من الخلايا .

ويجب ألا نعتقد بأن الكردي يفاخر بعنفه وبطشه وحسب . إنه يجب التذكير بتروّيه وتعقله وذكائه ، كما حدث مثلاً لعيسو الذي كان يعمل مستشاراً لأبراهيم باشا وإلى كردستان .

ف ذات يوم كان الباشا يستريح من عناء الصيد وقد جلس إلى جانبه عيسو وحيداً ليكش عنه الذباب . وفجأة لاحظ عقرباً يقترب من الباشا ، فاستل خنجره ليقتل العقرب ، لكن هذا الأخير اختفى بين الحجارة . وفي هذه الأثناء استفاق البasha ليرى الخنجر بين يدي عيسو ، فسأله عما جرى ، فاكتفى عيسو بأن أجاب : « لقد اختفى » ولم يشا أن يوضع أكثر من ذلك ، إذ أدرك أن الظنون تساور ذهن البasha . ولم تمض فترة طولية حتى توكّل عيسو زوجته وابنه علياً وغاب عن الأنظار . إلا أن أحوال البasha بدأت تسوء بعد غياب مستشاره فاستدعي علياً وطلب إليه أن يذهب إلى والده ويسأله النصح ، فقام على بالمهمة . وعندما وصل علي عند والده قال له هذا : تعال معي إلى البستان وغداً أحبيب على

استشارتك . وذهبا معاً إلى البستان ، حيث شاهد علي والده ينتزع جميع الغرس الصالح القوي ويترك الفاسد . فيرجع الابن على البستان وقال لو والده : « سوف تقضي على بستانك يا والدي ! » فأجابه عيسو : « كلاماً يا بني !! إني سأحصل بهذه الطريقة على ثمار أفضل ». وفي الصباح طلب عيسو إلى ابنه أن يذهب إلى الباشا ويروي له ما شاهده ، وأن يقول له : « لقد ذهب ولكنه عاد ! » .

ورجع علي إلى البasha وقص عليه كل ما جرى له . فصاح البasha قائلاً : إنه جواب عظيم ! وللحال استدعي كل زعماء الأكراد من عرفوا بمحيلهم ودسائسهم إلى اجتماع طارئ ونفذه فيهم كلهم الاعدام ، وعيتن مكانهم أشخاصاً عرفا بطيبة قلوبهم وعففهم . وعاد النظام يسود في البلاد . وبعث البasha يستدعي عيسو ورفع مرتبيه . وعند ذلك قص عيسو على البasha قصة العقرب قال : « عندما اخفى العقرب اختفت معه جميع شواهدى ، ولكنه عندما عاد عادت إلية الطمأنينة » .

ولابد لنا في السياق ذاته من أن نذكر حسن بك أمير « هكاري » الذي اشتهر حكمته بكل بلاد الكردستان ، فقد كانت كل كلمة ينطق بها تعتبر نصيحة وتذهب مثلاً . وفي أحد أيام الشتاء دار بحضوره حديث الأصدقاء المخلصين والأصدقاء المزيفين ، وحديث الأمانة والوفاء . فقال حسن بك : « من استطاع منكم أن يشتري بالعصفور كفاته ». وأدرك الجميع أنه العصفور الذي يظهر في أوائل الربيع . وراح كل واحد يذكر اسم عصفور . غير أن واحداً فقط أصاب الحقيقة عندما قال : إنه عصفور النقار .

وشرح الأمير عند ذلك حقيقة هذا الجواب فقال : بينما تغادرنا عصافير الربيع إلا في الأيام الجميلة الرخية ، يلبيت عصفور النقار أميناً على صداقتنا ويعيش معنا في كل الفصول .
وَكَثِيرًا مَا تكون الحيلة مرادفة للذكاء .

حدث ذات يوم أن ثلاثة رجال وصلوا مع دوابهم المحملة إلى قرب بستان ، وأرادوا أن يستريحوا وعيثاً حاول البستاني صرفهم ، فقرر أن يلجموا إلى الحيلة . وكانت الدواب التي يصطحبونها : حصاناً وحماراً وبغلة . فهمس البستاني في أذن صاحبى الحصان والبغل : « ساعداني على إبعاد هذا الحمار ، فأعدّ لكما غذاء طيباً ، وأعطي لك كل منكما قطعة نقود ». وتكلّف الثلاثة على طرد الحمار ، ثم تظاهر البستاني بالتعرف إلى الخيال مدعياً أنه أحد أبناء أصدقائه ، وتعاون معه على إخراج البغال بعيداً عن البستان . وإذا لم يبقَ سوى الخيال والبستاني ، لم يجد هذا الأخير مشقة في طرد الأول ! وهكذا نصل إلى القصص الفكاهية التي يتندّر بها الأكراد : اقتنع أحد صغار التجار في أكّرداً أن بإمكانه الحصول على ثروة إذا ما سافر إلى القرى الكردية ، فتبضع كمية من الأقمشة واتجه مباشرة إلى قرية « قلعة » أفقر القرى الكردية ، وقد دعى قال المثل : « بع واستوري مع المحتاجين ». وما إن وصل إلى أطراف القرية حتى شاهد امرأة تخوض قرب منزها ووعاءً من الحليب تستخرج منه الزبدة . وكانت المرأة رثة الثياب ، وفي كل حركة تظهر المزيد من فقرها . فاغتبط الباائع المتجلول وقال في نفسه : « لقد أصبت في مجبي إلى هذه القرية التي يرتح بها العوز ، فلن أعرض بضاعتي فيها حتى تستنفذ ». ورأته الامرأة فسألته : « من أنت ؟

ومن أين أتيت؟ وإلى أين تذهب؟» فأجابها: «أنا باائع من أكترًا أحمل معي مجموعة من الأقمشة، فهلاً اشتريتِ مني بعضها؟» فأشاحت المرأة عنه بوجهها وعادت تغضن وعاء الحليب وهي تقول: «إذهب من هنا فلدينا ، والحمد لله ، كلّ ما تحتاج إليه في البيت . ربما تجد من هم في حاجة إليك في المنازل الأخرى» فدهش البائع وقال في نفسه: «إذا كان مثل هؤلاء لا يحتاجون إلى بضاعتي ، فما شأن الآخرين» وسرعاً أدار ظهره وكرّ راجعاً إلى بلده .
ويصغر الأكتراء من البلياء ، فيروون القصة التالية :

كان في إحدى القرى «آغا» غنيًّا ولكنه أحق . فادعى ذات يوم أنه يجب على إمام القرية الذي يدفع له مرتبه ، أن يذكر اسمه في خطبة الجمعة عوضاً عن اسم السلطان ! وطلب ذلك إلى الإمام بعد أن وعده بثلاثين غنة حلوياً مكافأة له . وحلّ يوم الجمعة ، وتواجد أهل القرية إلى الجامع للصلوة وكان من بين المصلين مولى إحدى القرى المجاورة وكان يجهل الاتفاق المعقود بين الآغا والإمام . وعندما حان الوقت لذكر اسم السلطان قال الخطيب بالعربية : «أيها الآغا ، إنك دبٌّ كبير ، مكانك في جهنم وبئس المصير !» وإذا سمع المولى الغريب هذه الكلمات ، ظن أن الإمام قد أخطأ فصاح : «لا «لا» ، إلا» أن الإمام حافظ على هدوئه وتابع قوله بالعربية : «أسكتْ أسكتون . الغنم ثلاثة . لك منها عشر ولي عشرون» . ففهم المولى وسكت . وطار جنان الآغا من الفرح ، وطلب إلى رعيانه أن يختاروا أفضل ثلاثة غنة ويعطوها للإمام .

وهناك عدد من النوادر الكردية التي تدور حول بعض القرى أو القبائل . فأهالي القرية الفلانية ، مثلاً ، هم دائماً عرضة لسخرية الناس . وحدث أن جاء مرة بعضهم إلى حكيم قريتهم ليشكوا سوء حالمهم بسبب نقصان الملح ، وقالوا له : « إننا نحتاج للحصول على الملح لأن نرسل القوافل إلى المناطق البعيدة » ، وفي الطريق تتعب الدواب ، وتخترب حوافرها فتصبح غير صالحة للعمل . فانصحنا ماذا يجب أن نفعل ! » فأجابهم الحكيم قائلاً : « القضية سهلة جداً ، فليزرع كل منكم في هذا الربع كمية من الملح في أرضه » . ففعل أهل القرية بما قال . وبعد مدة من الزمن ، ذهب أحدهم إلى الحقل ليشاهد نمو الملح ، ولما لم يجد له أثراً أخذ يحفر في التربة ففوجئ تحت إحدى الركام الترابية بشيء ما يتصلب وكان ذلك شوكاً عقرب فصاح : « هذه ولا ريب نبتة ملح ! ولكن لا بد لي من أن أحسها لأنها كد من طعمها » . ففعل . وقرصته العقرب في لسانه ، فراح المسكين يصرخ من الألم وركض لتوه إلى المنزل يروي بلسانه المنتفع لذويه حكاية نمو الملح ، وكيف أن الملح النابت هو ملح حاد يقرص اللسان ...

ويروى أيضاً أن رجال قبيلة « مزوري » كانوا يأنفون من أكل إلية الحروف ، والسبب هو أن اسماعيل باشا وإلي أماديا استاء من أن المتقدمين في قبيلته كانوا يحملون له خروفاً عوضاً عن أن يجلبوا له هدية أهن ، كما تنص التقاليد ! فما كان منه إلا أن قدم لهم غذاءً من « القمع المسلوق » وعليه قطع من لحم الحروف ، وفي وسطه قطعة من الشحم ، وهذا النوع من الطعام لا يليق بقام

الزعماء . فاستبدَّ بهم غضب شديد ، ونشبت معرِّكةٌ باختاجر بين الضيوف ورجال الباسا ، انتهت بقتل مئة من خدم الباسا وتسعة وعشرين من ضيوفه . ولم ينجُ سوي واحد فقط من زعماء القبيلة ، ولكنه ما إن وصل إلى أهله حتى عتفوه على جنبه ، فاستل "خنجره" وقتل نفسه !

أعتقد أن هذه الطوائف التي انتقىتها للقارئ لا بد أنها قد أبرزت بعض ملامح الكردي في حياته . إنه قاسي ، وشجاع ، ساذج و كريم ، لا يفتقر للذكاء ولا للفطرة الطيبة !

الفصل الخامس

العائلة الكردية : مسكنها ، أزياؤها ، غذاؤها ،
طقوسها ، دور المرأة فيها

*

المنزل والقرية والخيمة

يتبدل نوع المنزل الذي يقطنه الكردي بالنسبة للموقع والشروط المناخ ، فإذا بنا نعثر على البيوت المبنية باللبن أو بالحجارة على مستوى سطح الأرض في المناطق التي تعلو ٩٠٠ متر عن سطح البحر كما هي الحال في الهضبة الأرمنية ، أو على ارتفاع ١٠٠٠ متر كما هي الحال في جنوبى جبال طوروس . أما في المرتفعات التي تتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٥٠٠ متر فتصبح المنازل تحت الأرض . أما في المرتفعات التي تتراوح بين ٢٥٠٠ و ٤٠٠٠ متر ، فلا نعثر إلا على خيام البدو

في فصل الصيف . ويدو أن بناء المنازل تحت الأرض في أرمينيا لا يتم فقط بالنظر للظروف المناخية ، بل لأن في ذلك ما يسهل حمايتها ضد الأعداء أيضاً . ويقول «بندر» في وصف مثل هذه القرى : «تشكل القرية بمجموعها سطحاً طينياً يطول أو بعين أو خمسين متراً ، حتى ليتعذر على المرء أن يميز وجود هذه القرية إن لم يكن قد زُبَّه إلَيْها . أما في الداخل فهناك تيه» من المرات والغرف المتشابكة التي يعيش فيها البشر ومواسיהם مختلطين عيشة واحدة » . وتكون المنازل شديدة التلاصق بعضها البعض في المناطق المعرضة للخطر . أما في المناطق التي يتعدر الوصول إليها بحكم موقعها ، فإن المنازل تصبح أكثر انفراداً وتبعاداً حتى لتعثر على منازل منفصلة بعضها عن بعض تماماً . ومنها ما تكون معزولة عن غيرها ، إذ تعلق بسفوح الجبال الصخرية .

وفي بعض المناطق يحدد عامل الخصب أو القحط تجمع البيوت أو تفرقها كما هي الحال في «أرداان» وفي مثل هذه الحال تزاحم المنازل والقرى فيما بينها في الوديان الخصبة ، فيما تتناثر في الجبال الجرداء أو المشجرة . وقد تكون منازل منطقة «أورمار» أكثر منازل القرى الكردية تطوراً : فهي ذات واجهات من الحجارة المنحوت يكون نصفها في الغالب مغروزاً في الجبل . وهي مؤلفة من طابق واحد علوی ، أما القسم السفلي فيُستخدم كنرائب أو مخازن أو مطابع . وهذه البيوت معتمة ، تحيط الكوى الضيقة فيها مكان النوافذ والشبابيك ، وتتجه واجهاتها نحو الجنوب . وهي لا تصلح للسكن إلا في الصيف ، أما في الشتاء فيخزنون فيها القمح .

أما سقوفها فتتألف من سوق أشجار الحور وترتکز على الجدران دون أي صنعة ، وتتكددس فوقها الأغصان والأعشاب والوحل ، إلى جانب محللة لتسوية السطح . وتستخدم السطوح في حاجات كثيرة منها ندف الصوف . وكثيراً ما تنصب فوقها الخيم في فصل الصيف . والخلاصة ، إن قرى الـأكراد في الجبال شديدة الشبه بقرى هضبة أرمينيا العالية ، وكانتها أقرب ما تكون من المعاور المظلمة التي تفتقر للهواء النقي .

ويحمل الصيف في هذه الأودية بحرارة شديدة فيرحل السكان إلى المرتفعات حيث يقضون فصل الحر . إلا أن قسماً منهم يبقى في الوديان لحراسة الكروم وسقاية حقول الذرة والأرز والدخان . ويبلغ هؤلاء إلى نصب خيم عالية يبلغ ارتفاعها أحياناً عشرين متراً ليقضوا فيها لياليهم المحرقة . ولهذه الخيم العالية فوائد عدّة : فهي تقي ساكنيها جراثيم الملاريا والوحوش الضاربة ، ويكون الهواء فيها أكثر نقاهة بالإضافة إلى أنها تصلح مراکز للمراقبة .

وتأتيت المنازل الكردية في الداخل ليس متشابهًا في كل الحالات والمناطق . وهذا نحن نقدم وصفاً لتجهيز أحد المنازل المتوسطة والشائعة : إنه مؤلف من شقين أساسيتين ، إحداهما تسمى «كولان» وهي عبارة عن بيت للمؤونة تحفظ فيه المياه والمواد الغذائية وأدوات التنظيف والمطبخ . وتُستعمل الشقة الثانية للسكن ، ويكون في وسطها «الستور» أو الموقدة . وإلى يمين مدخل البيت مسطبة من الطين على طول الحائط ، تغطيها البساط أو الفرش وتسمى «الدشك» . وفي صدر الغرفة رفّ كبير من ألواح الخشب الموضوعة فوق محامل

خشبية والمغطاة بالمحصر . وتوضع فوق هذا الرف "الفرش والألحفة والخدّات" . أما تحته فتختبأً أوعية للدر" والزبدة والقاورمة «اللحم المحفف» والجبنـة المكبوسة . وفي العادة يجلس الرجال إلى اليمين فوق الدشك ، أما النساء والأطفال فيجلسون إلى جانب الموقدة حيث يكون قدر الطعام من كرزاً على منصب له ثلاثة قوائم . وتمد ربة البيت يدها بالمغرفة إلى القدر وتوزع الطعام على الجميع . وفي أيام الشتاء يُبسط فوق الموقدة لوحٌ خشبيٌ كبيرٌ يغطّي بحرام من الصوف ، وينام الجميع تحته .

أما خيم البدو ، فهي خفيفة سهلة النقل . وهذا ما يتلاءم مع حياة الترحـل . ففي الـربيع والـخريف عندما يكون الطقس رطباً والـليالي باردة ، تنصب الخيام على المنحدرات الجنوبيـة باتجاه الـرياح الجافة وتقام المخيـات في أغلب الأحيـان عند الأـطراـف السـفلـيـة للـمراعـي ، وهذا يعني أنه في الصيف والـربيع عندما تبدأ حرارة الشمس في تـبـيسـ الأـعـشـاب ، وـتـجـهـ المـواـشـي صـاعـدة نحوـ منـاطـق ذـوبـانـ الثـلـج ، في هذه الأـثنـاء تـظلـ "الـخـيمـ قـائـةـ فيـ المـناـطـقـ الـواـاطـةـ حيثـ يـوـجـدـ المـزـيدـ منـ الـحـرـارـةـ . وبالـعـكـسـ منـ ذـلـكـ فيـ أـيـامـ الـخـريفـ فـعـنـدـماـ تـبـدـأـ القـطـعـانـ فيـ الـهـبـوـطـ منـ الـمـرـفـعـاتـ ، تـسـبـقـهاـ المـخـيـاتـ .

وتـشـبهـ خـيمـ الـاكـرادـ خـيمـ الـبـدوـ الـعـربـ فيـ الشـمـالـ . وـتـأـلـفـ هذهـ الـخـيمـ منـ شـيقـقـ سـوـدـاءـ مـصـنـوـعـةـ منـ نـسـيـجـ شـعـرـ الـمـاعـزـ ، وـهـيـ لـذـلـكـ تـسـمـىـ الـبـيـوتـ السـوـدـاءـ . وـنـسـيـجـ شـعـرـ الـمـاعـزـ متـينـ جـداـ وـمـتـاسـكـ هـيـثـ لـاـ يـسـعـ لـمـطـرـ بـالـنـفـاذـ مـنـ خـلـالـهـ . أـمـاـ فيـ دـاـخـلـ الـخـيـمـةـ فـإـنـ الـبـسـطـ وـأـنـوـاعـ السـجـادـ تـغـطـيـ الـأـرـضـ . وـيـلـغـ أـثـاثـ

بعض خم الأغنياء حدوداً من الترف تدهش الزائر . وطبعي أن أثاث الخيمة يعكس حالة أصحابها المادية . وكما أن أثاث الخيمة مختلف بالنسبة لحالة أصحابها المادية ، كذلك مختلف مساحتها . فقد شاهد بعض الرحالات خيمأ في منطقة « بايزيد » طولها ٥٠ متراً وعرضها ٢٥ متراً ، كما شاهد رحالة آخرون في شمال منطقة ما بين النهرين خيمة طولها ١٠٠ متر وعرضها ٥٠ متراً . وفي الغالب تكون الخيم الكبيرة مقسمة سققاً ، منها سقة خاصة بالنساء « الحرم » . وحتى في الحرم توجد مقصورة خاصة برب العائلة وزوجاته . ويكون الحرم مليئاً بالسجاد والبسط والطنافس والأدوات المنزلية . وما يجدر أن نذكره دائماً هو أن الخيمة بالنسبة للكردي ليست سوى مسكن صيفي . فإن للأكراد ، حتى في جنوبى جبال طوروس ، منازل شتوية من حجر ولين .

أزياء الرجال الأكراد

إن الأزياء الكردية مثلها مثل المسكن ، فهي نتيجة طبيعية للوسط الذي يعيش فيه الأكراد .

يقول ديكسون : « يرتدي كردي المضبة الأرمنية ثوباً ضيقاً ذا أكمام فضفاضة مشدوداً عند الساقين ، ويحتذى جزمة . ولا يكاد الكردي ينزل عن صهوة جواده ، وهو مسلح دائماً بالبندقية وحزام المطروش والخجر . وكان السلطان عبد الحميد قد جند حرسه الخاص « الحميدية » من هؤلاء الأكراد ، مقلداً في ذلك القوقاز الروس . ويكمل الكردي لباسه بقبعة من اللباد الأبيض مخروطية الشكل ،

يجيئ بها منديل "أسود من الكشمير".

وفي جبال كردستان الجنوبي يرتدي الأكراد عوضاً عن الثوب الضيق ثوباً واسعاً أكثر ملائمة لتسقى الجبال، وسرروا ذا ذيل فضفاض من الخلف. أما السترة فقصيرة من القماش الأبيض السميكة. وقبعة الرأس عبارة عن لبادة مخروطية الشكل بيضاء يجيئ بها منديل ذو لونين : أبيض وأزرق ، على شكل «عين العصافور» . ويشد الكردي في هذه المنطقة وسطه بحزام ملون ، وينتعل حذاء خفيفاً من اللباد . أما الخنجر ذو القبضة الفضية فيكمل هذه اللوحة الجميلة ! أما الكردي البدوي فيرتدي ثوباً شبهاً تماماً بشوب البدوي العربي ، بالإضافة إلى الخنجر الكردي الذي لا يستغني عنه .

والحقيقة أن الزي الكردي للرجال ، بقدر ما هو مرتبط في خطوطه الكبيرة بمتطلبات حياتهم ، فإنه يتم عن ذوق غزير التعبير . وفيها يلي نماذج من الأزياء التي لا يزال الأكراد يرتدونها منذ القدم حتى اليوم :

«ها هو كردي مدید القامة ، صلب التقاطيع ، يرتدي ثوباً منمقأً بما يتلاءم مع الذوق الكردي . ويبدو أن العمامات التي يلبسها ، تكاد لامتدادها تُفرق بين ثناياها الفارس والفرس الصغير الذي يحيط به . وتبرز من بين هذه الكتلة من القماش المتعدد الألوان ، قبعة مخروطية من اللباد الأبيض . وتبدو المطية النحيلة بهذا الملحق وكأنها مترجرجة على وشك السقوط من الأعياء ، ويتهدّل على جانبها وساحٍ متعدد الألوان يلامس طرف في الطريق !

«أما أكراد جنوبي «أورميا» فإنهم يغطون رؤوسهم بشال

من الحرير المخطط بالأحمر والأبيض والأزرق ، معقود بأفافة وفي طيات كثيرة ، على قلنسوة حمراء . ويتاز هؤلاء بلا منع فرسان القرون الوسطى إلا أن عيونهم السوداء تلمع ببريق عجيب تحت هذه القبعات المزركشة . ويرتدون ثياباً هي عبارة عن صدار واسع ورداء ذي أكمام فضفاضة مزركشة على النمط التركي . وفوق ذلك كله سترة بمطنة بالفرو . ويتمنطق الأكراد في وسطهم بختيج ويزوج مسدسات . وإلى جانب ذلك عدد من أوعية البارود وأمشاط الرصاص . وهم يغطون كل ثيابهم وحوائجهم بعبادة من وبر الجمال بيضاء وسوداء ، أو مخططة بالوان أخرى » .

ولا حاجة بنا للقول بأن جميع هذه الأثواب الجميلة الملونة مقتصرة على الرعماء . أما الثوب العادي الذي يرتديه أهل كردستان بصورة عامة ، فيتألف من سروال واسع وسترة من الصوف المنسوج في المنزل ، وصدر من اللباد بدون أكمام ، وقبعة مخروطية من اللباد أيضاً .

أزياء النساء الكرديات

كانت الأزياء النسائية الكردية في مناي عن أي تأثير بالأزياء الغربية . ففي الشمال يكون ثوب المرأة بسيطاً ويتألف من قميص طويل ملون ، وسروان أحمر . وهي تتضع على رأسها عمامة كبيرة . ويقول « ديكسون » إن ثوب المرأة الكردية يشتمل عادةً على سروال بشكل كيس وفوقه قميص طويل ملون ، بالإضافة إلى صدرية واسعة .

ويقف نساء الــاكراد شعورهن على شكل جداول يغطينها بقبعة مستديرة مــحلاة بــجلــى زجاجية وتحيط بها محــرمة . أما في المناسبات الرسمية ، فيضاف إلى هذا الــزي عقد من الفضة فوق الصدر ، وأساور في المعصم ، وببعضهن يــمــحــطــن رؤوسهن بــســلاــسل من الذهب أو الفضة .

أما في جنوب الــكردستان ووسطه ، فتصبــع مــلــابــســ المرأة أكثر تعــيــداً . فــهــنــالــكــعــامــةــ الفــضــفــاضــةــ ،ــ والأــقــراــاطــ المــعــلــقــةــ فيــ الأــذــنــينــ ،ــ والأــســاوــرــ فيــ الــمــعــصــمــينــ ،ــ وــصــفــوــفــ مــنــ الــقــطــعــ الــذــهــبــ الــمــعــلــقــةــ عــلــىــ الــجــيــنــينــ .ــ وــنــســاءــ الــاــكــرــادــ لــاــ يــعــرــفــنــ قــطــ الــحــجــابــ عــلــىــ وــجــوهــهــنــ .ــ

هركتــ المرأةــ الــكــرــديةــ

يعكس وضع المرأة الــكــرــديةــ مــيــزــاتــ وــخــصــائــصــ الشــعــبــ الــكــرــدــيــ .ــ وــمــنــ الــمــؤــكــدــ أــنــ جــمــيــعــ الــأــشــغــالــ الــمــنــزــلــيــ الشــافــةــ تــقــوــمــ بــهــاــ النــســاءــ ،ــ فــهــنــ يــحــمــلــنــ الدــوــاــبــ وــيــنــزــلــنــ الــأــحــمــالــ عــنــهــاــ ،ــ وــيــصــعــدــنــ إــلــىــ مــوــاــطــنــ الــقــطــعــانــ طــلــبــ الــغــنــمــ .ــ وــهــنــ يــلــتــقــطــنــ الــأــغــصــانــ وــالــأــخــشــابــ الــلــتــدــقــةــ وــالــطــبــخــ ،ــ وــلــاــ يــتــخــلــيــنــ أــثــنــاءــ عــمــلــهــنــ هــذــاــ أــبــدــاــ عــنــ أــطــفــالــهــنــ الــذــينــ يــعــلــقــتــهــمــ عــلــىــ ظــهــورــهــنــ .ــ وــإــذــاــ كــانــتــ النــســاءــ تــكــســبــ مــنــ هــذــهــ الــأــعــمــالــ الــمــرــهــقــةــ قــوــةــ جــســانــيــةــ كــبــرــىــ ،ــ إــلــاــ أــنــهــنــ يــفــقــدــنــ بــذــلــكــ أــنــوــثــهــنــ ،ــ وــســرــعــانــ مــاــ تــذــوــيــ مــلــامــعــ الــبــجــالــ فــيــ وــجــوهــهــنــ .ــ وــنــســاءــ الــزــعــمــاءــ وــحــدــهــنــ -ــ وــيــطــلــقــ عــلــيــهــنــ اــســمــ خــانــمــ -ــ يــســتــطــعــنــ الــحــفــاظــ عــلــىــ جــمــالــهــنــ لــأــنــ حــيــاتــهــنــ هــنــيــةــ رــغــدــةــ لــاــ يــقــمــ فــيــهــ بــأــيــ عــلــمــ شــاقــ .ــ وــنــســاءــ الــاــكــرــادــ

جيعهن ، منها تكون طبقهن ، ومهما بلغن من العمر ، يجدن الفروسيّة بل ويتحدّن الرجال في امتطاء الخيل كما أنهن لا يتزدّن في الإقدام على تسلق أخطر الجبال .
وتحتّل نساء الأكراد مع الرجال ، ويتحدّثن بحرية ، ويعطين رأيهن بصراحة .

يقول سوان : « في كثير من الأحيان كانت ربّة البيت تستقبلني في غياب زوجها وتجلس إليّ وتحادثني بدون هذا الحigel المصطنع الذي عُرف لدى النساء التركيات أو الفارسیات ، بل وهي تتّاول الطعام مع ضيفها ، وعندما يعود زوجها لا تترك ضيفها بل تنتظر زوجها حتى ينزل عن جواده ويقوده إلى الخظيرة » .

وليس من عادات الأكراد الحمد من حرية نسائهم ذلك أن هؤلاء النساء فاضلات مع تأنق وظرف ولباقة . ولا وجود للبغاء بين الأكراد ، بل إن كثيراً من الرذائل المنتشرة في الشرق تكاد تكون مجهولة عندهم . وفتیان الأكراد يعيشون قيّاتهم ، ويعرفن إليهن جيداً قبل الزواج . بل إن الزواج لا يتم إلا بعد حب متبادل ، ذلك أن الأكراد يتّرکون للعواطف الصادقة مجرّها الطبيعي .
ويحتوي الأدب الكردي على ديوان شعر لمصباح المكري ، ينشد فيه قصائد غزل عذري بحسبته « نصرة » التي لم تصبح زوجته أبداً . كذلك تروي السيدة « بول هنري بوردو » في قصتها الطريفة « انترام ده تریزو ند » ملحمة حب رائعة عاشتها فتاة أميركية ، باعها رجال الدرك إلى كردي . وهذه هي الفتاة الأميركيّة تروي مغامرها : « ماذا كنت بالنسبة لهذا الكردي ؟ أمة ؟ خادمة ؟ ضيفة ؟

لماذا اشتراكي؟ لقد كان في أعماق هذا البدوي جوهر نبيل فطري فهو ضئيل بجريته لا يفوت بأدنى جزء منها . ولم يكن في بيت الكردي حرم ، فمن أين له هذا الاحترام الذي يكتنه للمرأة ، والذي يكاد يكون مجهولاً عند الشعوب الشرقية ؟

« ... لقد أحببت هذا الرجل مع أني لم أكن أعرف عنه شيئاً ، بل كنت أجهل حتى لغته وتاريخ شعبه ! »

« ... وفي الصباح أنهضني من فراشي وأخذني من يدي وراح يدور معي بتؤدة حول النار . وهذه هي العادة لدى الأكراد ، فالفتاة الكردية عندما تتزوج تودع منزل أهلها بهذه الطريقة . وبعد لحظات استدعاني أنا ومربيتي إلى ساحة المنزل حيث كان قد جمع مئة غنمة وخمسة جواميس ، وفرساً . وقال لي : « كان من الواجب أن أقدم لوالدك هذا المهر ، ولكنني أعطيه لمربتك التي رافقتك ». وكان ينظر إلي بفرح ظاهر . بالطبع لم يكن أحد ليرغمه على هذا العمل ، ولكنه كان يريد أن يظهر للجميع أنه لا يحتفظ بي كغريبة لتعة رخيصة ، إنما هو اتخاذ مبني زوجة شرعية ويجب على الجميع أن يحترموني . فشعرت بتاثر شديد . وبعد مضي أسبوع ، سمعت وقع أقدام وثغاء حملان على باب الحجنة فخرجت لأرى ما يحدث ، فأخذ يترقبني ، ثم قال : « كان يجب أن تذهبي بعد العرس إلى أهلك ليقدموا لك البقرة والفرس والمعزاة ، لتصبح مواليدها ملكاً لك ، فهذه هي عادتنا . وأنا لا أريدك أن تكوني أفقر من غيرك من النساء ، لذلك فأنما أقدم لك هذه المهدية . »

« ومررت الأيام ورزقت طفلاً أخذ ينمو بيننا ، ولكنه لم يتعلم

أية كلمة كردية . لقد كان أقرب إلى الأرمن . ولم يكن والده يتذمر ، ولكنه قال لي ذات يوم : لقنيه على الأقل كلمة بابا ! فرفضت . ودامت السعادة ينتنا » .

والطلاق سهل عند الأكراد ، فكثيراً ما يحصل أن يختدم النقاش فيما بينهم فإذا بهم يقسمون بالطلاق فيما إذا وقع هذا الأمر أو إذا لم يقع . وهم ينفذون أيمانهم ، ولكن سرعان ما يبدأ الندم يضيق على صدورهم . ويشعر الرجل المطلق برغبة شديدة في استعادة زوجته ، لكن الشرع يمنع ذلك إلا في حالة واحدة هي أن تتزوج المرأة المطلقة رجلاً آخر يعود فطلاقها . عند ذلك يتحقق لزوجها الأول أن يعقد عليها زواجاً جديداً . وكثيراً ما تجد في المدن أشخاصاً يتنهون هذا الزواج العابر مقابل مبلغ معين من المال ، فعندما يحدث الطلاق في ساعة غضب ويُغضّ الزوج أصابعه على هذه الخطيئة ، يلجم إلى هذا الشخص المتهن ليبلغه بواسطه الطلاق . وتترجم عن ذلك ملابسات عدة يتذرّ بها الأكراد .

ويلهو الأكراد برقصة الدبكة وهي عبارة عن شبه دائرة يتassك فيها الأشخاص بأذرعهم ويأخذون بالقفز . والذي يكون بالمقعدة يمسك منديلًا مفتوحًا يلوّح به بإحدى يديه ، وبالثانية يقود حلقة الراقصين .

يقول « مينورسكي » : « في ذات يوم أقام الأكراد على شرف حفلة رقص شعبي . فما أن ارتفع صوت المزمار مع الطبلور حتى كانت النساء ، وقد لبسن أجمل زينهن ، يختلطن مع الرجال في حلقة الرقص . واستمر الجميع يضربون الأرض بأرجلهم ضرباً

جميلاً حتى المساء».

وهكذا يتضح لنا أن المرأة الكردية لها شخصيتها المميزة. وليس عجياً أن تذكر امرأة ما بذكائها أو جمالها. وليس عجياً أيضاً أن تترعى امرأة قبيلة ما. ويكفي أن نذكر على سبيل المثال أنه عندما احتل الأتراك منطقة «هكاري» كانت امرأة كردية تحكمها.

يقول «مينورسكي»: «ولقد رأينا بأنفسنا في خريف ١٩١٤ «عدلى خانم» الشهيرة، تحكم بنفسها مقاطعة «السليمانية» التي كان الأتراك قد ولوا عليها زوجها عثمان باشا، وكان هذا الأخير يتغيب بصورة مستمرة فتتولى زوجته الحكم والإدارة مكانه».

وقد عاش «سوان» بعض الوقت متذكرًا بشباب تاجر إيراني في بلاط «عدلى خانم»، فوصف بشكل طريف كيف كانت تحكم رعاياها وتوجههم دون أن تفرط إطلاقاً بشؤونها كإمرأة صالحة وكربنة بيت، فتتصرف إلى كل ذلك في انتظام. وعندما تبدل الحكم في تركيا أرسل والي تركي إلى «السليمانية» فاعتزلت عدلى خانم الحكم.

ويحب الأكراد، بصورة عامة أولادهم. وإننا لنرى قرب كل رئيس قبيلة أو زعيم، طفلاً مختاراً يكون عاشر أو حادي عشر أولاده. ويدرك «شرف نامه» أنه كان لفؤاد بك سبعون ولداً. ومثل هذه الحالة ليست شاذة، إذ ليس من النادر أن تعاشر في الجبال على شيخ جليل يحمل بين يديه ابنه الطفل. ويدرك «مينورسكي» في هذا المجال، إذ كان في إحدى رحلاته إلى الكردستان ووصلت القافلة إلى طريق ضيق يشرف على هاوية:

« وفجأة ظهر فوقنا شخصان ، الأول كردي فقير كجيمع فلاحي تلك المنطقة ، وهو يحمل بين يديه طفلاً في أهاط بالية ، وكان الثاني زوجته التي ظهرت عليها إمارات الحزن وهي تتبع زوجها وتحمل خبره . وكان الطفل قد سقط فأغمى عليه ، وما ذاهبان الآن لعرضه على أحد المتجمدين . وما أن عرفت المرأة أنها أوربيان ، حتى أخذت تمسك بزمام الخيل وتستعطفنا طالبة منا أن نشفى ابنها ، ذلك أن الأكراد يعتقدون أن جميع الأوروبيين أطباء . يا للتناقض !

لقد تذكرت في تلك اللحظة ازدرااء الأكراد للموت والخطر ، إذ خطوت في ذهني أقوال أحد زعمائهم : « ليس من عار على المرأة إلا أن يموت فوق فراشه ! أما إذا أصابتني رصاصة ، وحملني القوم إلى المنزل ، فالجميع يفرحون لأنني أموت ميتة شريفة » . قد تكون نساء الأكراد مؤمنات بهذه الفلسفة القاسية . أما المرأة التي شاهدتها ذلك اليوم فإنها كانت تعلن بشكل لا يقبل الجدل أن في قلبها أو تاراً أكثر رقة من كلمات ذلك الرعيم » .

ولا بد لنا من القول أن الوسائل الصحية معروفة تقريباً لدى الأكراد . غير أن الأمراض الخطيرة تكاد تكون معروفة لدى البدو منهم . وتقتصر أوجه التطبيب لديهم على أن يوضع حباجب في مكان الألم ، أو أن يبتلع المريض ورقة كُتُبَتْ عليها إحدى الطласم . وقد يعتمدون إلى استعمال بعض الحشائش ، إلا أن هذه الوصفة الأخيرة لا تزال بدائية .

ونذكر بالمناسبة ملاحظة أحدهم أن بعض القبائل تلجأ لشفاء

الجروح إلى طريقة طريفة ، إذ تلف الجريح بجلد طازج وتحيطه حوله ، ويسقط الجلد مع الزمن عن جسم المريض . وتعتقد القبائل أن أخطر الجروح تشفي بهذا الأسلوب .

كل ذلك يوضح لنا الثقة الكاملة التي يضعها الأكراد في الطبيب أو في أي أوروبي ، وحتى لو لم يتمكن هذا أن يقدم مساعدة للمريض سوى قطعة سكر وفوقها بعض الكحول . فإن المريض ، سرعان ما يعلن عند ذاك أن حالته قد تحسنت . ويكثر لدى الأكراد داء « العصبي » التي يتآتى من الحيم التي يقطنونها والتي لا تتمكن في الغالب من حمايتهم من البرد . ثم هناك الملاريا التي غالباً ما تكثر في المناطق الكردية . والوسيلة الوحيدة لتجنبها هذا المرض هي سكنى الاكواخ العالية . ومهما يكن من أمر ، فإن أطفال الأكراد إذ يُتركون منذ الصغر بدون رعاية ، يكتسبون مع الزمن صلابة بدنية ومناعة ضد الأمراض . لذلك فإن المغرين ما فوق المئة يكتثر عددهم في القبائل الكردية .

وقبل أن نهي الحديث عن الأسرة الكردية لا بد لنا من القول إن الأكراد نادراً ما يعذّدون زوجاتهم ، فالأسرة الكردية الاعتيادية لا يزيد عدد أفرادها عن الرجل والمرأة والأولاد . أما الزعماء الأكراد فيحق لهم الأكثار من الزوجات حتى يصلون عدداً لا متناهياً .

كيف ينظر الأكراد إلى نسائهم

لما كنا قد تركنا المجال ورحباً للأكراد كي يصفوا أنفسهم

بأنفسهم ، لذلك فإننا نترك الكلام هنا للدكتور «كاموران علي بدير خان» شقيق الامبراطورة ثريا ، الذي نشر سلسلة من الابحاث حول الموضوع في جريدة «الأوريان» بيروت . وبالطبع فإن الكاتب المذكور يحدثنا عن المرأة الكردية المترفة التي تعيش في وسط النبلاء ، لا عن نساء الشعب الفقيرات .

يبدأ الكاتب بالإشارة إلى ناحية هامة يعتبرها مميزة في حياة المرأة الكردية ، ألا وهي عدم وجود الحريم – أي المكان الخاص بالنساء – في الحياة الكردية ، الأمر الذي يطلق الحرية للمرأة ويفسح لها المجال لأن تكون شخصية نسائية صالحة .

فالكردي لا يفكر قط بالتضييق على المرأة ، فهو يعتبرها دائماً أهلاً لذات الثقة وذات الحقوق والمسؤوليات التي يتمتع بها الرجل . وهذا يعني من الناحية النفسية أن المرأة مزودة بذات الفضائل التي يتزود بها الرجل .

ويستعرض الكاتب بعد ذلك حياة المرأة الكردية في جميع مراحلها : تتولى الأم تربية ابنتها فتعلمتها الأغاني الوطنية ، والرقص الشعبي والفروسيّة ، والكتابة ، تماماً كما تعلّم إخواتها الذكور . وتعلمتها فوق ذلك الاعمال اليدوية . وتحتلّ الفتاة مع الرجال فتتعرف بذلك على زوجها في المستقبل . وما تجدر الإشارة إليه هو أن من عادات الأكراد أن يطلق على الولد اسم والدته التي لم يتمكن زوجها من معادلتها في جرأتها وقدرتها على الحرب . ويعطي الكاتب دليلاً على ذلك أن الأمير «كاموران» ابن رئيس قبلة «رمان» يحمل اسم والدته «برهان» لا اسم والده .

وغالبية الشعر الوجданى الكردى هو من وحي المرأة ، بل إن
جزءاً كبيراً من الأغانى والأناشيد هي من نظم النساء .
وفي معظم الأحيان تقوم المرأة الكردية مقام زوجها الراحل .
ويذكر الكاتب اثنين من النساء لبت اسمها عزيزاً على الشعب في
منطقة « بيشدر » هما « بوا حليم » و « مهانو كيز » اللتان
اشتهرتا بقاومتهما للاحتلال العثمانى .

ويneathي الكاتب ملاحظاته بالإشارة إلى أن المرأة الكردية هي
عامل أساسى في النهضة الكردية المقبلة من جميع نواحها .
ولتنبه هذا الدفاع البالىع عن المرأة الكردية بأقصوصة صغيرة
مستقاة من مجموعة الأقاچيس الشعيبة الكردية :

« سأّل اسماعيل باشا آخر الزعماء الحمدين عيسو العاقل : من هي
أفضل امرأة ؟ فأجابه جواباً غير واضح لم يفهم منه ما يريد . ولما
استعصى على اسماعيل باشا فهم ذلك ، اقترح عليه عيسو أن يقوموا
بحجولة معاً . فتنكروا بزي الدراوיש ومضيا . وكان أول منزل
دخلاه منزل رجلٍ هو أصغر إخوانه الثلاثة ، فطلبوا منه أن يضيفهما ،
فرحب بهما . وعندما جلسا ، لاحظا أن ذقن مضيفها بيضاء ،
 وأن قامته مقوسة . فسألاه بدهشة عن سبب حاله وهو لا يزال
شاباً في الأربعين من العمر ، فأجابهما قائلاً : غداً تذهبان إلى منزل
أخي الأكبر فتدركان الحقيقة . ثم نادى رب البيت زوجته ، يا
سمّ الأفاعي ؟ ! قال لها : يجب أن تهيئي طعاماً للضيوف الدرويشين .
فردت عليه بصياح : ماذا تريدين أن أهيء ؟ ألا تعلم أن منزلك

خراب ، لا يحتوي على شيء ! وهكذا كانت المرأة تجذب على كل طلب من زوجها بالصراخ والألفاظ النابية . وعندما حان وقت النوم ، قال الزوج : لدينا فراشان وغطاءان ، فلنأخذ أنا وأنت فراشاً وغطاءً ، ونعطي الباقى لضييفنا . فجاوبته الزوجة : فقدت بصرك ! ألا تعلم أنني لا أسمح لك أن تلامسني ؟ خذ أنت غطاء وأنا آخذ الآخر . وهكذا أمضى الباسا ومرافقه عيسو ليلة نكراء . وعند الصباح ذهبوا إلى منزل الأخ الأوسط ، فوجدا أن ذقن هذا شحطاً ، فسأله الباسا : كم عمرك ؟ أجاب : إني أناهز الستين . فاعتبره الباسا قائلاً : « ولكن في مثل هذه السن تصبح الذقن بيضاء تماماً ، فلماذا تشذ ذقنك ؟ فأجاب المضيف : أمضيا الليلة عندي ، وفي الغد تذهبان إلى منزل أخي الأكبر فتعرفان السبب . فقبلما . وكانت ربة المنزل تلبي رغبة زوجها تارة ، وتارة تتجاهل طلباته . مرّة تظهر مهذبة ، وأخرى فظة . وعند الصباح ذهبا إلى منزل الأخ البكر ، فوجدا أن لحيته سوداء فاحمة على الرغم من بلوغه الثمانين ، ولما استوضحا السبب قال لها : لا تعجبها أخيها الدرويشان ، أمكثا عندي فتعرفا السبب . وكان هذا الأخ البكر أفقر من أخيه ، غير أن زوجته كانت تطيعه طاعة عمياء ، فما أن يناديه « يا امرأة » حتى تجذب « أجل ، أنا أمتلك فمَاذا تطلب ؟ » ولما سألهما إذا كان في المنزل ما يصلح للطعام ، أجابت : كيف لا ؟ إن لدينا كل شيء ، بيضاً وأرزًا وزبدة ، وعسلًا ! .. وبالفعل فقد هيأت وجبة طعام تليق ببيت الباسا نفسه . وحان وقت النوم ، فسأل الزوج : هل لدينا أسرة ؟ فردت قائلة : نحن تحت ظلك ،

ولدينا كل ما نحتاجه ، ومتزلفنا مثل منزل الباشا . ثم خرجت إلى بيوت الجيران وعادت بكل ما يلزم للنوم . وقال المضيف لزوجته : يا امرأة ، هذا المساء لدينا ضيوف ، ولا يليق أن ننام مع بعضنا ، فلنفترق . فأجابته : « كلا ! إن الدرويشين أهل لنا ، وأنت تعرف أنني أفضل الموت على أن أنام بعيدة عنك » ولما جاء الصباح ، سأل البasha مضيفه عن « أفضل امرأة » فقال له : إنها بالطبع امرأتي . فهي تعمل المستحيل لكي تريحني من كل هم ، وتحمّل من كل ما نحتاج إليه فلا تخجل تجاه الضيوف . وإذا ما نقصنا شيء استعارته من الجيران . إنها تحبني ، والهرم لا يمكن أن يدخل حياتنا . وعند ذلك أدرك البasha معنى كلام عيسو ، وأطراه وكفأه ، كما أنه أسبغ الثراء على الاخ البكر ، وحمل الأوسط على الطلاق من زوجته ، وزوج الاخ الأصغر من امرأة ثانية .

ويتضح للقاريء من كل ما سبق ذكره أن الأسرة الكردية أقرب إلى المفهوم الغربي من الأسر التركية والإيرانية ، وذلك لما تتمتع به المرأة الكردية من مكانة . فعدا عن أنه يندر قعده الزوجات في هذه الأسر ، فإن المرأة تولى إدارة المنزل والخدم ، وهي التي توزع الطعام على أفراد الأسرة ، ولا يمكن لأحد أن يبدأ الأكل بدون إذنها . وفي غياب الرجل تستقبل هي الزوج وتضيفهم ، وتحدث بحرية إليهم ، ولا تخفي وجهها كما تفعل غيرها من النساء في بعض بلدان الشرق .

رب العائلة

هناك صفة رئيسية تميز بها الأسرة الكردية ، وهي أن الزوج يتم نتيجة الحب المتبادل ، إذ أن العروسين يتعارفان جيداً وما

خطيبان قبل الزواج ، بينما يتم الزواج لدى معظم الأسر الشرقية الأخرى بواسطة شخص ثالث . وعدا ذلك ، فإن الاب هو رب الأسرة الواحد الذي يملّك بيته كل أمر ، فله المكان الأول في الأسرة ولا يحق لأفراد العائلة أن يتحدثوا بحضوره إلا إذا أذن لهم ، وهم يلبيون وقوفاً بين يديه .

ويأتي بعد رب العائلة مباشرة ابنه البكر . ويُكنّ "الكردي" لوريثه حبة خاصة ، وهذا ما يفسر لنا السبب الذي من أجله يتبادل الأكراد فيما بينهم أثناء المفاوضات ، أبناءهم البكور كرهائن . ورهينة الإبن البكر أفضل وأضمن بكثير من أي قسم . والقبيلة قد تقدم على خرق جميع تعهداتها إذا كان رئيسها مرتئنا ، ما دام وريثه موجوداً ، ولكنها تتقيد بعهودها إذا ما ارتهن الإبن البكر لأن ذلك يعرضها إلى حرب أهلية بعد موت الزعيم .

وتتقيد الأسرة الكردية تقيداً مطلقاً بالسلسلة الوراثية لأفرادها . وإننا لنشاهد في كل لحظة أمثلة وشواهد كثيرة على ذلك . فهذا الحاج نجم الدين بحاجة بحاجة نار يولع بها شقيقه - غليونه - فيسرع ابنه البكر كخادم مطيع ويحمل له طلبه ويقدمه له بكل احترام . كذلك إذا كلف الإبن البكر أخاه الأصغر بحاجة ما فإن هذا الأخير يلبي طلبه بذات الاحترام والطاعة . وهكذا يجري التسلسل ..

ولا يتحقق لفتيان الأكراد أن يجلسوا بحضور الكبار ، بل يجب أن يبقوا وقوفاً لخدمتهم ، فيحضروا لهم القهوة والشيش . وإذا ما دخل أحد الفتيا إلى الخيمة فإنه يقبل أيدي جميع الذين

يُكثرون به سنًا . و هو لاء بالمقابل يقبلون جينه . أما إذا دخل الحيمة
رجل من فإنه يكتفي بأن يصافح يد الزعيم ، ويكتفي كل منها
بأن يمس جينه بيده علامة الاحترام .

و يرث الأولاد والدتهم بعد موته ، أما إذا لم يكن له أولاد
فإن الميراث ينتقل إلى أخيه أو إلى أبناء أخيه . و يرث الذكر
ضعف الأنثى . وإذا توفيت المرأة ولم يكن لها أولاد فإن قسماً
من ميراثها يذهب إلى زوجها ، والقسم الثاني إلى أهله ، أي إلى
إخواتها وأخواتها ، وأولادهم . أما إذا كان للمرأة المتوفاة أولاد ،
فإن زوجها يرث الرابع ، ويرث الأولاد الباقي . أما المرأة فإذا توفي
زوجها ولم يكن لها أولاد فترت الرابع ، وإذا كان للرجل زوجتان
فإنهما تقاسمان هذا الرابع . وإذا كان لها أولاد فلا تثال إلا الثمن
والباقي للأولاد . ويعين ولها على الأولاد الصغار أخوهم البكر أو
عمتهم .

وتتمسك الأسر الكردية بنسبيها ، ذلك أن الأسر القديمة تعلق
أهمية كبرى على عراقتها وتحافظ على تسلسل نسبها . وليس أحب
إلى نفس الكردي من أن تحدثه بود عن آجداده . وأن تذكر
أمامه بعض أسماء أسلافه ، فإذا به يأخذ في تعداد بضعة أجيال ،
ويحدثك عن بطولات آجداده في قتال الأتراك والفرس . ولا
يطمئن الكردي إلا إذا حفظ أكثر ما يمكن حفظه من أسماء آباءه
الأولين وأنساب ذويه .

يقول « مينورسيكي » : « لقد كان من دواعي غبطتي أنني تعرفت
على حدي بك بابان الذي خص عدداً كبيراً من سني حياته في

البحث عن جذور نسبه في مصادر التاريخ العربي والتركي والفارسي، التي أنت على ذكر بعض أفراد أسرته . وإنني لا أزال أحفظ شجرة أسرته كوثيقة جدّ ثمينة لفهم العقلية الكردية . ثم إن هذا الاحساس القوي بالروابط العائلية ، والفاخر بالأسرة ، ليس مقتضاً على النبلاء من الأكراد ، بل إن كلّ كردي يعلم تماماً إلى أية أسرة ينتمي ويعرف تسلسل هذه الأسرة . وكثيراً ما نعثر في كردستان على أشخاص أميين يحفظون غياً أسماء أجداد لهم يعتقدون تاريخهم إلى خمسة عشر جيلاً مضت » .

الطقوس العائلية

ندرس في الماقاطع التالية الطقوس العائلية التي تسجل مختلف مراحل الحياة الكردية^١ التي تبدأ بالولادة :

الولادة

تم عملية الوضع فوق حصير على الأرض . ويكون رب البيت قد غادر بيته وهو لا يعود إليه إلا بعد الوضع بيوم أو يومين . ويساعد المرأة في ولادتها نساء لهن خبرة . ويتقاضين عن عملهن أجراً معينة . ويكون «الملا» قد كتب حجاباً ليتم الوضع بسهولة وسلامة ، ويكتب بعد الوضع حجاباً آخر لحفظ الأم وطفلها من

(١) اتنا نستعين بدراسة «تشورسين» عن أكراد أذربيجان في الاتحاد السوفيatici .

كل شر . وبكافة «الملا» على ذلك بقرة أو نعجة .
وإذا ما تعترت الولادة يأخذ النسوة يشدّدن أذني المرأة ،
وهن ينادينها باسمها ، ويصرخن بأذنيها ، ويتولسن إليها أن تستعيد
رشدها ، ويقلن لها إن أخاها أو أحد الضيوف قد وصل . وإذا ما
اغمي عليها تطلق العبارات النارية لتبقظ . وفي بعض الأحيان
يذهب بعضهم إلى الساقية ويقطع الماء بالمدية ، وفي ذلك رمز سحري
للدلالة على قطع القيود التي تكبل المرأة .

وفي المعتقدات الكردية الشعبية أن المرأة عند وضعها يهاجمها
مخلوق سحري يدعى «هلناسى» وهو عبارة عن امرأة فارعة القوام ،
نحيلة ، نحيفة ، لها ثديان طويلان تحملهما على كتفها ، وهذه المرأة
الساحرة تتزرع قلب المرأة عند ولادتها وتأخذه إلى الساقية لتغسله
في الماء . وهي إذا ما تكنت من ذلك ، ماتت المرأة . ولكنكي
يطردوا الساحرة ، يأخذون بإطلاق النار حول المرأة أثناء ولادتها ،
ويتحققون بالساحرة إلى الساقية يقطعون مياهاها بالسكين ، ليمنعوها
من غسل قلب المرأة .

وإذا مات الطفل عند ولادته يلتحم الأهل إلى «الملا» فيفسر لهم
هذا السبب ، ويعود في الغالب إلى أن إحدى النساء قد دخلت
المنزل وهي تحمل حجاباً مزيفاً ، فإذا ما كافأوه ببلغ حسن ، صنع
لهم حجاباً جديداً من شأنه أن يطرد الشر عن الأولاد العتيدين .
وكي تحافظ الأسرة الكردية على طفليها الجديدين ، فإنها تمنع جميع
النساء اللواتي عُرف عنهن أنهن يحملن أحتجبة مزيفة ، من الدخول
إلى المنزل . وإذا ما أصيب الطفل بخوف ما ، يطفئه أهل جرة

مشتعلة في وعاء ماء ويقدمونه له ليشرب منه .

وتحتار الأم اسمًا لطفلها بعد أن تستشير النساء اللواتي ساعدنها أثناء الوضع . وفي كثير من الأحيان يطبع «الملا» بالحصول على أكثر ما يستطيع من أهل الطفل ، فيذهب إلى كتبه ويستشيرها ، ثم يعلم الأهل أنهم إذا ما أطلقوا على الطفل اسمًا غير الذي ينتقيه ، فإنه لا بد أن يموت . فيتسارع الأهل إلى إغداق المدايا على «الملا» مكافأة له .

وتم عملية الختان عندما يصبح بقدور الأهل أن يقدموا وجبة طعام لاثقة . ويتعمد الأهل أن ينتقا الطفليم «إشينا» غنياً ، ثم يوجه رب الأسرة الدعوات . ويعتبر رفض مثل هذه الدعوة إهانة كبرى . ويحضر الآشين معه خروفين أو ثلاثة ، ويدبح والد الطفل العدد ذاته من الخرفان ، وتقام وليمة يحضرها شخص واحد عن كل أسرة . ثم يذهب المدعون كلهم ويبيقى أقارب الآشين والطفل وتم عند ذلك عملية الختان ، ويتولاها حلاق المنطقة . وبعد ثلاثة أو أربعة أيام يأتي الآشين ليطمئن إلى صحة الطفل ، ويحمل معه قدر طعام ورغيف خبز كبيراً ، وحليناً وعسلًا وبهذا وزبدة . وعندما يعيد أهل الطفل القدر للآشين يرافقونها بقطعة قماش أو بسجادة ، أو يرسلون له بقرة . ومهمها يكن من أمر فلا يجوز إطلاقاً إعادة القدر خالية .

وترضع الأم طفلها لمدة سنتين أو ثلاث ، وينبذل للصبي من العناية والحنو أكثر مما يُبذل للفتاة . وإذا لم تلد المرأة سوى البنات ، ينظر الناس إليها بإشفاق ، وتتعرض في البيت إلى التوبيخ

والتأنيب .

وكي يحافظ الاهل على أولادهم من «العين الشريرة» ، يحيطونهم بالتعاونيه والحب . ومن الحجب الشائعة الاستعمال أن توضع تحت سرير الطفل قطعة خبز ، وفي الليل عندما يُخرج أحددهم طفله خارج المنزل يضع على صدره أيضاً قطعة خبز . والخبز في اعتقادهم من شأنه أن يخيف الشيطان والارواح الشريرة .

لقد وصفنا حتى الان الطقوس المتبعه لدى أكراد «أذربيجان» السوفيياتية ، وتختلف هذه الطقوس بعض الاختلاف لدى أكراد كردستان الوسطى ، حيث عشت مدة من الزمن وخبرت الحياة هناك .

عندما تقترب ساعة الولادة يتجمع الجيران في منزل المرأة التي تلد ، وكلما كانت هذه أرفع مرتبة ، ازداد عدد مساعداتها . إلا أن وجود «الداية» اضطراري ، فهي التي تقوم بالعمل الاساسي بينما يلبي باقي النساء خلفها لـ«يد المعونة» لها . وفي أغلب الأحيان تتم عملية الولادة وقوفاً ، وأحياناً أخرى يعلق حبل في السقف لتنمسك به الإمرأة الوالدة . وعندما يظهر الطفل يوضع على فم الامرأة قنية ، أو أي إناء آخر له عنق دقيق لتتفتح فيه وتم عملية ولادتها . ثم تقدم «الداية» وتقطع «الصرة» بعيداً ، بينما الأعين تتربك المكان الذي ستقع فيه ، فإن هي سقطت على سلاح ما فهذا يعني أن الطفل سيصبح محارباً شجاعاً ، أما إذا وقعت فوق قدر طعام بهذه دلالة على أن الطفل سيكون أ��ولاً . ويُحتفظ بالمولود لستة أيام في الأقباط ، وفي هذه الفترة لا يحق للداية أو للنسوة

اللواتي شهدن معها عملية الولادة ، أن يغادرن المنزل ، خصوصاً في الليل ، أو أن يحملن معهن الأغطية والأدوات التي استعملنها أثناء الولادة . وإذا ما تغيب هؤلاء النساء في النهار اضطراراً فيجب عليهن أن يعدن إلى المنزل عند هبوط الليل . وإذا لم يفعلن فهناك خطر كبير من أن يتمكن الروح الشرير من قتل المولود أو أمه . وللسبب ذاته تبقى الأنوار مضاءة طيلة الليل ، ويتناوب أهل البيت على حراسته لمنعوا الروح الشرير من الدخول إليه . وهناك تقليد آخر ينص على أن تعلق في المنزل الذي تمت فيه الولادة قطعة من ثوب أحد الشيوخ الثلاثة : الشيخ جمال سواري ، والشيخ فخرى بروجى ، والشيخ بابا باريكي ، الذين اشتهر عنهم أنهم تمكنا من القبض على الروح الشرير وأخذوا منه عهداً بأن لا يصيب أولادهم بأذى . ويطلق على الأربعين يوماً التي تلي الولادة اسم « زيستاني » أي فترة استراحة الأم ، وفي أثناءها تتلقى الأم المهدأة وهي عبارة عن قطع من الحلوي مصنوعة بالزبدة والجوز .

الزواج

وبعد الولادة تنتقل إلى طقوس الزواج في أذربيجان . كانت السن القانونية لزواج الفتيان هي الخامسة عشرة – هذا قبل أن تبدل القوانين السوفياتية . أما الفتيات فسننهن القانونية هي التاسعة أو العاشرة . ويتم الزواج في أغلب الأحيان بين فتيان وفتيات القبيلة الواحدة . أما من يتزوج فتاة غريبة عن قبيلته

فيؤخذ على فعلته . وقد جرت تقاليد الماضي على أن تخطب الفتاة وهي بعد في الأقماط . وتم الخطبة بأن يعقد على رأسها بنديل عُلقت عليه قطع النقود . وفي كل عام يحمل الخطيب بمناسبة عيد الضحية ، خروفاً إلى خطيبته وقطعة قماش .

وعند إتمام عقد الزواج يدفع العريس لوالد عروسه المهر ، وهو بلغة الـ كراد : بشتيك . ويكون المهر من مبلغ من المال يتراوح بين ثلاثين وخمسين روبيلاً ، وبقرة ، وبعض الأغنام . وبال مقابل فإن والد العروس يقدم لصهره جميع الأدوات اللازمة للمنزل الجديد . وقد جرت العادة أن يتالف هذا الجهاز من سجادة وفرشة كاملة ، وقدر كبيرة ... وبالإضافة إلى كل ذلك يقدم والد العروس لابنته فرساً أو بقرة . وتعتبر التقاليد الكردية أن هذا الجهاز هو الثروة الوحيدة التي تمتلكها المرأة الكردية .

ونلاحظ هنا على الهامش أن مهر العروس عند بعض القبائل الكردية البدوية قد يبلغ أحياناً أرقاماً عالية جداً .

ولما كان العرس يضطر الأهل إلى نفقات باهظة ، فقد جرت العادة على أن يمد الأقارب بدهم بالمعرفة : فهذا يقدم خروفاً ، وذاك بعض الحبوب ، والأخر يقدم مبلغاً من المال . وهناك تقليد آخر يدعى « كرداسليك » أي الأخوة ، وهو أن يتعاهد إثنان على أن يساعد كل منهما الآخر عند زواجه . وبالطبع فإن هذا التعاهد لا يتم إلا بعد استشارة الأهل . ويترتب على الواحد أن يقدم كل ما

(١) يتنبغ أهالي قبيلة « بيلباس » عن تزويج فتياتهم خارج قبائلهم ، إلا أن حوادث الخطف كثيرة بين فتيات هذه القبيلة .

يلزم لوليمة العرس كالمخivan والبقر الخ .. وبعد العرس يقوم مع أسرته بزيارة العريس الجديد ويحمل له مختلف المهدايا والمنتجات . وبالمقابل فإن عريض اليوم يقوم بذات الواجبات تجاه عريض الغد . ويتوجب أيضاً على كل من التعاهدين أن يحرس غرفة الآخر في الليلة الأولى من زواجه . فإذا لم ثبت عذرية العروس ذهب واستدعى والدها ليسترجعها إلى بيته . أما إذا ثبتت العذرية فتستدعي والدتا العريس والعروس لتطلىعاً على الإثباتات المادية ^١ . ونذكر بهذه المناسبة أن آراء جميع الرحالة الإجانب تجمع على الإشادة بأخلاق المرأة الكردية . وللغة الكردية لا تحتوي على لفظة البغاء . ولا أجد في جميع مذكراتي عن الحياة الكردية سوى واقعة خيانة زوجية واحدة . فقد وقعت «بريزاد» الحسناء زوجة الأمير زين الدين ، بحسب شاعر اسمه «إيزو» فما كان من الأمير إلا أن قتل إيزو ، وعندئذ وضع «بريزاد» السم لزوجها الأمير ثم سمعت نفسها .

وتتصال تقاليد على أن يقوم أصدقاء العريس بواكبة العروس من بيت أهلها إلى منزل العريس . ولكن أهل العروس يغلقون الباب في وجوههم ، فيضطر الكرداش — صديق العريس — عند ذلك أن يدفع جزية لصديقات العروس . ثم ترفض الماشطة أن تلبس العروس ثيابها فيدفع لها «الكرداش» ثمن أتعابها . وعندما يصل موكب العروس إلى منزل العريس يهب الشباب كي يمنعوها من الدخول ، فيدفع «الكرداش» مبلغاً من المال ، ويتو

(١) هذه العادة كانت مألوفة في بعض المناطق اللبنانية وغيرها من مناطق البلدان العربية حتى أوائل هذا القرن - المغرب .

الموكب . وتكون العروس ممتطية صهوة حصان ، ويتقدم موكيها عازفو المزمار والطبلول . وتقضي التقاليد أن يغطي وجه العروس في هذه الرحلة بمنديل شفاف أحمر وذلك لكي تكون طليعة أيامها العائلية حمراء : أي سعيدة .

ويقف الجواد الذي تحيط به العروس في ساحة دار العريس ، ولا تنزل عنه حتى يقدم لها والد العريس هدية ، وتكون في الغالب بقرة أو حصاناً . عندئذٍ تترجل العروس وتقف عند عتبة البيت ، فإذا بأمرأة من قريات العريس تلقي عند أقدامها قطعاً من الحبز على شكل كعك ، فستقدم العروس وهي تحبى الجميع وتلتقط قطع الحبز . وتقضي التقاليد أن تقبل العروس العتبة فيما هي تجتازها ، وما إن تصبح في الداخل حتى تأخذ النسوة من أقارب العريس بيديها ويدوّرنها حول التتّور الموقد المحفور في وسط البيت ، وهن يرددن على مسامعها : « لقد أخذناك من بيت أهلك ، ويجب عليك أن تخدمي هذا المنزل حتى آخر لحظة من حياتك » .

ثم تجلس العروس في مكان أعد لها من قبل بزاوية المنزل ويكون مغلفاً بقماش أحمر ، وتحيط بها قيات من أقاربها وأقارب زوجها . وتثبت متكتة على المسائد في وضعها هذا طيلة احتفالات العرس التي تستمر يومين أو ثلاثة . ولا يحق لأحد في هذه الأثناء أن يراها سوى أقارب زوجها ، وحتى عمتها ، والد زوجها ، لا يتمكن من مشاهدتها قبل أن يقدم لها هدية تكون خروفاً أو نعجة أو إنانةً فضياً .

وللإخراج العروس من مجلسها هذا بعد انتهاء الاحتفالات ، لا

بد أيضاً من بعض الشكليات : يدعو والد العريس أهله وأهل العروس إلى وليمة يقف أثناءها والد العروس أو أحد أقاربها ويعلن أنه يجب العمل على إخراج العروس من زاويتها ، ولا يتم ذلك إلا بتقديم المدايا لها . وعند ذلك يأخذ كل من الحاضرين بتقديم هدية تتناسب مع وضعه المادي . وتتقدم إحدى النساء وتحمل جميع المدايا إلى العروس في مخبأها . وترفع هذه الحجاب لتخرج ، وتقدم فتقبل يد الجميع . وكل بدوره ينفعها بعض المال . واعتباراً من هذا الاحتفال يحق للعروس أن تتجول في البيت ، على أن يبقى المنديل الأحمر على وجهها .

وبعد مضي أسبوع تقريباً من خروج العروس من مخبأها يدعوها والدها مع صديقاتها ويدعو زوجها مع أهله إلى وليمة صغيرة . وتتكثت عند أهلها يومين أو ثلاثة ، وقبل أن تغادرهم ينفعها والدها هدية ، ويدعى هذا التقليد : « افتتاح الطريق إلى بيت الوالد ». ويأخذ الأقارب بدعاوة العروس إلى ولائم متتابعة ويقدمون لها المدايا ، لكي تتمكن فيها بعد من التردد على منازلهم . فإذا حدث ولم يفعل أحدهم ذلك ، فلن تتمكن قوة في العالم من حمل هذه العروس فيها بعد على زيارة منزله .

وهكذا نرى أن حياة الكنة ليست صعبة في بيت زوجها ، بل بالعكس فإن أهل العريس يحرصون في الأيام الأولى على أن يحضروا كل عناء ، ويعذونها جيداً للتقوى . وتشتمر هذه المعاملة حتى تلد طفلها البكر . وإذا كانت المرأة الكردية تعتبر قبل أول ولادة ، زائرة ، فإنها تصبح بعد ذلك فرداً من أهل البيت وتعامل

على قدم المساواة مع جميع نساء البيت . غير أنه من واجبات الكنفة الجديدة أن تغسل أقدام جميع من يكبرها سنًا في البيت ، وحتى أقدام الضيوف !

والمراة الكردية شأنها شأن نساء كثير من الشعوب ، لا تنادي زوجها وأعضاء الأسرة الذين يكبرونها سنًا ، باسمائهم . فهي تخاطب زوجها بقولها : « إيه ! » أو « أدا » أو « أي » « أنت » . وتنادي والدة زوجها « يا خالة » ووالد زوجها « عمتي » ، وشقيق زوجها البكر « يا أخ » . أما صغار الأسرة فتتادهم باسمائهم . والزوج من جهته لا ينادي زوجته باسمها ، بل يقول لها : « يا فتاة » .

وتمنع التقاليد الكردية الزواج بين العم وابنة أخيه ، وبين العممة وابن اختها أو أخيها ، إلا أنه يسمح بالزواج ما بين أولاد العم وأولاد الحالات . وأعظم قسم يمكن أن يؤديه الفتى هو القسم بحاله ، وهذا التقليد عند الأكراد يعود بأصله إلى العهود البايندة يوم كانت السيطرة في القبيلة للأم .

ونختتم بحشنا عن الزواج بقصة جاءت في كتاب « أرب شامو » تروي حكاية زواج « برو » - أي إبراهيم - من « مينه » : لقد كان « برو » هذا فقيراً ولم يكن له سوى أمه « بصره » فلنجأ إلى حاله الذي قدم له يد المساعدة . وكانت سكريات الزواج تجري في الخفية لأنه كان هناك شاب غنيّ يرغب في الزواج من « مينه » . وبعد أن تم الاتفاق ودفع المهر لوالد العروس ، كان لا بد للعرис من أن يحمل المدعايا إلى أقارب العروس ويكسب عطف وتأييد قريباتها ، ليس عن طريق هذه المدعايا فحسب ، بل ببلاقته

وحضور ذهنه .

ولما كانت «بصه» تقوم بدور الوالد فقد تربعت على الأرض وقالت لابنها : «أنظر يابني . غداً ستصبح لديك زوجة ، وهذا كل ما استطعت أن أحقيقه لك بما أوصاني به والدك . وها إنك أصبحت الآن سيد نفسك ، فعليك أن تحسن السلوك في منزلك ، وخصوصاً أن تعني بخرفاننا التي نستمد منها وسائل عيشنا . لا تكون طائشاً ولا متعجراً ، وإذا ما ذهبت إلى قبيلة ووجدت أن رجالها لا ينظرون إلا بعين واحدة ، فافعل مثلهم لكي تستطيع أن تعيش معهم . فأجاب «برو» والدته قائلاً :

— حسناً يا والدي ، سأفعل كما تقولين . وعادت الأم تقول :

— لنفكّر الآن بعدعوتنا ، فهل أرسلت هدايا لكل منهم ؟

وتفضي التقاليد أن يرسل العريس إلى كل مدعو هدية تكون عبارة عن منديل أو قطعة صابون ... والذى يرغب في تلبية الدعوة يقبل المدية ، أما الذى لا يرغب في التلبية ، فعليه أن يرفض المدية .

وأجاب «برو» والدته :

— أجل يا والدي لقد بعثنا بهدايا إلى الجميع . فقالت :

— هل لدينا من المهدايا ما يكفي ؟ قال برو :

— أجل . لدينا الكفاية ، فقد أعطاني عمي سبعة خرفان لأنه يعرف أننا لا نملك جميع تكاليف الزواج .

وفي الصباح أصبح من المتعذر التعرف إلى قرية برو ، فقد وصل إليها عدد كبير من المدعين ، وكان المزمار والطبل يبعثان بأصواتهما بعيداً في الوديان والجبال . وكان أهل العريس وأقاربه

كلهم قد حضروا . و كنت ترى الاكراد بثيابهم المزركشة يتقلون هنا وهناك ويتحدثون بفرح وحماسة ، وبينهن النساء بوجوههن السمراء وأزياءهن الرسمية يتسمن ويتربزن .

و كان يسود الجهة الثانية من القرية مزيد من الشاطط أيضاً والحركة ، حيث تجتمع الفتىـان مع خيولهم لمباريات الفروسية - الجريـد - وكان كلـهـم يباهـيـ بأصـالةـ فـرسـهـ ، و الجميع يتناقـشـون حول من سيـفـوزـ .

وأخـيرـاً بدأـ السـاقـ ، و كانت مـسـافـةـ الشـوطـ تـعادـلـ العـشـرةـ كـيلـومـترـاتـ . وعـندـماـ وصلـ الفـرسـانـ إـلـىـ السـاحـةـ كانواـ يـقـومـونـ بـخـتـالـ الـلـاعـبـ الـجـريـثـةـ ، بـيـنـ أـصـواتـ المـزـمارـ وـالـطـبلـ تـرـيدـ منـ حـاسـتمـ .

هـكـذـاـ كـانـ الجـمـيعـ يـتـسلـونـ . أـمـاـ «ـبـرـوـ»ـ فـقـدـ كـانـ منـتصـباـ علىـ عـرـشـهـ وـالـشـيـابـ يـحـيـطـونـ بـهـ وـهـمـ يـنـشـدـونـ وـيـحـلـقـونـ لـهـ شـعـرـهـ وـيـتـاهـبـونـ لـإـلـبـاسـهـ ثـيـابـهـ . وـجـرـتـ العـادـةـ لـدـيـ الاـكـرـادـ أـنـ يـقـصـ الـحـلـاقـ شـعـرـ الـعـرـيسـ عـلـىـ مـرـاحـلـ ، فـيـقـرـبـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ أـصـحـابـ الـعـرـيسـ وـيـدـفـعـ لـلـحـلـاقـ مـبـلـغاـ مـنـ الـمـالـ لـيـسـتـعـنـهـ عـلـىـ الإـسـرـاعـ . وـالـدـرـاهـمـ الـتـيـ تـجـمـعـ بـنـتـيـجـةـ الـحـلـاقـةـ تـخـصـ لـوـلـيمـةـ الشـيـانـ .

أـمـاـ «ـمـيـنهـ»ـ فـكـانـتـ تـجـلـسـ بـيـنـ صـوـيـجـاتـهـ تـحـتـ الـجـباءـ ، وـهـنـ يـكـيـنـ ، كـمـاـ تـقـضـيـ التـقـالـيدـ !ـ بـيـنـ اـنـصـرـفـتـ أـنـامـلـهـنـ إـلـىـ تـزـينـهـاـ .

وـأـخـذـتـ إـحـدـىـ الـفـتـيـاتـ تـرـنـمـ أـغـنـيـةـ خـاصـةـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ :

«ـأـنـاـ وـأـنـتـ ، وـحـدـنـاـ غـرـيـتـانـ ،
نـجـلـسـ مـنـفـرـدـتـيـنـ خـارـجـ الـمـنـزـلـ ،

ولا أحد يعرف من نحن !
كم أنا غريبة ! آه ... كم أنا تغريبة ! آه ...
إني أشاهد منزل والدك ،
وأشاهد السطح العتيق الذي يغطيه !
لا تلطممي وجهك فعربيسك يحبك جبًا كثيرًا !
وأنت تحبّينه أكثر !
أنا وحدي هنا غريبة ،
وها أنا ذاهبة ولن أعود ،
إلى منزل أهلي !
إني أبكي وأنا أودع هذا البيت ،
وليس سواعي غريبة هنا هنا .
إني أُشبع حرمة حمراء كالدم !
ينظر إليّ جميع الغرباء .
فلتلعن السماء الجبز
الذي كانت تقدمه لي أمي !
 فمن أجل المال باعوني
إلى رجلٍ تافهٍ لا أحبه !
يا لشقايني ! يا لسعادة الحسين !

الفصل السادس

القبيلة الكردية

*

صورة القبيلة

عندما تأخذ أسرة ما في النمو وتحرج عن حدود القرابة الرحمة، فإنها تتحول إلى قبيلة، فتضعف وسائل الحب المتبادل التي تشدهم أفراد الأسرة الواحدة، لتحول مكانها روابط التقليد والطقوس الدينية والمنافع المشتركة . ولا نستطيع في أيامنا هذه أن نحصل على صورة صحيحة لما كانت عليه القبائل في العصور الغابرة ، إلا تلك التي نجدها اليوم في القبائل التي تعيش في الصحراء العربية ، ومنطقة ما بين النهرين ، وكردستان . فإذا ما نفذنا إلى داخل هذه القبائل

وشاهدنا مصارب خيمها ، وتحدثنا إلى شيوخها ، فإن صور التوراة تتبعث ولا ريب أمامنا حية . فهذا الشيخ ذو اللحية البيضاء والنظارات الوقورة، الذي يجلس تحت خيمته محاطاً بأولاده وأقاربه وخدمه ، ألا نستطيع أن نرى فيه صورة إبراهيم أو يعقوب ؟ ... وتألف الواحدة من قبائل كردستان التركية ، من عائلة رئيسية هي عائلة الزعيم ثم تليها مجموعة من العائلات التي تمت بصلة القرابة إليها ، على درجات متفاوتة . ولكل عائلة خيمة « همبا » واحدة . فإذا ما أردنا أن نخصي عدد عائلات القبيلة الواحدة بما علينا إلا أن نخصي عدد خيمها . فعندما يقال إن القبيلة الفلانية تعداد ألف خيمة ، فهذا يعني أنها تعداد ألف عائلة . وما يجب أن ننتبه إليه هو أن قبائل الكردستان تتشكل من عنصرين متباينين ، أحدهما دائم ، والثاني متارجع . أما العنصر الدائم فهو تلك النواة من العائلات التي تمت بالقرابة إلى زعيم القبيلة ، وأما العنصر المتارجع فلا يخرج عن كونه مجموعة من المغامرين والمشردين الذين ينضمون تارة إلى هذه القبيلة وتارة إلى تلك .

لذلك يصبح من المستحيل أن نحكم بدقة على القيمة العددية لأية قبيلة ما دامت هذه القيمة تخضع للتطورات والظروف . ونذكر على سبيل المثال قبيلة « ملان » التي كانت تعدادها ٦٠٠ خيمة إبان ازدهارها في عهد مضى ، ولكنها لم تثبت أن استحال إلى ٥٠٠ خيمة بعد سنتين عندما حلت بها الكوارث .

والواقع أن زعيم القبيلة هو أب « لها لا حدود لسلطانه » ، يستطيع التصرف كما يشاء بل كلية أي واحد من أفرادها ، بل ويإمكانه أن

يضرب من يشاء ويقتل أي شخص يرى من الضروري قتله .
وتقوم بين زعماء القبائل معاهدـة « تبادل المجرمين » الأمر الذي
يعول دون القرار من وجه الزعيم . كذلك فإن الحكومة لا
تقدـم إطلاقاً على الحـد من سلطة هؤلاء الزـعماء ، خصوصـاً وإن
الـحكومة التركـية تسمـح لهم أن يـفعلوا ما يـشـاؤـون شـرـطـاً أن يـدفعـوا
بعض المال سنـوـياً للـخـزـينة .

وزـعـامة القـبـيلة تـنـقـل إـلـى الأـشـخاص بالـورـاثـة . فـعـندـما يـوتـ
الـزعـيم يـتـولـى سـلـطـاته مـباـشـة أـكـبرـ شخصـ من أـقارـبه ، وـيـبـاعـهـ
الـجـمـيع . وـقدـ يـحدـث أـنـ يـغـتصـبـ أحـدـهمـ السـلـطـةـ بالـقوـةـ ، أوـ أـنـ
يـبـاعـهـ الجـمـيعـ دونـ أـنـ يـكـونـ الـورـيثـ الشـرـعيـ . غـيرـ أـنـ هـذـهـ
الـحالـاتـ تـعـتـبـرـ إـسـتـثـانـيـةـ وـمـنـ شـائـعـاـ تـغـيـرـ بـحـرـىـ الـأـمـورـ فيـ دـاخـلـ
الـقـبـيلةـ .

وـتـرـتفـعـ خـيـمةـ الزـعـيمـ فـوقـ جـمـيعـ الـثـيـمـ ، وـفـيهـ تـمـ الـاجـتـاعـاتـ
الـعـامـةـ ، وـيـقـصـدـهاـ الغـرـباءـ لـيـجـدـواـ المـأـوىـ وـالـغـذـاءـ . إـنـهاـ الـمـحـكـمةـ
الـعـلـيـاـ ، وـبـجـلـسـ النـوـابـ وـالـشـيـوخـ لـمـاـقـشـةـ الـأـحـدـاثـ الـكـبـرـيـ الـيـوـمـيـةـ،
وـفـيهـ يـسـتـطـيـعـ كـلـ فـردـ أـنـ يـوـاجـهـ الزـعـيمـ عنـ كـثـبـ ، وـالـزعـيمـ فـيـ
خـيـمـتـهـ يـحـادـثـ الـجـمـيعـ وـيـازـحـهـ ، وـيـوبـخـ الـذـينـ قـدـ يـحـلـ غـضـبـهـ عـلـيـهـمـ.
وـتـكـوـنـ مـائـدـةـ الزـعـيمـ دـائـماًـ عـامـرـةـ بـالـمـأـكـولاتـ ، وـيـحـقـ لـكـلـ شـخـصـ
أـنـ يـجـلـسـ إـلـيـهـاـ وـيـأـكـلـ ، وـقـدـ روـىـ ليـ . كـثـيرـونـ مـنـ الـأـكـرـادـ أـنـ
كـوـمـ الـلـحـمـ وـالـمـأـكـولاتـ الـأـخـرىـ كـانـتـ تـبـلـغـ فـوـقـ مـائـدـةـ عـلـيـ آغاـ
إـرـتـفاعـ الـجـبـالـ !

وـمـعـ أـنـ سـلـطـةـ الزـعـيمـ مـطلـقـةـ إـلـاـ أـنـ كـبارـ القـبـيلةـ يـشـكـلـونـ

بعض الرقابة عليه ، ولأصواتهم وزن لا يمكن تجاهله ، ويعقد هؤلاء الكبار مجلساً كل ليلة في خيمة الزعيم لمعالجة القضايا التي تهم المصلحة العامة .

ولا بد لنا من القول بأنه لم توضع حتى الآن أية دراسة اجتماعية شاملة عن القبيلة الكردية . بل ويبدو أن هناك تضارباً في الآراء حول تكوّنها . ويقول « بتروشفسكي » في مؤلفه عن « الأقطاع في أرمينيا وأذربيجان من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر » : « إن القبائل البدوية في هذه الفترة ، كالقبائل التركية والمنغولية ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر ، لم تكن تشكل وحدات عرقية ، كما أنها لم تكن تعود إلى ذات النسب ، بل كانت عبارة عن تجمعات من أسر قديمة يعود تاريخها إلى ما قبل وجود الأقطاع » .

تركيب القبيلة وطبقاتها

يعتبر ميلانجن - وهو على حق - أن القبيلة عائلة اتسعة نطاقها . ونكتفي من الأمثلة الكثيرة التي قد نعثر عليها بين القبائل الكردية للتأكد من هذه الحقيقة ، بقبيلة « هار كي » ، فقد كان جدها رجلاً يدعى « أبو بكر » اشتهر بشجاعته حتى أنه لم يكن يخشى منازلة عشرين مقاتلاً في آن واحد . وكان بين هذا الفارس والأمير زين الدين عداوة ، فكان يسطو على رجال الأمير ويقتلهم . وفي ذات يوم اجتاز أبو بكر بيسالته الحدود ، فبعد أن قتل وشتب عشرين شخصاً من أتباع الأمير الذين نصبوا له كميناً للايقاع به ،

ولكنه تغلب عليهم ، أخذ أسلحتهم وأمتعتهم وحملها على بغلين كانا يشكلان كل ثروته ، ومضى مباشرة نحو خيمة الامير زين الدين . فلنجأ هذا الامير إلى الحيلة وخباً على أبي بكر حقيقة نوایا ورحب به قائلاً : « أهلاً وسهلاً وعلى العين » وأضاف : « إن رجالي أضعف من النساء ، وأنت رجل شجاع وفقير ، وأنا بحاجة إلى مساعدتك ! » ثم اتفق معه على أن يصبح رئيساً لرجاله . وبات أبو بكر تلك الليلة عند الامير على أن يذهب في الصباح ويحضر عائلته لتعيش معه في قبيلة الامير . وفي الليل عندما أغمض عينيه مطمئناً ، تقدم رجال الامير وقيدوه . وفي الصباح عندما فكوا القيود ليعدموه ، تمكن بسرعة من اختطاف خنجر أحد جلاديه وطعنه به طعنة كانت من القوة بحيث اخترقه ونفث نصلها إلى جذع الشجرة ، وحاول أن يستله لكن المقبض وحده خرج في يده ، فلبت أعزل واستسلم . ولكنه قبل إعدامه طلب أن يؤدي وصيته الأخيرة لأولاده وهي : « أولاً — لا تكتبوا نصلاً في مقبض دون أن تسمروه تماماً . ثانياً — ليتزوج كل منكم أربع نساء لتتموا ذرّيتكم وتمكنا من الأخذ بثاري .

ثالثاً — لا تصغوا أبداً إلى الأقوال المعاولة التي تصدر عن أفراد أسرة الامير زين الدين .
وكان لأبي بكر أربعة أولاد : مندو ، وسيدو ، وسرحات ، ومشير . وقد أصبح الثلاثة الأول على رأس الفروع الثلاثة في قبيلة « هار كي » .

هذا مثال على تكون القبيلة الكردية عن طريق تكاثر العائلة

الواحدة ، غير أنه لا يمكن إطلاقاً وضع تصميم عام لجميع القبائل ، فهناك عاملان دائمان يؤثران في مصير القبيلة وما ، أولاً : النمو والاندماج ، وكلامها يؤديان إلى ضم شمل هذه القبيلة حول محور واحد هو « الزعيم الشجاع والبارع ». ثانياً : التفسخ والتشتت بنتيجة الظروف السيئة « فقدان الزعيم ، أو الوباء ، أو الجوع » وكلامها يحل « القبيلة » .

ويلاحظ « ميلانجن » ، أن القبيلة تستمر في النمو والتكاثر ما دامت أحواها مزدهرة ، وبالعكس ، عندما تسوء الظروف تأخذ القبيلة بالتقلص ، وقد تقضي .

وبالإضافة إلى العوامل التي ذكرنا ، يجب أن نتبعد إلى وجود طبقات اجتماعية متباينة في قلب القبيلة . وقد أجمع كل الذين قاموا بدراسات عن الأكراد ، على وجود طبقتين على الأقل : طبقة النبلاء من المحاربين وملائكي الأرض ، ثم طبقة الخدم وال فلاحين الذين يكونون أشبه بالعبيد . ويطلق على أفراد هذه الطبقة اسم « غوران » . ويثير هذا الاسم الانتباه ، ذلك أن « الغوران » مختلفون عن الأكراد بتكونهم الجسماني وببلغتهم الإيرانية . وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأن الأكراد قوم فاتحون ، وأن « الغوران » هم سكان البلاد الأصليون . وهناك من يقول بأن الكلمة « غوران » معنيين أحدهما للدلالة على الطبقة الشعبية من الأكراد ، والثاني يعني عرفاً معيناً .

ملاحظات بعض الرحالة عن الأكراد

يقول واغنر : « يقسم الأكراد إلى فئتين : فئة المحاربين الذين

لا يملكون إلا قطعان المواشي ، ويعارسون في بعض الأحيان أعمال الغزو ، وفترة الفلاحين الذين يطلق عليهم اسم « الغوران ». ولا تستطيع الفتاة الثانية أن تتخذ صفة الأكراد النبلاء لأنها تختلف عنهم بتتكوينها الجسمي وبلغتها » .

ويقول ريتتش : « يختلف الغوران عن المحاربين الأكراد بلا ح لهم الجسمية وبلامتهم . ويتصف محباتهم بالنعومة والخطوط المنتظمة ، حتى ليخيل للنااظر إلى جانب وجوههم أنهم قوم من اليونان . ويشير ريتتش أيضاً إلى أن وضع هؤلاء الفلاحين بائس جداً ، حتى ليضاهي وضع فقراء الهند الغربية .

أما المؤلف الأرمني « ميرا كوريان » فيقسم الأكراد إلى ثلات طبقات : ١ - النبلاء « تور ن » . ٢ - المحاربون . ٣ - العمال . والمؤلف « أركلان » يميز لدى الأكراد أربع طبقات : ١ - الطبقة العاملة . ٢ - خدم الزعيم المساجحون . ٣ - الزعماء « الآغوات » وهم أناس محاربون . ٤ - رجال الدين .

صفات الزعيم ومهامه

يتسلم الزعيم سلطاته في القبيلة وفق مبادئ معينة تختلف باختلاف الظروف والحالات . فإذا ما أن يرث السلطان وراثة ، أو أن تنتخبه القبيلة بالإجماع ، أو أن يفرض نفسه بالقوة . غير أن لمبدأ الوراثة قوة العادة وقوة التقاليد التي تعتمد على الاحترام الذي يكنه أفراد القبيلة نحو زعمائهم الوارثين .

ويروي لنا « شرف نامه » مثلاً ذا دلالة كبرى عن أمراء

« بتليس ». فقد حدث أن شاه إيران سطا على هذه الأسرة النبيلة وشتت أفرادها ، فعاشوا منفيين في مدينة « قم » بعيداً عن كردستان موطنهم الأصلي . ولم يبق منهم مع الزمن سوى شابين صغيرين يمثلان الأسرة النبيلة . ولكن ذلك لم يمنع أحد خدم هذه الأسرة من أن يبذل جهوداً جباراً ليعيد هذين الأميرين الصغار إلى سلطان أسرتها السابق ، ولم يفتّ من عزم الخاتم ما لقيه من الفشل تلو الفشل ، حتى تمكن في النهاية من أن يجعل مبدأ الوراثة ينتصر في « بتليس » وعاد الأميران الصغاران ليحتلاً منصب آباءهما .

ويحدثنا « شرف نامه » ذاته عن واقعة انتخاب أحد الزعماء . فقد حدث أن انقرضت أسرة زعماء قبيلة « روحاكي » فتشاور شيخ القبيلة فيما بينهم واتفقوا على أن يحملوا إلى الزعامة أميرين من الأسرة الملكية . وأعلن كبار القبيلة وصغارها موافقتهم الإجماعية على هذا الرأي . وبالفعل فقد ذهب كبار القبيلة إلى الأميرين وسلموا كلّاً منها السلطان على أحد فرعى القبيلة .

وكتاب « شرف نامه » هذا ، الذي يعتبر من أفضل المراجع عن حياة الأكراد وتقاليدهم ، لا يخلو من تفاصيل مطولة عن الحروب التي تتشبّه بين القبائل ، وعن النزاع الدائم بين الزعماء على توسيع السلطان . فيه أن الحظ يلعب الدور الرئيسي أحياناً في إيصال أحد الزعماء إلى السلطان .

كان هناك ثلاثة إخوة يعيشون معاً في إحدى مناطق الكردستان ، وقد اشتهر عن الأخ الأكبر تعبيده وتقواه . وفي ذات يوم تغيب الأخ الأصغر عن إحدى الولايات ، فلما عاد وطلب حصته ، قال له الأخ

الأوسط إنه انتظره طويلاً فلما يئس من عودته أكل له طعامه . فما كان من الأخ الأكبر إلا أن لعن أخيه الأوسط بقوله : « لتنفجر معدتك وتحوّل إلى نتف » ، وإذا باللعنة تصيب فعلًا الأخ النهم ، فيسقط الحال ميتاً ! وبلغ الخبر أسماع القبيلة فأجمعت على تسلیم الأخ التقى سلطات زعامتها .

ويمكن تقسيم الطبقة الكردية التبليلة إلى خمس فئات :

١ - طبقة « الملا زاده » وهم أحفاد الملا الذين اشتهروا بواسع علمهم وبسلوكهم المثالي ومنهم الحيدريون أحفاد الملا حيدر ، والهيلانيون زاده أحفاد الملا عمر افendi . والملا الذين لا يتصرفون بزرايا العلم والسلوك المثالي يسمون « أنصاف ملا » .

٢ - طبقة « شيخ زاده » ، وهم أحفاد رجال الدين .

٣ - طبقة « بك زاده » ، وهم أفراد الأسر العريقة من أمراء وباشوات .

٤ - طبقة « الآغا زاده » وهم زعماء القبائل التي تأتي بالدرجة الثانية من الأهمية .

٥ - « زفة دار » وهم أفراد أسر القيسين .

ولنأخذ الآن إحدى المناطق الكردية المجهولة - ولتكن منطقة « شمدينان » في أواسط الكردستان ، لندرس فيها حياة هذه الفئات من النبلاء :

هناك في الدرجة الأولى أسرة « بك زاده عباسي » التي تدعى ، وفقاً لمدلول اسمها ، أنها ترجع بنسبيتها إلى سلالة العباسين . وكان مؤسس هذه الأسرة أمير يدعى شمس الدين وهو الذي أطلق اسمه

على المنطقة كلها « شمدينن ». و كثيراً ما نلاحظ في تكوين الأسر الكردية أن أعرقها يعود إلى أصول عربية . وكانت أسرة شمس الدين تمارس رعي الماشي بين بغداد والموصل . وحدث أن نشب نزاع بينها وبين قبيلة « شمر » القوية ، فانهزمت أمامها واضطررت إلى اللجوء إلى جبال الأكراد في شمال الموصل . وقطن شمس الدين مع أسرته في قرية « ستوني » من قرى عشيرة « هاركي » ، أي في الشطر الغربي من شمدينان ، حيث يمر خط الموصل إلى أمادي . وقد تمكن هذا الأمير بما عُرف عنه من ذكاء وسمعة طيبة ، أن يكسب احترام وودّ عشيرة « هاركي » وجوارها . وجاء ابنه ووريثه عز الدين ليحيط نفوذه على مناطق واسعة . واستمرت هذه الأسرة لمدة ستة أو سبعة قرون تعيش في قرية « ستوني » حتى جاء الأمير نصر الدين فنقل مقرّها إلى قرية « بتكار » وبعد ثلاثة أو أربعة قرون وتحت سلطان الأمير زين الدين ، انتقل مركز الأسرة إلى قرية « هارونان » في جنوب شمدينان . وقد بني هذا الأمير قلعة صغيرة منيعة لا تزال آثارها قائمة حتى الآن . وأنجب الأمير زين الدين ولدين ، أحدّهما إمام الدين الذي اختلف مع والده فتنزح إلى « أورميا » حيث منحته حكومة الشاه « أفسار » مقاطعتي « بودзор » و « ترجفر » . ولا تزال آثار الحصن الذي بناه في المقاطعة الأولى ظاهرة حتى الآن . أما الإبن الثاني فهو الأمير سيف الدين ، وقد خلف والده ، وكان أول أمير في الأسرة يحمل رسمياً اسم أمير « شمدينان ». وعاشت أسرة شمدينان ثلاثة أو أربعة قرون في « هارونان » حتى جاء الأمير « بهرام بك » فانتقل

بها إلى « نهري » التي أصبحت منذ ذلك الحين مركزاً لها . وقد بنت هذه الأسرة على أنقاض كنيسة قدية حصنأً أطلقت عليه اسم « القلعة » . ولبث أمراء « شمدينان » يحكمون تلك المنطقة حتى جاء الشيخ « عبيد الله » في أواسط الجيل التاسع عشر ، فانتقل الحكم إلى أسرته : أسرة المشايخ المعروفيين باسم « سادات نهري » أي أسياد نهري ، وهم من سلالة الرسول . ولم يكن هؤلاء في أول الأمر إلا شيوخ دين ، ولكن ما لبث بعضهم أن أخذوا يستولون على الحكم الزمني .

ويأتي بعد هاتين الأسرتين – العباسين والأسياد – في حكم شمدينان عدد من الأسر النبيلة منها أسر الآغوات من زعماء قبائل المنطقة ، التي تعود بأصولها إلى خالد بن الوليد الذي احتل بلاد ما بين النهرين وسوريا في الجيل السابع . وقد لبث الآغوات يتمتعون بسلطان واسع في المنطقة حتى بجيء المشايخ الذين استطاعوا أن يفسدوا بينهم وبين الحكومة التركية . ولم تتشعب الحرب العالمية الكبرى حتى كان الآغوات قد فقدوا مركزهم وسلطانهم وأملأ كهم لتحول محلهم طائفة « الباش أمير » . ولا يعرف أحد أصل هذه الأسرة ، ولكن المؤكد أنه أحد رجال الدين « الملا » .

علاقات زعماء القبائل فيما بينهم

كان الزعيمان الكرديان ، الأمير بدر الدين من « شمدينان » وابراهيم بك من « بهدinan » يتفاخران بقرى منطقتيهما . فيقول ابراهيم بك : « ليس في العالم كله أجمل من قريتي شوشة وشمامي »

فيروز عليه الأمير بدر الدين قائلاً : شوشة وشرماني ومعهما سياني وإرغاني ، كلها لا تساوي زاوية من قرية « أوليان » وحدها . ودعا الأمير بدر الدين منافسه ابراهيم بك لأن يزوره في قريته في شهر تموز ، ولما وصل ابراهيم بك إلى قرية « أوليان » طلب الأمير بدر الدين من ثلاثة خدم أن يحضروا له من غلات أرضه شيئاً وتوتاً وعنباً . وكم كانت دهشة ابراهيم بك كبيرة عندما وجد الأصناف الثلاثة أمامه ، فأخذ الأمير بدر الدين يشرح له كيف أمكن جمع هذه الأصناف الثلاثة في وقت واحد ، بما يدل على خصب أراضيه .

ومن قصص المنازعات بين زعماء الأكراد أنه كان بين حسن بك وسليم بك خلاف حول ملكية بعض القرى ، فوجه الأول على الرغم من نصائح مستشاره ، رسالة عنيفة اللهجة إلى الثاني ، يقول فيها : « يا سليموك « اصطلاح للشتيمة » يا آكل البلوط لا تمدنْ يدك إلى قرائي ، وإلا فإني أهدم كل قبيلتك ». فردّ عليه سليم بك قائلاً : « من الأفضل للانسان أن يموت بشرف من أن يعيش بخزي ، وأنا لن أتخلى عن قرائي ما بقي في أسرتي قتاة واحدة ». وفي الصباح انقض على رأس ثلاثة محارب شجاع وراح يكتسح قرى حسن بك واحدة بعد الأخرى ، حتى تدخل الشيوخ والعلماء وفرضوا الصلح بين الاثنين .

وهكذا نجد في هذه المنطقة المعزولة من الكردستان صورة حية ل التاريخ هذه البلاد برمتها ، بما فيها من تعقيدات وحروب بين زعماء القبائل .

سلطة الزعيم القضائية

مهما تكن الوسيلة التي يصل بها الزعيم إلى السلطان ، سواء أكانت الوراثة أم الانتخاب أم القوة ، فهو متى ثبت من كنزه يدين الجميع له بالولاء والطاعة . ومع أننا لا نزال نجهل ما هي حقيقة صلاحيات هذا الزعيم القضائية في قبيلته ، فمن المؤكد أن هذه الصلاحيات لم تعد الآن شيئاً يذكر بعد أن أخذت السلطات التركية والإيرانية ثبت وجودها . ومع ذلك فمن المعروف أنه منذ ربع قرن تقريباً كان الشخص الذي يغتصب فتاة أو امرأة متزوجة رغمما عن إرادتها ، يحكم عليه الزعيم بمصادرته أملأكه . أما الجرائم الأخرى فجزءاً منها إما إحراق منزل المركب ، أو قطع أشجار بستانه . غير أن أفعى حكم قد يصدر على فرد من القبيلة هو أن يطرده منها ، وهذا يعني أنه فقد جميع حقوقه كإنسان . فمن المعروف أن غريزة البقاء لدى البدوي تتزوج بغريرة الحياة ضمن القبيلة . ونقدم فيما يلي مثالاً على تمسك الكردي بقبيلته :

كانت السلطات التركية قد قبضت على عدد من الأكراد قاماً بثورة ضدها ، وأرسلتهم إلى طرابلس الغرب في أفريقيا . ولكنهم تمكروا من الفرار والعودة إلى جيالهم عند الحدود الإيرانية ، وهم يؤثرون مجاورة قبيلتهم مع الخطر ، على الابتعاد عنها مع السلامة . وهناك عقوبات أخف وطأة من الطرد ومصادرته الأملأكه ، يفرضها الزعيم على الذنوب الخفيفة ، كأن يغرم بعشرة إلى مائة ليرة تركية كل من يغتصب فتاة بيارادتها . وإذا ما سرق أحدهم دابة

يجب عليه أن يعوض بقيمتها وأن يدفع فوق ذلك أربع قطع نقدية للزعم .

هذا ، ويعتبر الزعم الضمانة العليا للعدل . ويحكي عن الأمير «أفضل بك» أنه كان يتمتع بشهرة واسعة في هذا المجال ، فقد كان يزور في كل صيف بيته الواقع على منحدر جبل «شيدان» تماماً بالقرب من مصيف قبيلة «هار كي»، يزوره مختلف أصناف الحضار دون أن يحيطه بأي سياج ، ويقول : «إن سلطتي تكفي ك حاجز ضمانة له» . وأقدم ذات يوم شخص يدعى يونس على سرقة خروف ضخم من قطيع إحدى القبائل المسيحية . وذهبت جميع الجهود في البحث عن السارق بدون جدوى . وانتهى الأمر بأن عزا صاحب القطيع فقدان كبشه إلى أن ذئباً قد افترسه . ولكن بما هذه السرقة بلغ مسامع «أفضل بك» ، فاستاء وغضب ، وأمر بإحضار المركب منها كلف الأمر . فقام جنوده وأحضروا يونس لمحاكمته . واقتصرت عدّة عقوبات ، فنهم من قال بإحراء منزله ، وغيرهم اقترح قطع يده أو بتر ساقه أو طرده من القبيلة ، غير أن الأمير لم يكن يوافق على أيٍّ من هذه الاجراءات . ولكنه أعلن قائلاً : «لما كانت السرقة أمراً غير عادي تحت حكمي ، لذلك أريد قصاصاً غير عادي» . وأمر بقطع خصيتي السارق . وذهبت قصة يونس السارق مثلاً .

وتجدر الإشارة إلى أن السرقة والاحتياط والتسلل وكل ضروب الحدعة ، لبشت مجهلة في كردستان . ولم يحدث قط أن أعلن أي تاجر هناك إفلاسه ، مصطنعاً كان أم حقيقياً .

ومن العار على قاطع الطريق في تقاليد الأكراد أن يلجموا إلى الحيلة في سلب الناس ، بل يجب عليه أن يعتمد على قوته وجرأته ويعرض حياته للهلاك . ويجب على الكردي إذا اضطرته الحاجة إلى قطع الطريق أن يحمي من هو أضعف منه . كما عليه أن يحترم نفسه فلا يتهم قط على امرأة أو عجوز أو طفل . لذلك لا يلجم التجار في نقل المبالغ الضخمة من المال إلى البريد ، بل يأتون عليها رجالاً عجوزاً يحملها ويحتاز بها الجبال والوديان ، ويصل إلى المكان المرسلة إليه دون أن يتعرض لأي خطر أو إزعاج . وهذا الاحترام للشيخوخة من أبيل الصفات التي يتميز بها الأكراد .

ويقول « مينورسكي » إن الأكراد يحافظون على النظام العام بكل دقة حيث يعيشون وحدهم دون وجود غرباء . فهم يخضعون لذات النمط من العيش فيحلون مشاكلهم فيما بينهم دون آية حاجة للسلطات الحكومية .

بقيت هناك قضية الثأر :

من تقاليد الأكراد أن يثاروا الدماء أقاربهم ، والثأر حق يكتسبه أهل القتيل ، بالإضافة إلى أن القاتل يطرد من قبيلته لمدة خمس سنوات أو أكثر ، فإذا تمكن أصحاب الحق من قتله في هذه الفترة فإن القضية تعتبر قد سوت . وإذا بقي حياً بعد انتهاء مدة نفيه يحق له أن يعود إلى قبيلته دون أن يفقد أهل القتيل حقهم بالثأر . وقد يتدخل العقلاء فيقدرون ثمن الدم الذي يدفعه القاتل لأهل القتيل . غير أن هذا الإجراء الأخير نادرًا ما يتبادر إلى الأكراد . ذلك أنهم يعتقدون بأن دم القتيل يثبت سائلًا من جرحه ما لم يؤخذ

بتأره لذلك تراهم يفضلون تسديد حسابهم برصاصة أو طعنة خنجر . ولكن إذا حمل القاتل كفنه بيده وسيفه في عنقه وسلم نفسه فلا يسع أهل القتيل عندئذ إلا أن يقبلوا بالتسوية !

وسائل الملهو : الشعر والغناء والرقص

يجمع الرحالة على الإعجاب الشديد بالغناء الكردي . ويؤدي الأكراد أكثر أغانيتهم على شكل جوقات متناوبة .

يقول المؤلفالأرمني «أبو فيان» : «لقد تطورت القصائد الكردية الشعبية كثيراً وبلغت حدود الكمال». ويبدو من ملاحظات بعض المؤلفين أن كل كردي ، رجلاً كان أم امرأة ، هو شاعر بفطنته . ويتوسع «بلو» الذي تعمق في دراسة كردستان في الشمال الشرقي ، في عرض ميزات الأغاني الكردية وإبراز أهميتها الكبرى في الحياة الكردية فيقول : «أشد القبائل الكردية بؤساً غنية في أغانيها وألحانها . ولا تقتصر أقصاصهم التي تنشد وقائع الحرب على الرحل ، بل تتعداهم إلى الحياة الحضرية ، إذ يجمع المغني حوله في المساء أفراد القرية ، ويأخذ في بعث ذكريات الأبطال المحاربين القدماء ، أو هو يثير الشجون بقصائده عن الحب والألم والفراق ... وكان يكفي الاستماع إلى المغني عمر آغا أو إلى ضياء الدين ، في أناشيدهما ، حتى يتضح ما فيها من عمق وذكاء وعاطفة » .

ولا تقل شهادة «لاري» في الغناء لدى الأكراد اليزيدين ، عن شهادات غيره . فهو يصف غناهم على ضريح الأولياء فيقول : «لم

أسمع قط غناء أبعث على الحزن وأجمل ! لقد كانت أنغام المزمار
تترسخ بعذوبه مع أصوات النساء والرجال التي تتوقف بين آن وأخر
لترك المجال للصناعات والطبول » .

وتدور أغاني الأكراد غير الدينية حول المواضيع العاطفية
والبطولية . ويلاحظ « مار » أن المهم في الغناء الكردي هو تلك
الموضوعات التي تكرر دأباً . إنما الذي يثير الاعجاب هو تعدد
الحالات النفسية وأساليب التعبير عنها .

ويعزّو الرحالة والعلماء جودة الأغاني الكردية إلى صفات
الفروسيّة التي يتحلى بها الأكراد أنفسهم . ويقول مار :
« يبدو لي أن ثروة الغناء الكردي ناجمة عن المميزات التي
يتحلون بها دون جيرانهم من الأتراك والأرمن .

« ففي الوقت الذي تخلي به الأتراك والأرمن عن عاداتهم
وتقاليدهم الأصلية ، نجد أن الأكراد يحتفظون بأصالتهم » .

ويقول « ملينجن » في وصف إحدى سهرات الأكراد :
« ... وانعقدت حلقة الغناء بعد الغداء ، فامتدت تحت الجية
ونخارجها ، وكانت تتألف من محاربين شباب وكهول وشيوخ ،
وكلهم متبعون على الأرض . ومع أن الحديث أخذ يدور أول
الأمر حول مواضيع مضحكة ، إلا أن أصواتاً راحت تردد أنغاماً
شجية عاطفية . و شيئاً فشيئاً ، وفيما كانت العواطف تلتهب ، كنت
تشاهد الوجوه والعيون تتألق برقّة وعذوبة حتى تكاد ، بتناقضها مع
ملامحها القاسية ، تثير الضحك . لقد اتخذ هؤلاء المحاربون العتاة
أوضاع العشاق المتيمين إذ أحدثت هذه القصائد العذبة في نفوسهم .

أثراً قوياً .

« واستمرت هذه التسلية الغنائية مدة ساعتين تقرباً . ولا بد لى من القول إنها كانت تسلية ممتعة ، إذ أني سرعان ما جرفني تيار الشعر والموسيقى ، وقد أثرت في إحدى تلك الأغاني إلى حد أنني لبست زماناً طويلاً فيما بعد أرددتها وأطرب لها .

« وبعد الغناء جاء دور الرقص . فاستحالت الحيمة إلى مهرجان سرعان ما امتد إلى سائر الحين ، وكان يزيد في نشوتنا ضوء القمر الساطع ونيران الليل اللافحة . وعزفت الموسيقى الكردية وتالفت حلةة الدبكة . ويتناز الرقص الكردي بأنه لا يؤدي بشكل إفرادي أو ثانوي أو رباعي ، والراقص الكردي لا يحرك جميع أعضاء جسمه كما هي الحال في الرقص الغربي ، بل هو يكتفي بحركات قليلة من ركبتيه . لذلك فإن الحلقة كلها مجتمعة هي التي تتلجلج وتهتز على إيقاع الموسيقى فتبعد و كأنها حقل قمح يميس بتائير نسيم ناعم » .

المراافق الاقتصادية لدى القبيلة الكردية

لقد ذكرنا في الفصلين الثالث والرابع بعض النقاط المتعلقة بنمط الحياة الكردية وتنظيم العائلة ، وبقي علينا أن ندرس العلاقات الاقتصادية القائمة بين زعيم القبيلة وأفرادها . وأعتقد أن هذه الناحية لا تزال مهمة حتى الآن في جميع المؤلفات التي وضعت عن الأكراد ، ذلك أن هذه الأبحاث قد اقتصرت حتى هذه الأيام على تعداد الموارد الاقتصادية لدى الأكراد وبشكل عابر . إن

الحياة الكردية الصميمة لا تزال بحاجة إلى دراسة اجتماعية تحليلية تووضح لنا التفاعل القائم بين المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فيها.

واجبات الكردي تجاه زعيمه

ونحن نكتفي الآن برسم الخطوط الكبيرة للعلاقات الاقتصادية في وسط القبيلة الكردية معتمدين على دراسات الاستاذين «فيليتشفسكي»، و«كريستوف». ويلاحظ الأول في دراسته التحليلية لبيان القبيلة الاجتماعي والاقتصادي لدى أكراد «الترانسقوقازي» والمناطق المجاورة لإيران وتركيا، يلاحظ أن أكراد هذه المناطق كانوا يتبعون نظاماً إقطاعياً كاملاً. فقد كان يتوجب على القبائل الكردية تجاه زعمائها، عدا عن الضرائب والخدمات، تقديم فرق مسلحة تنضم إلى إمرة الزعيم وتعمل في حراسة الحدود، وهذا ما يشكل عاملأً كبيراً جداً في الضغط الاقتصادي على القبيلة.

إذن، فالأكراد ملتزمون تجاه زعيمهم بجموعة معقدة من الواجبات والرسوم والضرائب. ومع أنه لا توجد لدينا أرقام ثابتة عن هذه الضرائب، إلا أنها نعرف أن الأكراد اليزيديين يدفعون للأمير سنوياً عشرة مراتجم، كذلك يتتقاضى الشيوخ وزعماء القبائل ذات النسبة. وهذا يعني أن الكردي يدفع ما لا يقل عن خمسين إنتاجه لرؤسائه الروحيين والمدنيين.

وبالاضافة إلى ذلك فإنه يتوجب على الأكراد أن يتکفلوا بنقل خيمة الآغا وأمتعته، وأن يقدم له كل عریس بقرة. والآغا هو

الذي يتلقى الغرامات التي يدفعها مرتكبو المخالفات . أما الشيخ فيتقاضى عن حفلة الحنان من نعجتين إلى عشر نعاج ، كما يتلقى عن كل حفلة زواج من خمس نعاج إلى خمس عشرة نعجة . ويتقاضى عن طرد الروح الشرير من نعجتين إلى ثلاث . وهكذا ..
ويُجمع المختصون بالشؤون الكردية على أن الفرد الكردي لا يحرر على مقابلة رئيسه دون أن يحمل له معه هدية ملائفة .

الالتزامات العسكرية

يتوجب على الكردي بالإضافة إلى الضرائب ، أن يحمل السلاح بناءً على طلب رئاسته فيحمل بذلك مشاغله الاقتصادية مختاراً أو مجبراً . وإذا كان الأكراد يحصلون على بعض المكافأة إذا ما نجحت حملاتهم العسكرية ، إلا أن الأضرار الناجمة تكون أشد بكثير إذ أن المجندين في هذه الحملات غالباً ما يفقدون صلتهم بقطاعهم وأراضيهم ويتطوعون لدى القطاعي كجنود محاربين نظاميين . وهذا القطاعي بدوره يضطر إلى زيادة الضرائب على الشعب كي يوفر جنوده وأتباعه المرتبات الالزامية .

وكانت تكاليف الفارس المحارب في القرن التاسع عشر تبلغ ١٦٣ روبل فضة ، بالإضافة إلى مرتب سنوي قدره ٢٤ روبل . وتلتزم القبيلة بالإضافة إلى كل ذلك أن تقدم للمحارب أليسته سلاحه وفرسه .

وإختلاصة أن الأكراد على الرغم من استقلالهم الظاهري ، ومن قلة الضرائب المفروضة عليهم ، قد جُرّدوا في السياق الطبيعي

للاقطاع ، واتتهى بهم الأمر أن أصبحوا تحت حكم رؤسائهم
الاقطاعيين . ويعتبر « بتروشفسكي » أن مصير البدو من الأكراد
كان أفضل بكثير من وضع الحضريين منهم .

ولم يأت مطلع القرن التاسع عشر حتى كانت الاقطاعية قد
وصلت إلى نتيجتها المحتومة في « الكردستان » ، ففسخت المجتمع
الكردي ، وأوجدت الاقتصاد الطبيعي الذي يعتمد على الملكية
الخاصة للقطاعان ، وحالت الفلاحين من غزو القبائل البدوية ، كما
أنها حافظت على الكردستان كوحدة متماسكة ضد هذه الغزوات
البدوية ، ولكنها كانت قد تحولت إلى عائق كبير في طريق تطور
اقتصاد المنطقة .

ويعتقد « فيلتشفسكي » أن الاقطاعية أصبحت في القرن التاسع
عشر مختلفة عن تطور الامكانيات الاقتصادية التي نمت تحت ظلها .
كذلك فإن القبيلة الكردية أخذت تعاني التطورات المختلفة ، وأخذ
دور الرئيس الاقطاعي يتحوال بتأثير العامل الاقتصادي إلى دور
صاحب الرأس مال . ويرى « فيلتشفسكي » أيضاً أن الثورات
الكردية في القرن التاسع عشر كانت موجهة ضد الاقطاعية ،
فسجلت بذلك مرحلة جديدة من تطور هذا الشعب .

*

الفصل السابع

القبائل في الزمان والمكان

*

تاريخ القبائل

إذا ما أردنا تحديد قبائل الأكراد عبر الزمن ، وهذا عمل - كما يشير الفصل الأول عن أصل هذا الشعب - من شأنه أن يحملنا إلى التطرق ، إذا لم يكن لما قبل التاريخ ، فعلى الأقل ، إلى التاريخ . وهذه الدراسات ستؤدي بنا إلى خوض أمد بعيد في أقدمية هذا الجزء الطبيعي من آسيا . أما إذا استثنينا النتائج الهامة التي حصل عليها علم الآثار القدية في الحقل الأشوري - البابلي ، الساساني - الكلداني ، فلن يبقى لدينا سوى معلومات ضئيلة عن هذه البقعة الجبلية التابعة لتلك المناطق الموعرة التي هي موطن الأكراد الخالص . فهناك حقل للروّاد واسع النطاق لم يأت العلم على ذكره

بعد . وقد قال ديكسون الذي زار تلك المناطق ، إن البلاد التي يوجد فيها خرائب وحصون آثرية كالمتشكل كرستان ، قليلة جداً . إنها فردوس لعلماء الآثار ! ووصفها سر كون عندما احتلتها جيوشه بأن صخورها المتراكمة وقممها المتعالية تبدو كالخناجر المصوّبة نحو الفضاء . إن هذه الآثار ترجع إلى عهود مختلفة منها عهود الأكراد والأشوريين والكلدان « الأورايتين » حتى أولئك الذين عاشوا فيها قبل التاريخ .

ويوجد أيضاً آثار قديمة في كافة أودية نوروز جنوب جبال أرنوست . وقد تكون تلك أبراجاً وحصوناً للأقدمين .

وقد قال ديكسون عن هذه الجبال إن أطوالها ينتصب فوق قرية سات من قضاء هاركي أورامار . وأكثرها شموخاً يمتد فوق سلسلة مرتفعة من جبال جوديداغ . فهذا الجبل الأخير ومكان « الفيناك » — بناكا القديمة — المذان يشكلان متحفين حقيقيين للآثار القديمة ، يحتويان على كافة الآثار من حفريات سكان المغاور حتى آثار الأكراد ، وتصلها بعضها الآثار القديمة التي خلفها الأشوريون والفرس والاغريق والرومانيون والعرب والسلجوقيون . أما على جبال جوديداغ الصغيرة وفي أغوار أودية الجنوب ، فيوجد خرائب أشورية وصخور منحوتة ورسوم خطوط . وأهل البلاد ينسبونها كلها إلى الملك سنحريب ملك بابل الوحيد الذي ذكرته التوراة . ويوجد أيضاً على قمة الجبل أربعة قبور حجرية نقش الأقدمون على أعمدتها خطوطاً ينسبها علماء الآثار إلى الكتابة الآشورية والفارسية والمصرية القديمة . لكن الزمان معاً هذه

الخطوط وهي لا تزال توجد في مكان يصعب على المرء تسلقه لالتقاط صور لها .

فالجزيرة والموقوس كانتا ، في زمن ديو كليسان ، مراكز رومانية متقدمة . ولا تزال آثار الاحتلال واضحة هناك في الطرق والقلاع وغيرها . كما ولا تزال في وادي خيزان ، وفي حالة جيدة ، قلعة يبدو أنها رومانية . وكانت خيزان عاصمة مو كان الإقليم الروماني آنداك ، قاعدة على الحدود فيما بين الدولتين - أرمينيا وبلاط ما بين النهرين .

شكراً للدراسة العميقة التي قام بها وكتب عنها ديكسون في موضوع الآثار القديمة في كردستان حيث ألقى أضواء على التاريخ وما قبل التاريخ الكردي ، فأصبح في إمكان الباحثين التطلع إلى هذا التاريخ دون صعوبة . ففي القيام بدراسة آثار نظيرة بها في الترنسوقاز ، يمكن أيضاً العلماء الروس من استنتاج بعض الحلول في ميدان دراسة الاجتماع بالنسبة إلى تلك الحقبات الغابرة من الزمن ، وذلك ، فيما يختص ببناء تلك المناطق إبان عهد الاحتلال الذي قام به الكلدان (ق ٨ و ٧ ق . م) وهذا مما سمح لنا في عرف المجانسة ، وفي حالة افتراضية طبعاً ، أن ندلي ببعض الافتراضات في موضوع التنظيم الاجتماعي والسياسي بالنسبة إلى الناس الذين عايشوا آثار العمالة الأقدمين في أورارتو « جزء من كردستان الحالي » . ثمة آثار وتحف ونحوها تشهد بوجود جماعات في ذلك الحين ، مشتتة ومستقلة ، وعلى رأسها قائد إسمه « إبان إيشان » . وكثيراً ما تجاوبت أسماء القبائل في الخطوط الآثرية ، غير أن

هذه الخطوط ما كانت تتحدث غالباً إلا عن الفتوحات أو عن أسر سكان البلاد أو بلد ما . وأيضاً ، يفترض البعض أن ترانسقوقازيا في تلك الأزمنة كانت مخالية من القبائل . وكانت تربية المواشي من أولى ركائز الاقتصاد . أما الكتابات الكلداية فلم تكن تتحدث إلا عن الرجال والمواشي كأسلاب حرب . والقلاع والمحصون ، أو بكلمة أدق في التعبير ، الأماكن المسكونة المقاربة لبعضها ، كانت ملك شعبي من الرعاة . ونظراً إلى أن الأماكن المأهولة كانت دائماً عرضة للغزو المجاور ، كان الناس يحيطونها بسور ضخم من الحجارة ، وكان القائد يمكث دائماً على حدود القلاع . والقائد الذي لديه عدد من المقاتلين يأترون بأمره ، مختلف عن سائر الأهلين ، وذلك دون أن يتمي إلى أية طبقة أخرى .

والقبور الملكية الترانسقوقازية لا تختلف عن قبور سائر أفراد السكان وهي على نحو قبور بدو الـ « سيت » . وهذه القبور هي التي قادت العلماء إلى الاعتقاد بأن العبودية كانت موجودة هناك ، إذ أن نقل قطع الصخور الضخمة كان يتطلب جهوداً كبيرة لا يقوم بها إلا العبيد . لكن ، لم يوجد أي دليل يشير إلى وجود الملكية الخاصة في المواشي والقطعان . وهذا مما يجرنا إلى الاعتقاد بأن الملكية الخاصة ، أو بالأحرى الاحتكارية التي كان يفرضها القائد ، هي التي أدت إلى تفكك هذه الجماعات وتشتت شملها .

وهكذا ، فمنذ ذلك الزمان السحيق ، ألت حذافة علماء الآثار القدية ، بتفسير تلك البقايا التاريخية ، نوراً على العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك . ويبقى والحقيقة هذه على علماء الآثار أن

يضاaffer نشاطهم وجهودهم في كردستان ليزودونا بعلمومات وافية عن أجداد الأكراد ، لا سيما في مناطق دجلة العلية وجبال طوروس ، مقرّهم الأصلي المتفق عليه .

ولا بد من الوقوف عند بعض الملاحظات الهمامة فيما يتعلق بالحياة المادية التي كان يحيها أولئك الأقوام والتي تدلنا على بعض عاداتهم . وعلى سبيل المثال يخبرنا ميلننجن كيف اكتشف في كردستان آباراً مطينة معدة لحفظ الماء شبيهة تماماً بالتي يصفها كزنيوفون في آناباز . وقد كان ميلننجن على حق عندما علق على اكتشافه كما يلي :

« إنه لضرب قارئي يسترعى الانتباه عندما نجد حتى في أيامنا هذه بين شعوب كردستان وأرمينيا أن هذه الشعوب ما انفك تطبق العادات والتصرفات الخاصة نفسها التي مشى عليها أجدادها وذلك هو دليل آخر يبرهن على أن الأشياء في بعض نواحي الشرق ما زالت على ما هي عليه ، في حين أن سائر الأمم في الأرض قاربت في تطورها الكمال . وما برح شعوب الماديين والأرمن والكردوخ على طابعها القديم المتجلّ في سلائهما . ومثلاً أنه يوجد ، في عالم الجيولوجيا ، بقايا مطمورة في الأرض تتحدى عوامل الزمن المدمرة والتحلل الكيميائي ، ففي تاريخ الأمم أيضاً يوجد عادات وتقاليد هي بثابة بقايا مطمورة في التاريخ تبقى صامدة رغم توالي الكوارث الاجتماعية وتفكك الأجناس » .

ولأننا مقتتون بأنه على قدر ما تتجه الأبحاث الأثرية القدية والأنثropolوجية في أوساط بلاد الأكراد ، سنتمكن من سد النقص

التاريخي الذي يتوكنا حتى اليوم نرود فراغاً هائلاً يمتد من الكلدان (القرنان السابع والثامن ق. م) إلى السيرتيو (القرن الخامس ق. م) والكردوج (القرن الرابع ق. م) والكرتوايا من التاريخ السوري (القرن الرابع ب. م) من ناحية ، والقبائل الكردية التي عرقتنا إليها المصادر الإسلامية ، من ناحية أخرى .

وكم من تقلبات يقدم لنا مشهد كردستان التاريخي على "كور" الزمن ، كما يشير إليها شرموي في مقدمته لتعريف كتاب «شرف نامه» عن الجهة الجنوبية — الشرقية لكردستان المتوسط التي خضعت فيما بعد إلى السلالة المالكة الأرمنية في هيكان ، ثم خضعت إلى الإسكندر الكبير ، ثم إلى الارساسيين الأرمن ، ثم إلى الإسكندر ابن مارك انطونيوس وكليوباترا ، ثم إلى الارساسيين الأرمن الخاضعين حيناً للفرس وأحياناً لروما ، ثم إلى أردشير وشاپور ملكي الفرس ، ثم إلى الأمبراطورية الرومانية ، وعادت من جديد إلى الفرس ، فأمبراطور بيزنطيا تيودوسيوس ، فالارساسيين الأرمن الخاضعين للفرس ، ومن ثم إلى بيزنطيا مرة أخرى ، وأخيراً لالفاتحين العرب الأولين ، فالأمراء الأرمن الخاضعين للعرب ، وللسلالة المروانية الكردية المستقلة التي كانت أول سلالة كردية حاكمة ودام حكمها من ٩٩٠ - ١٠٩٦ ، فخلفتها السلالة الشيرمانية ١١٠٠ - ١٢٠٧ في ديار بكر وأرضروم ثم تناوب عليها الفاتحون الشرقيون : ففي القرن الثاني ظهر السلاجوقيون الذين امتدت بجحافلهم سنة ١٠٤٩ حتى غابات خوارزم ولكنهم تراجعوا أمام فاراجنوري الحاكم البيزنطي . وكان السلاجوقيون يقطعون أمراء

الأكراد الأراضي يصبح هؤلاء تحت إمرتهم . وبعدئذٍ اضطر الأكراد إلى محاربة المغول : أولاً ضد هولاغو خان في القرن الثالث عشر ، ومن بعده ضد تيمورلنك ، وذلك نحو سنة ١٤٠٠ . وفي القرن الرابع عشر أقدمت من شمال بلاد ما بين النهرين دفعة من الأكراد والجشت نحو جبال أرمينيا وسلسلة زغروس . وفي حكم أوزون حسن أك كوبونلو ، وقعت بلاد كردستان - حصن كيف ، وبطليس ، والجزيرة وسيرت وهكاري - ضاحية الفتح المتراوح مداه ما بين ١٤٦٠ - ١٤٧٠ . وأخيراً ، في القرن السادس عشر احتل بلاد الأكراد فاتحون آخرون من الغرب ، وهم الأتراك العثمانيون . ومنذ ١٥١٤ أي تاريخ الانتصارات العثمانية على الفرس في تشالديران شمالي غربي بحيرة أورميا ، ارتبطت مصائر كردستان بتركيا .

إن هذه المراحل السريعة التي تضمنت أسماءً وعهوداً عددة معروفة في تاريخ آسيا السالفة ، كافية لتبين القارىء عن مدى توسيع التاريخ الكردي الطالع ، إذ لا يسعنا والحالة هذه ، إلا أن نشي على هذا التاريخ المتنوع الخلائق باهتماماً بشغف بالغ .

اتساع الأكراد في المكان

لا شك أن القارىء قد اطلع في الفصل الثاني من هذا الكتاب على ما هو كافٍ بهذا الصدد . ويكتفي هنا أن نعرف أن الأكراد انطلقوا من موطنهم البدائي في ميديا ثم ساروا مع الأجيال في كافة الاتجاهات . وأقرب من كنز لهم من ناحية الغرب يكمن في ضواحي

انطاكية وحلب . أما من جهة الشرق فتجدهم على حدود أفغانستان ، وقد انتقلوا إلى هذه المقاطعة تحت حكم الشاه عباس الكبير ونادر شاه . ويوجد أيضاً جزر صغيرة كردية لم تقل بعد قسطها من الدراسة العلمية كما يجب . أما الأكراد المتمرّكزون في الشمال ، فهم أكراد أذربيجان السوفياتية الذين يقطنون منطقة « ويزد » من أعمال كردستان المشكّلة سنة ١٩٢٣ من مقاطعات كوشة ، دفنشير ، و كوباتلي . فهولاء الأكراد ينحدرون من الجماعات التي خاضت غمار الحرب التركية - الفارسية سنة ١٥٨٩ . وفي الجنوب يكون طريق كرمانشاه أبعد حدودهم .

ومن الصعب جداً تعداد القبائل الكردية العديدة والمبعثرة في الزمان والمكان في كل من الدول الخمس : تركيا ، إيران ، العراق ، سوريا ، والاتحاد السوفيافي .

ويفيد كتاب « شرف نامه » أن الأكراد في الأصل ينتسبون إلى أربعة فروع أساسية كبيرة . ١ - الكرمندج . ٢ - لور . ٣ - كلحور . ٤ - غوران . فالكرمندج يقيمون في إيران ، في المقاطعة الممتدة من بحيرة « فان » حتى إقليم « أردايان » في بلاد فارس . والغوران يشكلون الطبقة المزارعة في أردايان بالإضافة إلى بعض القبائل في جنوبي أردايان وشمالي غربي كرمانشاه . وفي الجنوب يوجد جماعة الكلحور ، وفي الجنوب النائي ، جماعة اللور . لكن الشرقيين لا يعتبرون هؤلاء الآخرين أكراداً .

وحوالي سنة ١٨٥٦ ، قام لرش ، وقد نوهنا عن كتابه في الفصل الأول، إثر دراسات أوروبية وشرقية دقيقة، بتتنظيم قوائم قبائل

الأكراد في تركيا وإيران وروسيا ، وحصرها ضمن ٦٠ صفحة من كتابه . ومن ذلك التاريخ لم يقم أي شخص بما يشابه هذا العمل ما عدا البريطاني مارك سايكس الذي زار كردستان ووضع قائمة وخريطة عن هذه القبائل . ولكن يجب التنويه ، في هذا الظرف ، بأن هناك دراسات خاصة بالأكراد قام بنشرها مؤلفها مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية . ولمؤلف نفسه يدلي بعلومات دقيقة وقيمة عن القبائل الكردية القاطنة على الحدود التركية - الإيرانية ، والتي تسنى له دراستها بوصفه ضابطاً روسياً موجلاً في تحديد التخوم المذكورة سنة ١٩٠٤ . وقد نُشرت هذه الدراسات في الأوراق السورية التابعة لوزارة الخارجية الروسية ، ولذا ، يصعب على كل شخص أن يحصل عليها .

ونظراً لعدم تمكننا من تلخيص هذه المستندات والوثائق الوافرة ، حتى بشكل مختصر ، سنكتفي بسرد الواقع المأمة ، مستعينين بدلالات من مؤلفات « سوان » ، هذه الدلائل التي نكملاها أو نعدّها عند الحاجة بعلومات مستقاة من مصادر أخرى .

قبائل كردستان الوسطى : تركيا

عندما توجه باديء ذي بدء إلى وسط كردستان القديم ، فهو بتليس ومقاطعة هكاري - الزاب الكبير العالي والجبال الممتدة جنوب بحيرة « فان » حتى دجلة وجزيرة ابن عمر - نلتقي بقبيلة هكاري . وبعد فتح تيمورلنك لديار بكر في القرن الرابع عشر ،

عُيْنِ الْأَمِيرِ كَارَا عَثَانِ كِيعَاكِمْ لِمَقَاطِعَةِ هَكَارِيِّ . وَلِمَا رَأَى الْأَمِيرِ أَنْ فَتَحَ هَذِهِ الْبَلَادِ الْجَبَلِيَّةِ صَعِبَ تَزَوُّجُ مِنْ بَنَاتِ الْاَقْطَاعِيْنِ فِي الْمَنْطَقَةِ تَقرِباً إِلَيْهِمْ .

وَقَدْ خَدَمَ أَبْنَاءَ هَذَا الْأَمِيرِ الْمَنْطَقَةِ خَدْمَاتٍ كَبِيرَى وَبِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ بَسْطُوا نَفْوَذُهُمْ عَلَى بَتِيلِسِ حِيثُ دَامَ عَهْدُهُمْ حَتَّى الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ .

هَذَا مَلْخَصٌ مَا يَقُولُهُ « سَوَانْ » بِصَدِّ هَكَارِيِّ . وَلَكِنْ نَلْفَتُ النَّظَرَ إِلَى أَنْ هَذَا التَّارِيخُ يَنَّاْتِصُ تَقَامَّاً مَا جَاءَ فِي كِتَابِ « شَرْفِ نَامَهُ » الَّذِي نَفَضَّلَهُ ، لِأَنَّ « سَوَانْ » كَانَ يُعْرَفُ تَقَامَّاً أَكْرَادَ السَّلِيْمانِيَّةِ وَأَرْدَلَانِ وَالْأَكْرَادِ الْمُقيِّمِينِ فِي الْمَنَاطِقِ الْجَبَلِيَّةِ ، وَلَكِنْ مَعْلُومَاتُهُ عَنِ الشَّمَالِ لَيْسَ أَكْيَدَةً . وَقَادَةُ قَبْيَةِ هَكَارِيِّ الَّذِينَ كَانُوا مَقْرَرُهُمْ فِي دِجُولَامِرْغَ - بَعْدَ أَنْ طَرَدُوهُمْ آلَ عَطَا بَكْ زِيكُونِ منْ أَمَادِيَا سَنَةَ ١٢١٧ - عَلَى الزَّابِ الْعَالِيِّ الْكَبِيرِ ، كَانُوا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ سَلَالَةِ الْعَبَاسِيِّينَ . إِنَّ أَوَّلَ أَمِيرٍ بَيْنِ هُؤُلَاءِ يَذْكُرُهُ « شَرْفِ نَامَهُ » هُوَ الْأَمِيرُ عَزُّ الدِّينِ وَقَدْ حَاوَلَ مَقْوَمَةَ تِيمُورُلَنْكَ فِي قَلْعَةِ « فَانْ » سَنَةَ ١٣٨٧ ، وَلَمْ يَجْرِ هَنَاكَ اسْتِبْدَالُهُ بِأَيِّ شَخْصٍ يَدْعُونَ كَارَا عَثَانَ كَمَا يَقُولُ سَوَانْ .

وَهَذِهِ السَّلَالَةُ الْأُولَى حَلَتْ مَكَانَهَا قَبْيَةُ دُونْبُولِيِّ . غَيْرُ أَنْ عَائِلَةَ أُخْرَى مِنَ الْأَمَارَةِ الْمُحْلِيَّةِ تَسْلَمَتِ الْحُكْمَ بِمَسَاعِدَ النَّسْطُورِيِّينَ وَأَخْذَتِ لَقْبَ شَمْبُوِّ . وَكَانَتْ سُلْطَةُ هَذِهِ السَّلَالَةِ تَمْتدُ شَمَالًا حَتَّى مَقَاطِعَةِ الْبَاكِ وَعَاصِمَتِهَا باشْ قَلْعَةَ . وَقَدْ نَزَعَ الْأَتْرَاكُ الْحُكْمَ مِنْ نُورِ اللَّهِ بَكْ آخِرُ مَمْلِكَتِ هَذِهِ السَّلَالَةِ وَذَلِكَ سَنَةَ ١٨٤٥ ثُمَّ سَلَمَتْ باشْ قَلْعَةَ إِلَى السُّلْطَاتِ الْعَثَانِيَّةِ بِوَاسْطَةِ حَلِيمَةِ خَانِمَ .

أما فيما يتعلق بأمراء بتليس ، فكان هؤلاء يدعون أنهم ينحدرون من سلالة الساسانيين الفرس وكانت قبيلتهم تدعى روزاكي وتعد ٢٤ معسكراً .

ولنأخذ الآن بعين الاعتبار أنه لا يجوز خلط الإقطاعي مع القبيلة . إن الحكم الإقطاعي يحكم قبائل كثيرة قد تكون كردية ، أو متسلكة أو مسيحية . ويحتمل أن لا يكون القائد كردياً ، كما مرّ بنا ، في بعض الفصول . أما أمراء بتليس فكانوا يحملون اسم ساربيكس . وكان لديهم في بتليس قلعة ملكية وجيش مؤلف من ٢٠ أو ٢٥ ألف خيال . والسلطان والشاه كانوا يودان مصالحتها نظراً لموقع بتليس الاستراتيجي الواقع على الطريق التي تصل حلب بطوريس . ومنذ نهاية القرن الثامن عشر أخذ كل أمير من هذه السلالة يقوم بتقدمة هدية صغيرة للباب العالي ، وذلك على سبيل المجاملة . فأصبحت هذه السلالة قوية جداً ، ووقعت اتفاقيات مع قبائل جزيرة ابن عمر . إلا أن أمراء وبكرotas آماديا وجولا مرغ وروندوز انتما إلى قبيلة هكاري . ومن المحتمل أن يكون « سوان » على حق فيما يتعلق بآماديا وجولا مرغ ، غير أن الجزيرة وروندوز بقي لها أمراؤها وحكامها ، مستقلين وفي معزل عن كل نفوذ خارجي ، وغير مبالين بأطماع بلاد فارس وتركيا في بقاعهم التي يصعب الوصول إليها .

وإن الفضل الأكبر في بسط سلطان هذه القبيلة على بقاع كردية أخرى يرجع إلى إدريس ، الوزير اللامع في بلاط السلطان سليم ، وهو كردي من هكاري .

القبائل المكردية في أرمينيا

بوجه عام ، لا شك في أن زوال العهد الاقطاعي في تركيا ووهن سلطة البوكتوات الأتراك ، فتحا مجالات جديدة للأكراد . فتمكن هؤلاء من الاستيطان في أرمينيا ، وذلك بفضل عمل سياسي حاسم قامت به الحكومة التركية . فعلى أثر الانتصار على الفرس في سهل تشالديران سنة ١٥١٤ ، أجرى أدریس المذكور تبديل أقوام الهيدرنلو والقبائل المتضامنة معها في الشهال ، في أرمينيا ، على طول الحدود الجديدة التي تفصل تركيا عن إيران وجورجيا ، وذلك بغية الدفاع عن الحدود التركية . وقد أُغفى هذه القبائل من الضرائب شرط أن تؤلف منها نوعاً من الحرس الدائم في خدمة الدولة التركية . ولكن خلال الحروب الواقعة أعوام ١٨٢٩ ، ١٨٥٤ ، ١٨٧٧ ، كان موقف الأكراد مبهماً فخابت الآمال التي علقها الأتراك عليهم .

هل كانت هذه الحقبة من الزمن هي تاريخ استيطان الأكراد في أرمينيا بالضبط ؟ إن مينورسكي يعتقد أن الأكراد البدو انتشروا في أرمينيا أبان عهود سابقة .

إن أجداد صلاح الدين الأيوبي ، من قبيلة رفند ، كانوا من البدو الذين سكنا في القرن العاشر قرب دفين وهي من أعمال أريافان . ولنذكر أيضاً ، نقاً عن شرف نامه ، أن قبيلة روزاكي انتزعت بتليس وخازو من أحد أمراء جورجيا واسمه دافيد . والمصدر نفسه يفيد أن قيام السلالة الحاكمة في بتليس صار

في سنة ٨٣٧ ، وعلى اعتبار أن هذا التاريخ هو موضوع شك والتباس . فهذا الحدث قد حصل بالطبع قبيل القرن العاشر أو الحادي عشر . وهكذا ، استولى الأكراد تدريجياً على بعض الأجزاء من المملكة الأرمنية التي زالت في القرن الحادي عشر . ويوجد أماكن عدة في أرمينيا يقيم بها الأكراد ، وهذه الأماكن على كل حال ليست للأكراد وطنًا أمًا . وأهم القبائل الكردية في أرمينيا - ولاية أرضروم - هي : زيركي ، دجيرنلي ، زركنلي ، رلنلي ، حستنلي ، حيدرنلي ، إدمنلي ، سبكنلي .

وأمراء بtileس ، المتعين بالاستقلال الناجز ، بلغوا أوج سلطانهم في القرن السادس ، والسابع ، والثامن . وكانوا يعترفون ببعض السيادة الفارسية أو التركية قارة ، ولكنهم كانوا يرفضون لهم كل مبرر للتدخل في شؤونهم طوراً . وآخر أمير لهذه السلالة هو شريف باشا الذي صمد أمام الأتراك عدة سنوات في النصف الأول من القرن التاسع عشر آن بذلت تركيا كل ما في وسعها لإخضاع كردستان ووضعها تحت سلطتها . ثم أسر في سنة ١٤٨٩ وأرسل إلى القسطنطينية ، ومنذ ذلك الحين ، أصبحت بtileس تحت الحكم التركي .

وبالرغم من أن جماعة هكاري حُرموا من عاصمتهم ، فهم ما زالوا يمثلون حتى أيامنا هذه قبيلة عظيمة وشهيرة يحسب لها ألف حساب في المنطقة الجبلية حيث تقطن . والأتراك يمارسون معها سياسة تساهل كيما يتسمى لهم الاعتداد على إخلاصها في تلك المنطقة الواقعة على الحدود .

إن سوان قام بشرحه بهذه الشأن قبل الحرب العالمية الأولى. ومنذ ذلك التاريخ طرأ تبديلات على أوضاع الأكراد . وأبان الحرب ، خاضت هذه القبيلة قتالاً مرتّباً إلى جانب الأتراك وأتلت القبائل النسطورية في المقاطعة ، وظلت الاضطرابات تسود هذه المنطقة حتى تحديد التخوم التركية – العراقية الذي لم يحصل إلا في عام ١٩٢٥ . ولا يظهر في الوقت الراهن أن السياسة التركية تتمكن من تركيز دعائمها على إخلاص الأكراد .

وهناك عادة غريبة في هكاري تطبق عند توقيع الحكم . فإذا تبين أن الخان المحلي غير جدير بتسليم أعباء الحكم ، يجري استدعاء الاعيان والوجوه للجتماع . فينظر هؤلاء في الوضع حتى إذا تأكد لهم أن الخان غير جدير بالحكم ، وإذا ثبت زوال حقه ، وتُضع أمامه حداً يجب عليه أن ينتعله ويغادر الاجتماع بعد إعطاء موافقته على تعيين شخص سواه لتسليم الحكم ، وذلك دون استصفاء أموال وأملاك الخان الساقط .

وفي إقليم درسيم « ولاية خربوت » بجوار هكاري ، يوجد أكراد قبيلة زازا وهي قبيلة منعزلة عن غيرها يُعرف عنها فقط أنها تعيش في الجبال منذ أجيال بعيدة . وقد قال سوان بصدقها : « آسف جداً لأنني لم أتمكن من زيارتها . ولهمجة هذه القبيلة على الرغم من أنها آرية من صنف» الفارسية والكردية ، إلا أنها لا تشبه لا هذه ولا تلك . وهذه القبيلة تسكن في منطقة دجلة العالية . ويتحدث المسافرون عنها أن شعبها الصغير يتميز بالشجاعة ، وأن قواماتهم أقرب إلى القصر منها إلى الطول . وفيهم نسبة كبيرة من

ذوي العيون الزرقاء والشعر الأشقر » .

قبائل كردستان الجنوبيه : العراق

١ - البيان

إن الطريقة نفسها التي طبقتها توركيا في أرمينيا للحفاظ على حدودها في الشمال ، امتدت فيما بعد إلى الكردستان الجنوبي الذي يشكل حالياً جزءاً من العراق ، وذلك منذ ضمها إليه السلطان مراد الرابع . وقد استمر في حكم هذه المقاطعة البكرات الأكراد بالوراثة ، وفي مستهل القرن الثامن عشر وُضعت هذه المنطقة المسماة إيالة شهزور مباشرة تحت تصرف نائب ملك العراق ، الذي أخذ يعين منذ ذلك الحين البكرات الأكراد في ٦ سناجق : كركوك ، إربل ، كوسنجق ، كارتشولان ، رمندوز ، صور . وكان الباب العالي يغدق على هؤلاء البكرات لقب باشا . وكان البكرات بدورهم يتهدون بمساعدة الأتراك عسكرياً لردع أعدائهم كما يتهدون لهم بتمويل الجيوش التركية في إقليم العراق .

وفي هذا الجزء من كردستان توجد قبيلة بيبي أو بابان التي خلفت قبيلة سوران المنقرضة – المذكورة في شرف نامه . وقد لُقبت القبيلة بهذا الاسم تبعاً لقائدها بيبي سليمان من « بشدر » الذي أدى إلى الأتراك سنة ١٦٧٨ خدمات عظيمة لما كانوا في عراك مع الفرس . ومن ثم أسس أحد بكرات هذه العائلة إبراهيم باشا ، عام ١٧٨٦ في محلة مليك هندي ، بلدة أسمها السليمانية وذلك على شرف

«بوبيوك سليمان» نائب ملك العراق . فأصبحت السليمانية مقراً لبكتوات جماعة البابان . فاسمه عليل حقي التركي عضو مجلس النواب في القسطنطينية ، ينتهي إلى هذه العائلة . كذلك حدي بك بابان الذي جمع مستندات هامة عن تاريخ عائلته وقبيلته . وآسف أن أذكر بهذا الصدد أن كافة المستندات التي كانت في حوزتي طيلة أعوام ، استرجعها حدي بك بناء على طلبه ، إذ أنه كان آنذاك يقيم الدعوى في لندن ضد الحكومة البريطانية مطالبًا باسترئاجع أملاكه المضبوطة . وأيضاً ضمت حكومة بغداد في وزارتها أكثر من مرة أشخاصاً من آل بابان .

٢ — المهاوند

ولنذكر أيضاً في هذا الجو اتحاد المهاوند . والمهاوند قبيلة كردية لعبت دوراً خطيراً حاسماً في الحرب الروسية - التركية ١٨٧٧ - ١٨٧٨ تحت اسم باش بوزاق ، أي: الحياة غير النظامية . وكونقت على ذلك بتوسيع أراضيها في منطقة بازيان «تشامتشامل» . ولهذه القبيلة شهرة خاصة في المغامرات الكثيرة التي تقوم بها . وقد قال ديكسون فيها : إن البلاد الواقعة ما بين كركوك والسليمانية هي مقاطعة أكراد المهاوند الشجعان ، وهم قبيلة من البدو الذين تجد لديهم بصورة دائمة نحو ألفي بندقية حربية . وهم لا يجدون ما يشرف المرء مثل الخيل والسلاح والمغامرات واللقاء في ساحات القتال . لذلك تخافهم قبائل الأكراد الأخرى والمناطق المجاورة . وكتب ديكسون أن حكومة تركيا حاولت معاقبتهم في مطلع

القرن العشرين . وبعد جهد جهيد ومناورات لا تُحصى تكنت فصيلة تركية من إلقاء القبض على عدد منهم ، فأرسلوا إلى طرابلس . وبهذا الصدد قال لي أحد قادتهم بفخر واعتزاز إن أولئك الذين ألقى القبض عليهم قد فروا من السجن بعد ثلاثة أسابيع ورجعوا على الأقدام حتى بلغوا التخربم الفارسية . ويرتدي هؤلاء ثياباً صفراء عربية ، ويقطرون الخيل كالعرب ، ويتجرون بها . أما على الروابي المرتفعة فلا يعطي الأكراد إلا البغال ، وهم يعتبرون الفرس غير صالح للركوب . فالسفر في هذه المنطقة بجازفة خطيرة . وقد رافقنا مرة رئيس فرقة مع رجاله فأرادوا إيهامنا بقوتهم ومقدرتهم ، لكن في الحقيقة ، لا فرق بينهم وبين العرب الرحل المسلمين . والخيام التي يكترون فيها ما تزال بدائية ، وهم لا يعرفون الترف الذي تتمتع به الأقلية الضئيلة من الأثرياء بينهم .

قبائل تكريستان الفارسية

١ - الموكري

لندع في الوقت الحاضر الأراضي التركية ولنتوجه إلى الجنوبي - الشرقي حيث نجد في بلاد الفرس قبائل موكري وأردلان .

إن قبيلة موكري التي تحتل البلاد الواقعة جنوبي بحيرة أورميا ، تمثل الفرع الجنوبي لأكراد الشمال ، والموكري يتكلمون لغة كردية يبدو أن لفظها وتصريفها أدق من سائر لغاتهم جميعاً .

وهم يدّعون أن لغتهم هي أقدم لغة . وأقدميتها قد لا تزيد عن أقدمية سائر اللغات الكردية ، لكن المحافظة التامة على أشكالها القدية تسمح باعتبارها كقاعدة للمقارنة بين سائر اللغات .

إن قبيلة مو كري ، نسبة قبيلة بسي في شهرزور ، ظهرت في منطقة « ساوج بولاك » في القرن الخامس عشر ، وعلى رأسها قائد يدعى سيف الدين . فانتصرت على أترالك « دجابوكلو » وأخذت منهم قضاء درياس « شهر يفران » ومن ثم احتلت أقضية « دولا باريك » وهي : « أخطتش ، والتأمور ، وسولدوز » . وفي عام ١٥٨٣ ، وكل السلطان مراد الثالث إدارة أرض شاسعة جداً إلى أمري بك من سلالة سيف الدين . وتشتمل هذه الأرض على « الموصل وشهرزور وإربل » وغيرها حتى فرغانة شرق بحيرة أورميا . وتحت حكم ابنه ، حيدر خان ، كانت قبيلة الموكري تحكم أقضية مراغة وأدجاري وليلان ، كما كانت تحكم مدينة « ميندواب » وحكلة « سارو كورغان » القوية قرب مراغة .

وجماعة الخان في مو كري ينقسمون إلى فرعين : بابا إمري وبابا ميري . وقبيلة دبو كري في كردستان (مو كري) لا تزال تعيش معهم . وهذه القبيلة قليلة العدد . وهي من جهة أخرى ، تشارك في حياتها سواها من القبائل المتطرفة في الغرب وفي الجهة الغربية الجنوبية ، كما وأن هذه القبيلة معروفة تماماً في تلك البلاد نظراً لحكمها المقتدىين الذين كانوا ، منذ أجيال ، أصحاب السلطة في عاصمتهم « ساوج بولاك » . فالشاه عباس ، ونادر شاه ، وفتح علي شاه ، جميعهم ، اعتمدوا في أعمالهم الحربية على جماعة

مو كري الأشداء . فالشاه عباس مدين بانتصاراته للأكراد الذين كانوا يشكلون الأكثريّة الساحقة في جيشه وقد هزم الأتراك في معركة كبوى سنة ١٦٢٤ ، فضلاً عن أن هذه القبيلة كانت دائمًا بالمرصاد لقبيلة بلباس المجاورة لها والمعروفة ب GAMER انها الكثيرة . مع العلم أن قبيلتي مو كري وبلباس تحدران في الأصل ، من قبيلة واحدة تتكلّم لغة واحدة . وقبيلة بلباس عظيمة الشأن ولها في بلاد ما بين النهرين الأقسام التالية : منفور ، بيران ، ماماش ، وأودجخكا هيديري .

ومن الزعماء المو كريين ، بوداك خان الذي أصاب مثل غيره ، شهرة واسعة . وأطلق عليه اسم آنور شروان الثاني (دخل هذا الملك السياسي التاريخ حاملًا صفة الملك العادل) وذلك نظرًا لعدله . عاش بوداك خان في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، فتبني ، أول الأمر ، قضية الأسرة الكردية في زند ، تلك الأسرة التي أعطت بلاد الفرس ملكاً هو (كريم خان) . غير أن جماعة القاجار تغلبوا عليه في النتيجة . فاضطر إلى التحالف معهم وكان إذ ذاك تحت حكم فتح علي شاه . ثم اعترفوا به كأمير مو كري . وعلى الأثر ، قامت شخصيات كبيرة من المو كريين بتقديم خدماتهم إلى عشائر القاجار ، كمجيد خان مثلاً الذي تبوأ منصبًا هاماً فيما بعد واسماعيل آغا دبو كري الذي أصبح مستشاراً في بلاط شاه إيران ، وهلم جراً . وبالتعاون مع الجيوش الحكومية التي بعث بها عباس ميرزا ، ولي عهد أذربايجان وحاكمها العام ، قام بوداك خان برحلتين استهدفتا تأديب جماعة بلباس .

وتاريخ القاجار يأتي أيضاً على ذكر قائد مو كري آخر اسمه عزيز خان زعيم عائلة بابا ميري وذلك في عهد محمد شاه وناصر الدين شاه . وقد بدأ نشاطه في طوريس يوم وقعت المصالحة بين بوذاك خان والقاجار ، ثم كلف ببعض البعثات السياسية (في قضية هيرات) والأدارية (في قضية شيراز) حيث أنه مهمته بنجاح باهر وعهد إليه منصب « أدجوهان باش » أو حاكم عسكري لطهران في بداية عهد ناصر الدين . كما أنه كلف من قبل الشاه بتقديم التمنيات والهدايا إلى ولي عرش روسيا إبان زيارة هذا الأخير لأريغان . وهو في طريقه إلى أريغان اضطر عزيز خان إلى الاهتمام بثورة بيسس فامد نيرانها . أما في طريق الإياب ، فقد أجرى ترتيب بعض القضايا العسكرية . ومن ثم بناء على أمر الشاه ، قام بتنظيم صالح السلطة في العاصمة التي حققها أكراد مو كري وأكراد كلحور وأفشارس تحت قيادة ابنه علي خان . ومكافأة له ، عين عزيز خان رئيس أركان الحرب العامة في الجيش الفارسي . ولكن على أثر الدسائس التي قام بها كل من الصدر الأعظم وميرزا آغا خان . أنهم عزيز خان بالتأمر مع الروس والإنكليز بغية سلخ كردستان عن بلاد الفرس ، الأمر الذي اضطره إلى العودة لمزرته في بوكان . وهناك شارع في طهران يدعى شارع عزيز خان .

ومن الفائدة بمكان أن نذكر أن مقاطعة مو كري هي مسقط رأس النبي الفارسي العظيم زرادشت . كما وأن آثاراً قدية لبلدة شيز عاصمة الماديين معروفة باسم « تحت سليمان » ولا تزال قائمة في شمالي تلك المنطقة . ولا تزال هذه الحرب موجودة في إقليم الأفشارس

في جوار « ساين كالا » حيث قهر الساسانيون مارك انطونيوس ، وهو على ارتفاع تسعه آلاف قدم عن البحر . والشعب هناك يعتقد أن قصر سليمان المخاطب بالجن كان قائماً في هذا المكان . وعلى قمة بجاورة مرتفعة ألف قدم ، تضع الأساطير قصر الملكة سبا المبني من عظام الطيور والمدعو « تخت بلقيس » .

وقد يرجع اسم « تخت سليمان » إلى سليمان شاه الذي كان حاكماً كورديستان في القرن الثالث عشر . وهنا كانت في قديم الزمان كاريروي ، عاصمة ميديا حيث كان سيروس يحرص على كنوز كريزوس ! وجماعة موكري الدين يعرفون أسطورة هذه الأمكانة ، يستشهدون بها ليثبتوا أنهم الأكراد الأصليون .

٢ - بنو أر杜兰

إن بنو أر杜兰 المجاورين للموكريين ، في الجنوب ، كان دورهم في التاريخ الفارسي أبرز من دور جيرانهم الموكريين . وببلدة « سنتات » هي عاصمتهم . وقد حكمت إقليم أر杜兰 منذ القرن الرابع عشر أسرة من النبلاء كان الحكم قبلها بيد أمراء أر杜兰 الأقدمين . وتدّعي هذه الأسرة بأنها من سلالة صلاح الدين الأيوبي الذي كان هو نفسه كردياً من « حسن كايف » وهي عشيرة تابعة لقبيلة هكاري^١ . و « سنتات » هذه بلدة قديمة جداً تشهد على

١ - إن قبيلة صلاح الدين ، راوند وروادي ، أصلها من شمال مقاطعة آراكس ، ثم انتقلت إلى الجنوب وقد عاش والد صلاح الدين في تكريت ، قرب الموصل .

قدمها الكتابات العديدة التي اكتشفت في ضواحيها والتي ترجع إلى عهد الساسانيين . ومقاطعتها الجنوبية الغربية – أي حلوان وزوهاب وقصر شيرين الحالية – كانت مقر الملوك الساسانيين . وعندما شيدت « قصر شيرين » في العهد الساساني ، قامت بلدة حلوان التي امتدت وإقليمها حتى شہر زور حوالي ٤٠٠ سنة ق . م . وبعد أن حكم حكام أردنان عدة أجيال بشكل مستقل تماماً ، تبناوا اللقب الذي أغدقه عليهم شاه العجم ، وهو لقب والي أردنان . وظلت مقاطعة أردنان محتفظة باستقلالها وحليفة لبلاد فارس حتى عهد خسرو خان بن عمرولاه خان ، القائد الشهير الذي لا يزال اسمه خالداً في تلك المنطقة .

وكان للوالي عند الفرس أهمية كبيرة يفيدنا عن ذلك تقرير تسيتسيانوف المبعوث إلى الأمير تشارلز توريسكي في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٨٠٥ . وكانت بلاد الفرس ، علاوة على الخانات والمقاطعات الشاسعة التي كانت تؤلفها وتறضخ مباشرة حكم الشاه ، تشتمل أيضاً على أربع بمالك بحكم كلام منها نائب ملك يسمونه بالفارسية : والي . ومن هؤلاء والي عربستان ، والي كوردستان « ملك جورجيا » والي لورستان والي كردستان . وهذا الأخير يملك الأراضي المجاورة للممتلكات التركية ، كما يملك مقاطعة « بيازيد » التي كانت قد يأها تابعة لوالى كردستان ، والتي تقطنها اليوم شعوب كردية . وكان على هؤلاء الأربعه مهم يتوجب عليهم إداوها للشاه حين توجيهه في أربيل : فكان على والي عربستان أن يمسك ريشة التاج ، وعلى والي كوردستان أن يحمل السيف ، أما والي لورستان فيحمل

الاكليل ، ووالي كردستان التاج المرصع بالألماس والمحارة
الكريمة .

و اتسعت مملكة أردنان عبر الأجيال بعد أن ضمت إلى أراضيها
كافحة الأقاليم الضعيفة حتى بلغت حدود الجاف وببلاد الموكرين
و أمراء رامندوز . و المقاطعات التي ضممتها إليها هي : دجوونرو ،
أورمان ، مروان ، بانه ، ساكينز وأقضية حسنياد واسبندياد . كل
هذه المقاطعات تؤلف حالياً أردنان وتمثل أقضية إقليم « سنات »
و « سنجوك » .

ويكمن هنا التوقف عند مقاطعة أورمان التي هي أفضل سائر
تلك المقاطعات . إن هذه المقاطعة الصغيرة كانت في الأساس مستقلة ،
و ظل حكامها مدة من الزمن يديرون شؤونها بأنفسهم . وهؤلاء
الحكام كانوا يزعمون أنهم من سلالة رستم ، البطل الفارسي الوطني .
والناس في هذه المنطقة يتكلمون لغة خاصة ، وهم يعتبرون أنفسهم
أنهم أوراميون لا أكراد . وفي الحقيقة إن الأوراميين ، كالغوران ،
هم من أصل فارسي . وهم يعيشون في وادي محاط بالجبال ، ولم
عوايدهم الخاصة . ومن أساطيرهم واحدة تروي أن داريوس ملك
الفرس طرد سلفهم الأول ، أورام ، من وطنه ، إلى جهة ديفند
شمالي العجم ، ففرّ أورام بصحبة أخيه قندول ، والتوجه إلى تلك
الجبال المنعزلة حيث أقام وأسس قبيلة أوراما .

و كثيراً ما حاولت أردنان وهي في أوج مجدها إخضاع هذه
القبيلة ، ولكن دون جدوى . فقبيلة أوراما لا تزال وحدتها حتى

اليوم تشمخ مطمئنة إلى حريتها .

وقد دام عهد الأسرة الحاكمة في « ستات » حتى القرن التاسع عشر . وكان عمنولاه خان ، وإلي أردلان إبان العقدين الأولين من القرن التاسع عشر ، من أبرز الحكام .

وقد ربطت الأسرة الحاكمة في هذه المدينة مصيرها بصير قبيلة القاجار عندما أخذت هذه الأخيرة تطمع إلى العرش الفارسي ، وعقدت معها اتفاقية صداقة وتحالف ، ثم أسهمت مع جيوشها في المعارك ، وذلك بقيادة حاكمها لطف علي خان زند المنكود الحظ الذي أدى هزيمته ووفاته إلى ترك العرش بين أيدي القاجار .

وخسر و�ان بن عمنولاه تزوج ولية خانم ابنة فتح علي خان ، المرأة المقدرة التي أمسكت زمام الحكم بعد وفاة زوجها . ثم خلفها غلام شاه خان سنة ١٨٦٥ وكان آخر ولاة أردلان . وبعد وفاة هذا الأخير قام ناصر الدين شاه ليتصرف بالحكم مدعياً القرابة من الأسرة التي كانت تحكم أردلان . وفيما كان المرشحون في انتظار القرار النهائي ، أقدم فجأة على تعين عمه « متعمد عود دولة » الرجل الصلب ، حاكماً على كردستان .

ولم تصطدم هذه الحكومة بأي رد فعل جديرة بالذكر من قبل أهل أردلان . وهكذا بات من السهل على « متعمد عود دولة » أن يضمن موقفه في « سنات » . لكن الحالة كانت على خلاف ذلك لما توجه إلى أورمان فأبي جماعة هذه الأخيرة الخضوع إلى حكام أردلان ، إذ أنهم كانوا يتذمرون قائلين إن الشروط التي تفرضها سيادة العجم قاسية وبالتالي ليس في استطاعتهم أن يتحملوها .

ولم يتوصل « متعمد عود دولة » لإخضاع حسن خان سلطان أورمان ، إلا بعد معركة شاقة وطويلة . ومع ذلك فقد كان احترامه وتقديره لهذه القبيلة شديدين إلى درجة أنه عهد بالسلطة بعده إلى ابن حسن خان وإلى أخيه .

وفي أيامنا هذه يقع جزء من مقاطعة أورمان في الأراضي العراقية . أما الجزء الآخر والأوسع ، فيقع في الأراضي الفارسية . ومع أن حكام هذين الشطرين يخضعون رسميًا إلى هاتين الدولتين ، فهم لا يزالون أحراً هنا وهناك .

أما أسرة حكام أردلان السابقين فالرغم من حرمانها من الحكم ، لا تزال معروفة تماماً ولها مكانة مرموقة بنظر الحكومة الفارسية . وكان أحد شيوخها المتأخرین ، فخر الملوك ، رجلًا متفقاً جداً تبوا عام ١٩١٧ منصب حاكم شوستر ودزفول في عربستان .

إن هذا الموجز التاريخي الخاص بمقاطعة « سنات » يفيدنا أن الأكراد سواء في تركيا أم في العجم ، غالباً ما كانوا يفلحون بإنشاء ولايات مستقلة في كل تصرفاتها وأعمالها حتى ولو كانت خاضعة إسمياً لأحد هذين البلدين تركياً والعجم .

٣ - الجاف

لتوجه الآن إلى جيون أردلان حيث قبيلة الجاف . إن هذه القبيلة تتمتع بشهرة حربية واسعة في وسط الكردستان الجنوبي . ولم نكن نعرف شيئاً عن تاريخها سوى أن ما نقوله هنا هو كما قال « سوان » ترجمة عن أقوال الأسرة الحاكمة . وقد سمح لنا بنشر

ذلك محمد علي "بك بستهال ، من «كزيل رباط» في الجنوب الأقصى من كردستان ، وهو أحد أعضاء الأسرة الحاكمة المذكورة .

يُعتقد أن هذه القبيلة سكنت في قديم الزمان في «جوانزو» إحدى مقاطعات أردنان السابق ذكرها وذلك حتى عام ١٧٠٠ ، فكانت طبعاً تحت سلطة حكام أردنان . وكان هؤلاء الحكام يحاولون تدعيم سلطتهم على هذا الإقليم بداعين : الدافع الأول طمعهم في إقليم «جوانزو» الخصب . والداعي الثاني قلقهم من قوة قبيلة «الجاف» المخربة . وذات يوم علىثر معركة دامية لاقت فيها قائد «الجاف» حتفه ، أسر ابنه وأخوه ثم قتلا . أما سائر زعماء القبيلة فقد لاذوا بالفرار تحت حماية باشا السليمانية الكردي . ولم يبق هناك إلا بعض العشائر الصغيرة التي كان تعلقها بالأرض الأم يفوق بحدها كرهها للغزاة . وإن بعض أبناء هذه العشائر من هذه القبيلة ولا سيما عشائر كاديرو ، وميرفاسي ، وتيكاي ، ويوسف عار أحمدي ، وكوعيف ، ونرجي ، وكرخيش ، لم يتمكنوا من احتلال استبداد حكام أردنان المتعدرين ، فالتوجهوا إلى جماعة «غوران» وتبناوا اسمهم وهم يُعرفون الآن بجماعة جاف - غوران . وقد منح باشا السليمانية الكردي حمايته لزعماء الجاف وسيع لخياتهم بحق التنقل ربيعاً وخريفاً في الأوساط التي يعيشون فيها اليوم ، أي من «بندرجين» شمالاً حتى «كزيل الرباط وختاقين» جنوباً . وهكذا أصبحوا مواطنين أتراكاً قديماً ، ومواطنين عراقيين حالياً .

وفي عام ١٩١٤ بلغ عدد المقاتلين في هذه العشائر من قبيلة جاف ، ما يزيد على ألف ورجل . ويصرح محمود باشا زعيمهم أن يوسعه أن يجتذب ٤٠٠٠ خيال بطرف بضع ساعات .

وتعيش جماعة الجاف في فصل الشتاء غربي نهر سرفان ، من خط « خناقين - كلارا - صالحية » حتى جبال « كارا داغ » كما تعيش في « شميران » وفي سهل شهرزور . ومنهم ألفا أسرة لا تبدل مواطنها ، وثانية آلاف أسرة تقريباً رحالة . وكان أول مهاجر من « جوانزو » إلى جنوب بحيرة « سرفان » شخصاً يدعى « زهير بك » ، وذلك منذ ٣٠٠ سنة . ثم تبعه آخرون حوالي عام ١٦٣٨ .

وقد ساعدت قبائل الجاف السلطان مراد الرابع عندما احتل بغداد . فنحوهم السلطان مقابل جهودهم لقب المراديين ، ذلك اللقب الذي قلما هو معروف هناك . غير أن ما يعادل ٤٠٠٠ عائلة بقيت في إقليم جوانزو ، بينما استقرت ١٥٠٠ عائلة في مقاطعة غوران . وقد استعرض فرييه (١٨٤٥) في كتابه « رحلات ومتامرات في العجم » ، بعض لمحات خاطفة مأخوذة من صيم الواقع ، فوصف مثلاً وسط « خناقين » حيث تختشد جماهير الغزاة التابعة للأقضية المجاورة فقال : « إن روعة السلاح الذي بيده كل من هؤلاء والذي يتألق على ثياب مزركشة متالقة لم يثير الإعجاب فعلاً بهؤلاء القوم ! » ثم تحدث عن هجوم غاشم قام به قائد فصيلة من الخيالة الفرس على قبيلة الجاف ، قائلاً :

« لقد قام القائد بهذه الحملة غير المشروعه لكي يتمول على حساب

هذه القبيلة ، ثم يبعث إلى الشاه بتقرير كاذب يحمل هذا الأخير على الاعتقاد بأن قائد خادم باسل مندفع ومطيع . لكن القبيلة سدت الضرائب المترتبة عليها فقطعت على القائد المذكور غايته من وراء هذا الهجوم ولم تكن إلا مضاعفة أرباحه . ثم أبى إجابة رغباته بصلابة وعناد ! » .

وعُرف باشوات الجاف بشموخهم واعتزازهم ، وهم لا يتكلمون كثيراً لكنهم ينفذون بسرعة . وقد اتخذوا تدابير حاسمة وإجراءات صارمة في غضون القرن الأخير ليمنعوا كل ما يمكن وقوعه من انشقاق في صفوف القبيلة . وقد لوحظ أيضاً أن بين القبائل الكردية الكبرى ، قبيلة الجاف وحدها التي أثبتت أنها قادرة على صيانة استقرارها الداخلي . وبفضل تصرفات حكامها الواعيين ، نعمت بالتقدم والازدهار المنشودين .

وهناك طابع موصوف في حياة الأكراد لولاه وكانت الحال عكس ما هي عليه اليوم ، ول كانت تركيا والعجم قد تعرضتا لأخطار الغزوات الكردية . وهذا الطابع هو عدم تمكن القبائل الكردية من العيش بسلام مع بعضها . وهو طابع تتسم به شعوب المناطق الجبلية عامة .

واليآن تستمع إلى سوان يتحدث عن جماعة غوران : « من المحتمل أن تكون هذه القبيلة أشهر من سواها من القبائل الكردية ، نظراً لأنها جذبت نحوها العدد الأكبر من زوار بلاد فارس الغربية وكردستان الجنوبية . ويبلغ عدد قبiliتي غوران وجاف عشرة آلاف عائلة يقضون الشتاء في سهل زوهاب وغربي هذا السهل ، ويصطافون

في « سربول و كرند » وفي « رجاب وماهيدخت ». ومن المحتمل أيضاً أن جماعة « كاجور » ساهموا في تكوين هذه القبيلة ، واتخذوا لأنفسهم اسم غوران الذي يطلق إجمالاً على المزارعين » .

غير أن « سوان » يعتقد أنه إذا أمعنا النظر في التولوجية هذه القبيلة ، قد يتبيّن أن جماعة « غوران » هم من أصل عجمي أو لوري ، لا كردي ، إذ أن هناك قبائل عديدة على التخوم التي تفصل كردستان عن لورستان لا هي كردية ولا لورية لكنها تتكلّم لغة لا يزال فيها بقايا من لغة « تدجيك » ، وهي لغة فارسية قديمة ^١ . مع ذلك ، فهذه اللغة القديمة لا تزال اللغة الكلاسيكية التي تتكلّمها أردلان . وهي تُستخدم في الأشعار التي كُتبت وما تزال تُكتب في « سنّات » وجوارها . ويسمونها اليوم لغة الأورامي أو الشهزوري .

فالقبيلة الكبرى والأكثر نفوذاً ، التي تحكمها عشائر السلاطين وتزعم أنها تتحدر مباشرة من بهرام جور . وهذا الأخير ، كما هو معلوم ، كان أحد ملوك الساسانيين وحكم من ٤٢٠ إلى ٤٤٠ . و « جور » تعني في الفارسية : فراء — لأن هذا الملك كان صياداً شهماً . ولأقى حتفه إذ وقع في بئر بينما كان يصطاد الفراء .

وقد قال فيه عمر الخيام الشاعر الشهير ، ما يلي :

انظر كيف انتقم اللحد من بهرام
الذي قضى حياته يصطاد الفراء !

١ - التدجيك لغة ايرانية تستعمل في تدجيكستان السوفياتية الحالية وليس لغة فارسية قديمة كما يقول سوان .

وَعَقبَ سَنَةِ ١٦٣٩ ، عَنْدَمَا عَقَدَتْ تُرْكِيَا وَالعِجمَ مُعاَهَدَةً
تَخْطِيطَ الْمَحْدُودِ فِيهَا بَيْنَهُمَا ، وَعَنْدَمَا انْضَمَتْ إِلَيْهِمَا قَبَائِيلُ الْجَافِ
وَسُواهَا ، حَكَمَتْ عَشَائِرُ غُورَانَ بِسُلْطَةٍ وَاسِعَةٍ مِنْ عَاصِمَتِهَا فِي
« جَهْوَارَه » شَمَالِيِّ شَرْقِ الْكَبْرِيَّنْدِ وَجَنُوبِيِّ شَرْقِيِّ جَبَالِ دَلَاهُ . وَقَدْ
اَشْهَرَتْ بِأَشْعَارِهَا وَقَصَائِدِهَا ، لِذَلِكَ نَرِى أَنْواعًا كَثِيرَةً مِنْ أَشْعَارِ
الْأَكْرَادِ تَحْمِلُ أَسْمَاءَ غُورَانِيَّةً .

لَكِنَّهُمْ فِي الْأَزْمَنَةِ الْأَخِيرَةِ فَقَدُوا كُلَّ سُلْطَةٍ ، وَعَلَى أَثْرِ الْوَهْنِ
الَّذِي سَيَطَرَ عَلَى زُعْمَائِهِمْ اِنْدَثَرُوا تَامَّاً وَتَرَكُوا الْمِيدَانَ لِقَبِيلَةِ « كَلْحُورَ »
الَّتِي هِيَ الْآنَ أَسْدَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مَضِيَ بِفَضْلِ الْقَبَائِيلِ
الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَؤَلِّفُهَا وَالْمُتَحَدَّةُ مَعَهَا تَحْتَ اسْمَ وَاحِدٍ .

جَمَاعَةُ الْكَلْحُورِ

مِنْ أَجْيَالٍ ، تَعِيشُ جَمَاعَةُ الْكَلْحُورِ عَلَى الضَّفَفَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ
كُرْدِسْتَانِ الْفَارَسِيِّ ، عَلَى حَدُودِ كَرْمَانْشَاهِ . وَهِيَ تَأَلَّفُ مِنْ
٢٥ فَرْعَأً مِنَ الْأَهْلِينَ الْمُقِيمِينَ وَالرَّاحِلَةِ . وَبَعْضُ هَذِهِ الْفَرَوْعَةِ تَمْلِكُ
أَوْسَاطَ سُكُنِ دَائِئِةٍ وَهِيَ تَقِيمُ فِيهَا صِيفًا وَشَتَاءً . لِذَلِكَ فَقَدَتْ مَعَ
الْزَّمْنِ أَرْاضِيهَا وَمَوَاسِيَهَا فَاضْطُرَّ أَبْنَاؤُهَا إِلَى الْمُجَوَّهِ لِلْعَمَلِ كَرْعَاءً
وَخَدْمَ . وَتَعِيشُ الْأَكْثَرِيَّةُ مِنْهُمْ حَيَاةَ رَحَالَةٍ وَيَهْتَمُ قَلِيلٌ بِتَرْبِيَّةِ
الْمَوَاسِيِّ . وَهَذَا لَا يَنْعِنُهَا مِنْ إِنْتَاجِ الْقَمَعِ فِي السَّنِينِ الطَّبِيعِيَّةِ وَتَصْدِيرِ
مَا يَعْدُلُ ثُلَاثَ الْإِنْتَاجِ إِلَى أَسْوَاقِ « كَرْمَانْشَاهَ » . وَمِنْ جَهَةِ
آخِرِيِّ ، لَهَا بَعْضُ الْمَوَارِدِ مِنَ الْقَوَافِلِ الَّتِي تَعْبُرُ الْأَرْاضِيَّ بَيْنَ بَغْدَادِ
وَكَرْمَانْشَاهِ حِيثُ أَنْشَأَتْ ٢١ مِنْ كَنْزَآ يَدِيرُهَا حَرْسٌ يَتَقَاضُونَ رِسْمًا

الدخول على الجولة .

وقد كان زعيم هذه القبيلة قبيل الحرب العالمية الأولى ، داود باشا ، رجلاً ذا تفؤذ واسع عرف كيف يسيطر على المنطقة إلى أن أصبح سيدها المطلق مع أنه كان ، في الأصل ، ناقل سلع بسيط . والأراضي التي كانت تخضع له واسعة جداً إذ أنه تغلب على جماعة غوران وسلب سلطتهم وأخضع لسلطانه بعض القبائل الصغيرة هناك ، ونذكر على سبيل المثال ، قبائل « سندجاري » . ثم دعم نفوذه بزواجه من بنات العشائر النبلة ومنها عثيرة وإلى « بوتشكوح » . وأخيراً ، لاقى حتفه في شهر يوليو ١٩١٢ ، في بلدة « صحنة » ، بينما كان يحارب إلى جنب الأمير « صلار عود دوله » القاجاري ضد جيوش حكومة « فرمان فرما » .

ويصف لنا « فرييه أيضاً كيف طمرت الزلازل قبائل سندجاري بشعها وقطعاًها ، وصفاً مثيراً جديراً برقة المشهد وهو له . أما المولى علي ، مرافق فرييه ، فقد قابل الحدث دون اهتمام بالغ مكتفياً بتعليقه بأنه حدث طبيعي بحت ! .

أما فرييه نفسه فيجد لهذا الحادث سبيلاً آخر يقول : « إن هذه الشعوب - أي قبائل سندجاري - إسلامية بالإسم فقط ، فهي لا تصلي ولا تصوم ولا تؤدي العشر إلى المسؤولين . وقد رأى الله في القضاء عليها واستئصالها إكراماً له وللأنبياء » .

أما بصدق وضع قبائل الكلجور الراهن ، فقد وصفها المفتتح كولونيل « بيت » في مقال نشره في « الدالي تلغراف » حيث قال : « إن طغيان واستبداد الموظفين الفرس السابقين والحالين ،

بالاضافة إلى تقتير الملاكين البخلاء في كرمانشاه ، إن هذه العوامل كلها ، أدت إلى إفقار تلك القبائل . وثمة قضية زعيم هذه القبيلة ، عباس خان ، الذي زُجَ في السجن مع كثيرين من زعماء القبائل عام ١٩٣٦ ، وذلك بأمر « رضا شاه » الذي كان يستهدف من وراء ذلك القضاء على سلطة القبائل التقليدية وإرغامهم على الخضوع لحكومة طهران الرئيسية . وأخيراً ، أطلق سراح عباس خان عام ١٩٤١ ثم انتخب نائباً عام ١٩٤١ عن منطقة كرمانشاه . وما هو جدير بالذكر أن عباس خان لعب دوراً خطيراً في ثورة القبائل ضد حكومة طهران سنة ١٩٤٦ » .

لا شك في أن ما أوردناه في الصفحات السابقة قد أفسح في المجال للقارئ لأن يلقي نظرة عابرة على مصائر القبائل الكردية الكبيرة في كل من تركيا والعمجم . غير أنني ألفت نظر القارئ إلى أن التطور السريع الذي طرأ على الأوضاع السياسية في آسيا قد أدى إلى تعديلات عميقة في مختلف الحالات التي كانت فيها القبائل الكردية .

وقد استندت السلطات الحكومية في كل من تركيا والعمجم إلى حدّ أن كل ميل للاستقلال كان يصطدم بردّات فعل عنيفة . ولنا بقضية « اسماعيل آغا سمکو » زعيم قبيلة « شقاق » الذي رغم انتصاره وبسط سلطانه على كامل منطقة أورميا ، إثر الحرب الكونية الأولى ، انهزم أخيراً ولاذ بالفرار ، ثم قضى عليه في جوار (شنو) . كما وإن الانكليز ، عندما دخلوا العراق ، اضطروا إلى محاربة الأكراد ، لا سيما محمود باشا الذي نصب نفسه (باديشاه

كر دستان) . ففشلت معركة هذا الأخير مثلاً فشلت الحملة التي أثارها الشيخ بريان شمالي الموصل . وفي تركيا أيضاً ، قام الشيخ سعيد في عام ١٩٢٥ بحركة عصيان ، لكنه فشل كما فشلت ثورات عدّة قام بها الأكراد هناك . وإنني أحجم عن استنتاج أي حل بهذا الصدد ، إلا أنني لا أحظ فقط أن عهد الحياة القبائلية والاقطاعية ، على ما يبدو ، قد ولّى نهائياً . وبالتالي ، فإن المحيط الذي كان يساعد على استمرار ذلك العهد في أيام الامبراطورية العثمانية قد انتهى أمره وإن الشرق يتجدد ويتطور ويدخل في عهدٍ جديدٍ متتطور .

*

الفصل الثامن

الكردي والدولة ، الامة الكردية

*

التمييز بين الدولة والامة

بعد أن تحدثنا في الفصول السابقة عن لغة الكردي وأصله الاتيولوجي ، ثم حاولنا وضعه في وسطه الجغرافي والاجتماعي والعشائري والقبائي ، وصلنا الآن إلى مرحلة التحدث عن مصائره في ميدان الدولة والأمة معاً . وهذا هو التاريخ الكردي الذي يتطلب ليس فقط فصلاً بل مجلداً . غير أننا نكتفي مكرهين ، بالقيام ببحث سريع مقتضب بهذا الشأن .

إن الدولة عمل سياسي يرتكز على مبادئ السلطة الشرعية .

أما الأمة ، فإن التحامها يقوم على المبدأ النفسي ، على الضمير العام . وقد لحق التطور بالدولة والأمة في كل من الشرق والغرب ، وكان التطور ينمو ويسير هناك وفقاً للشروط والحالات التي تكون فيها الإدراك التشريعي والأدبي .

الدولة والأمة في الإسلام

في الإسلام ، الضمير الديني يأتي في أول درجة ، ثم يليه الضمير القومي . والإسلام عامة هو فوق كل جنس وكل عصبية قومية . ولغته الدينية هي اللغة العربية . والقرآن كتاب ديني مقدس وقانون مدني في آن واحد . أما فيما يتعلق بالفرد المسلم ، فمفترض فيه أن يتمم واجباته تجاه الله في مقدمة ما تستوجبه حقوقه .

أما فكرة القومية التي تأتي بالدرجة الثانية في الإسلام ، فظهورها المتأخر حدث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم انطفأت لتهض من جديد سنة ١٩١٤ . ولما كان موضوعنا يقتصر على الأكراد ، فإننا نحتجم عن متابعة هذا الموضوع ، لتناول قضية الأكراد من جديد .

الأكراد في التطور السياسي الإسلامي

لقد تبين من التاريخ الإسلامي أن الإسلام مرّ في عهود انقلابية كثيرة . وخلال هذه الحقبات من الزمن وقعت حروب بين الأتراك والفرس . أما الأكراد فلم يوبحوا شيئاً في تلك

الظروف مع أنهم استرّوا عملياً بتلك الحروب التي كانوا خلالها ينضمون قارةً إلى الأتراك وطوراً إلى الفرس . ذلك لعدم تمكنهم من تحقيق القائم فيها ينفهم .

ولنتنقل الآن إلى بحث تاريخ السياسة الكردية الذي سنجد في مجرى فرقاً ما بين الأكراد الأقدمين وأكراد العصور المتأخرة . يمكننا أن نفرض أن هذا الشعب المحارب كان يرسل من رجاله المسلمين إلى ملك الرومان ، وبيزنطية ، وفارس . أجل ، يمكننا الأخذ بهذه الافتراضات دون أن تكون متأكدين من وقوعها كما وأننا لا نشك بأنهم كانوا يعتنقون مذهب زرادشت حيث لا تزال بقايا حية من مذهبة بين الأوساط الشعبية . ومن المختتم أن يكون الكردي قد حور لغته في هذه الأزمة السحرية ، من الآسيوية إلى الهندية الأوروبية ، وذلك على حد قول البروفسور مار .

وهناك تخمينات متعلقة بالأكراد لا تُحصى ولا تعد حتى في الأزمنة الإسلامية حيث يمكن الجزم بأن التاريخ الكردي لم يُكتب بعد تماماً . ولدينا كتاب كردي تاريخي « شرف نامه » الذي كُتب باللغة الفارسية في أواخر القرن السادس عشر ، وأكمله كتاب آخر بالكردية ألفه محمد أمين زكي أحد الحكماء العراقيين عام ١٩٣٨ ونقله إلى العربية محمد علي عوني عام ١٩٤٥ . ويوجد أيضاً كتاب تاريخ كردية عن الأسر التي حكمت أرداكان على مر الزمن ، وقد تحصلها أنا بنفسي . وهناك أديب كردي معاصر يدعى حسين حسني من

روندوز ، يذكر بعض هذه الكتب في مؤلفاته . وقد قضى هذا الأخير آخر أيام حياته في البحث والتنقيب عن التاريخ الكردي والرسوم والخطوط والآثار القديمة ، وعن استكشاف المصادر العربية والتركية والفارسية الأصلية . أما بين الادباء الفرس ، فنذكر « كسروي تبرizi » الذي انصرف لدراسة تاريخ السلالات الحاكمة الكردية الصغيرة في العجم وترنسوقاز سنة ١٩٥٠ . وعلى عالمنا نحن ، كان الكردستاني السوفييفياني فلتشفسكي ، يعد كتاباً عن التطور الاجتماعي في كردستان ، غير أننا نجهل مصير هذا الكتاب تماماً . أما البروفسور مينورسكي ، فهو شيخ الدروس الكردية ، ويحجب الإشارة إليه بنوع خاص لما مؤلفاته من أهمية في هذا المقام ؟

هكذا ، فنفضل هؤلاء العلماء جميعاً سنتمكن هنا من إعطاء موجز عن المصادر الكردية في تاريخ الدول الإسلامية . وسنديلي بهذا الموجز التاريخي على ثلاث مراحل : فالأولى ، تقع بين الفتح العربي وخلفاء المغول (ق ٦ - ١٥) حيث تظهر سلالات وتقرض سلالات . والمرحلة الثانية تتد من القرن الخامس عشر حتى التاسع عشر ، حيث تركيا والعجم تضمان إليهما ، من كل ناحية ، قبائل كردية . أما المرحلة الثالثة فهي ، أخيراً ، تلك التي تسير من القضاء على الاقطاع لتبلغ الثورات على الفرس والأتراك .

أول حقبة من التاريخ الكردي - من القرن السادس حتى القرن الخامس عشر

يعود أصل بني شداد إلى السلالات الكردية القديمة ، وقد أسس هذه الأسرة العشيرة عام ٩٥١ م محمد شداد بن قارطه من قبيلة صلاح الدين التي انشقت إلى قسمين : غندجه وآني سنة ١٠٧٢ . وقد وقعت آني بين أيدي أهالي جورجيا ١١٢٤ - ١١٢٦ ثم بين أيدي بني شداد ١١٢٦ - ١١٦١ - ١١٦٥ - ١١٧٤ .

وقد امتدح المؤرخون العرب الصفات والمميزات السياسية التي اتسم بها أبناء هذه السلالة الكردية لعدهم وإحسانهم وحسن تصرفهم مع المحكومين أية كانت جنسيتهم ولغاتهم .

والسلالة الكردية الثانية التي اشتهرت بين السلالات الكردية القديمة هي سلالة بني مروان ومؤسسها هو أبو علي بن مروان بن دوستاق، وقد دامت من سنة ٩٩٠ إلى سنة ١٠٩٦ وكانت ممتلكاتها تمتد حتى بلاد ديار بكر ، شاملة بعض البلدان الأرمنية ، بما فيها بلدة أورفا . وتاريخ هذه السلالة معروف تماماً بفضل مخطوطة عربية توجد الآن في المتحف البريطاني . وقد قضى السلاجوقيون الأتراك على سلالة بني مروان هذه ، بفضل الدسائس الكثيرة التي حاكروا ضدّ الأكراد عموماً وضد حكامهم من بني مروان خصوصاً .

والأمير أبو نصر أحمد ، من بني مروان اشتهر بجذقه وعدله

وعيه . وقد بدأ حكمه على أثر توليه الحكم من قبل خليفة بغداد .

يبقى أن نذكر سلالة بنو عناز (١١١٦) وسلالة شبنكرا في فارس (القرن الحادي عشر) والحضربيين (١١٤٨ - ١٣٣٩) .

أما الأيوبيون (١١٦٩ - ١٢٥٠) فهم سلالة كردية كان لديها جيش مشترك من الأكراد والعرب مما يدلّ على تقارب وتقاهم بين هذين الشعرين منذ هيئتهم أن يتباوروا حتى يومنا هذا . وقد بسط الأيوبيون سلطانهم على مصر وسوريا وعلى قسم من بلاد ما بين النهرين .

ولئن سلمنا بترتيب طبقات السلالات الكردية كما وصفها تاريخ شرف نامه ، فهذه السلالات تتمتع ، في أول الدرجات ، بجزاها السلطنة الحقيقة . وهي : ١ - أمراء ديار بكر والجزيرة - ٢ - أمراء دينماور وشهرزور . ٣ - الحضربيون ٤ - الأيوبيون .

وبوجه عام ، فإن ما تقدمنا به يشير إلى دور الأكراد في أولى القرون الإسلامية ، فقد لعب الأكراد أدواراً على جانب كبير من الخطورة في مصائر الخلافة وأخصامها ، بوصفهم عنصراً مقاتلاً شهيراً ومرغوباً فيه . وقد قال البروفسور مار " إن الأكراد ، تحت حكم السلاجقويين ، كان الأتراك أنفسهم يحسبون لهم ألف حساب . ويعتقد مار كذلك أن هناك مزيجاً كردياً - مسيحياً لا يمكن نفيه ، فضلاً عن أن الأكراد والعرب قد تزاوجوا واختلط

بعضهم ببعض على صورة وحدّت بينهم في أكثر المواطن التي يتعالى فيها الشعبان . كما يعتقد أن الأكراد لا يشعرون بأن البلاد التي يقطنونها هي بلادهم ، إلا في الأماكن التي يكثرون فيها العنصر العربي ، على العكس من الأتراك والفرس الذين لا تربطهم بالأكراد أية رابطة من التفاهم والتآخي . ويؤكّد مينورسكي أن أميرين أرمنيين ، وزعيمين عسكريين لها مكانتهما ، كانوا في خدمة ملك جورجيا ، وما زكريا وإيفان من أصل كردي منبني شداد في آني . يقول : « يعود الفضل الأكبر في انتصارات قار ١١٨٤ - ١٢١٣ إلى القائدين زكريا وإيفان اللذين تدعى عائلتهما في جورجيا باسم « لنجماني » . وفي رواية أخرى يقول أحد المؤرخين : « كان القائدان من أكراد بلاد ما بين النهرين المستمرين إلى قبيلة بابركان . وبوجب أحد المخطوطات القدية ، كان القائدان ابنين لسر كيس الثاني ، ابن زكريا ، ابن آفالك سر كيس الأول ». وكان الإسلام بالنسبة إلى الأكراد ، كما كان لكافة الشعوب في آسيا السابقة ، رسالة وقوة حضارية حققتا تطويرهم السياسي والاجتماعي . وستتناول هذا الموضوع فيما بعد عندما نتطرق إلى الحياة الدينية عندهم .

ولم يصبح دور الأكراد ضعيفاً جداً إلا لما ظهرت جماعة المغول . فعند اقتراب هولاكو من بغداد ، حاول زعيمان كرديان على رأس قوات لا يأس بها أن يتصدوا له متعاونين مع العراقيين العرب ، ولكن هولاكو هزمهم . ويروى بهذا الصدد أن هولاكو كان قد ضمن مساعدة الأكراد التابعين لسلیمان شاه قبل الهجوم على

بغداد . وكان هذا الأخير منافساً لحسام الدين خليل ، زعيم أكراد لورستان الصغرى الذي أهلكته هذه المعركة الداخلية . وبما هو خلائق بالذكر أن المصادر تختلف بالنسبة إلى أصل سلالة سليمان شاه . ففيما يتحدث عن هذا الأخير معتبراً إياه «زعيم كردي محترم» في حين أن محمد علي عوني ، ناشر الطبعة العربية لـ تاريخ الأكراد الذي ألفه محمد أمين زكي ، يقول إنه كان زعيم إيواي التركانية . وعلى كل حال فإنه يجوز الافتراض أن موقف المغول إزاء الأكراد كان نتيجة لطرد جلال الدين المنغولي من كردستان بواسطة جيش المغول ، وذلك في آخر مراحل صموده ومقاومته لها . وهكذا جرى انسحاب الأكراد إلى الجبال ، وخضعت إمارتهم لأمراء المغول . ويأتي شرف نامه على ذكر بعض القضايا فيقول إن زعماء الأكراد نالوا بعض حقوقهم في أيام المغول . أما التركان (الخرفان البيض) فهم الذين حاولوا جاهدين لإفشاء العشائر الكردية الكبيرة ، وقد تبين أنهم أخطر من المغول بالنسبة إلى الأكراد .

المراحل الثانية من تاريخ الأكراد : منذ بداية القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر — المعهد الاقطاعي في تركيا والمعجم .

قامت الدولتان الكبيرتان تركيا والمعجم في غضون هذه الحقبة من الزمن . وقيامهما لم يتوكلا على مجال ضيق للأكراد لاكتساب استقلالهم . وبما هو جدير بالذكر أن الشاه اسماعيل مؤسس السلالة الصفوية زوج في السجن أحد عشر زعيمياً كردياً عندما مثلوا أمامه

يعرفون عن طاعتهم له .

وأفلح السلاطين الأتراك في كسب ودّ الأكراد واستجلابهم وذلك على أثر معركة تشالدران عام ١٥١٤ حيث عانى الفرس هزيمة نكراء . ثم كلفوا حكيم أدريس ، وهو زعيم كردي من بتليس ، بالسعى لدخول زملائه في نظام الدولة التركية والانضمام إليها . وهكذا لم يطرأ أي تغيير أو تبدل على حالة الأكراد الداخلية ، إذ ظلت الإمارات والقبائل الكردية المنضمة إلى تركيا تتعمق في ظل قيادة زعمائها الأكراد ، بحكم داخلي ذاتي . وقد عمّت هذه الطريقة كافة مناطق مقاطعات كردستان التركية ، من المالطية حتى بيازيد وشهرزور .

ومن جراء إيمان المواطن الكردي بمعاهدة التحالف والصداقة المعقودة عام ١٥١٤ بين تركية من جهة ، وثلاثة وعشرين إمارة تركية من جهة أخرى ، لم يتاخر الأكراد ، كما يؤكّد برنستون خلال ما ينفي عن ١٥٠ سنة ، عن إكمال واجباتهم تجاه تركيا ، والاستراك في كل حروبها ، وذلك بصرف النظر عن عشرات الآلاف من الضحايا التي قدموها لسلطتين تلك الدولتين .

ولا شك في أن قيام الدولتين المذكورتين يسجل فترة جديدة في تاريخ الأكراد . فلما كانت نظم هاتين الدولتين تختلف عن النظم المرعية الاجراء في الغرب عامة ، فإن السلطة الأساسية ووحدة التجزؤات المختلفة في الدولة ، حتى الحدود السياسية ، كانت أبداً عرضة للتغير في حين الانتقال من عهد إلى عهد .

وذلك بقطع النظر أيضاً عن حالات الفوضى والمحروب التي كانت تطغى على الحالات الادارية الطبيعية في البلاد . فكان الأكراد في مثل هذه الأجواء المضطربة ، ينظمون أنفسهم كما يحلو لهم .

وفي سنة ١٦٨٣ بعد هزيمة الأتراك أمام فتى النمساوي ، شرعت السلطات التركية تتدخل في شؤون الأكراد الداخلية . وأول بادرة كانت هي تعيين سليمان حاكماً عاماً في ديار بكر للقيام بهمة الوساطة بين الاقطاعين الأكراد من جهة ، وحكومة القسطنطينية من جهة أخرى . ومن ثم أخذ الأتراك يطبقون مبدأ – فرق تسد – إلى أن أصبحت القبائل الكردية أقاليم تركية ، ولم تعد للزعماء أية سلطة فعلية . ورغم المحاولات العديدة التي قام بها الأكراد ، تمكن الأتراك أخيراً من السيطرة على كافة أرجاء البلاد ، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر . وآخر حماولة المصود إزاء التدخل والتغلغل التركي كانت تلك التي قام بها الأمير بدروخان من الجزيرة عام ١٨٤٧ ، والذي بعد أن قهر الأتراك مراراً عديدة ، وقع صريع خيانة ابن عمه .

أما في العجم ، فإن أمراء أردنان الاقطاعين الذين بقوا وحدهم ، بعد انطفاء الحضريين ، كزعماء أكراد مستقلين ، جرّدوا تدريجياً من زعاماتهم وحلّ مكانهم أمراء القاجار عام ١٧٦٠ .

ويخبرنا المؤرخون أن الأكراد تدخلوا عملياً في المعارك التي وقعت بين نادر شاه والصفديين من جهة ، والمعارك التي وقعت بين

جماعات قاجار وبختياري وأفشار وزند من جهة أخرى ، إبان فترات خلوّ الكرسي الملكي في القرن الثامن عشر . ولم يكن انتقامهم إلى الحكم بشخص كريم خان زند (١٧٦٠ - ١٧٦٩) الحاكم الإنساني العادل ، وصديق الفنون ، إلا عهداً مبئراً لأنّه لم يدم طويلاً .

ويصف المؤرخون شخصية تاريخية لا يأس بها تتجلى في الأمير محمد الذي حكم « راوندوز » في بداية القرن التاسع عشر . ثم ما لبث أن احتل بجيشه المؤلف من ٣٠ ألف مقاتل الأراضي الكردية الواقعة في المناطق الغربية حتى نصين وماردين ما عدا الموصل والسليمانية . وأعلن استقلاله بعد ذلك في سنة ١٨٢٦ وأجرى مفاوضات دبلوماسية مع العجم ومصر .

المرحلة الثالثة من التاريخ الكردي ، من منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب الكونية الأولى — ازالة العهد الاقطاعي في تركيا والعجم

يقول فلتشيفكي إن زوال العهد الاقطاعي في كردستان يعود إلى أن الزعماء الأكراد ، على قدر ما ضغطوا على خدمهم وظلموهم ، انتهوا بنخر مداميك قواهم العسكرية . وفي نفس الوقت ، لم يحسنوا تطبيق الطرق الاقتصادية التي كانت تفرضها التطورات في الوسط الكردي على غرار ما فعل جماعة أوباباشي الرأسماليين . ويجب أن نضيف إلى ذلك ما ذكره « ثريا بدرخان » من أن سياسة السلطان والشاه المركزية كانت من أهم العوامل التي ساهمت في زوال ذاك العهد . فتضامن القوتين الاقتصادية والسياسية ، أدى إلى إدخال بلاد كردستان في حلتها الجديدة ، وذلك نحو منتصف القرن التاسع عشر . ولا بد من أن نتساءل هنا في أي حال ظلـ

الكردي بعد زوال سلطة زعمائه التقليديين ؟ إنه لم يُبذل شيء خليق بالذكر يرمي إلى أن تحل مكان تلك السلطة ، سلطة قادرة على إنصاف هذا الشعب وحمله على الحياة العادلة التي تفرضها الدولة حسب المفهوم الصحيح . وها نحن نذكر بعض الأحداث التي كانت تقع في بيئة الأتراك تحت ظل الدولتين التركية والفارسية :

عقب ثورة الشيخ عبيد الله عام ١٨٨٥ ، قام القائد العسكري الفارسي الأمير نظام المنحدر من عشيرة حكام كيروز منذ ٧٠٠ سنة ، باستدعاء الزعيم الكردي حمزه آغاي مقابلته ، وأقسم أنه لن يحاول إلحاق الأذى به طالما هو على الأرض . وفي تلك الأثناء كان الأمير قد حفر حفرة في خيمته وجلس فيها . وعندما دخل حمزه ، أعطى الأمير إشارة ، فخرق الرصاص رأس حمزه . وهكذا حُنث الأمير بقبمه . لكن الأمير نظام يقول إنه ما زال على القسم لأنه نزل تحت الأرض ولم يكن فوقها حين أُعطي الأمر بقتل حمزه . وبالطريقة نفسها جرت في مينداب مذبحة زعماء بلباسي الذين دعوا إلى الاستراك في عيد من الأعياد . وهكذا كان أيضاً نصيب يزدشير الشهير في تركيا .

من هنا يتضح لماذا يتصل الاحتراز والحذر في نفسية الأكراد ، فيظلون متحفظين إزاء الفرس والأتراك . ولماذا أيضاً لم يتمكنوا من جمع شملهم في ذيئن البلدان .

ولا بد من سرد بعض المحاولات التركية الرامية إلى جعل

الأكراد آلة طيعة في أيدي الدولة العثمانية فقد خلقوا لهم أول الأمر فرقاً لا نظامية اسمها الحميدية ، وال فكرة كانت لشاكرو باشا . وفي عام ١٨٩٢ أُسست تركيا في كل من القسطنطينية وبغداد « مدارس للقبائل » هدفها أن تثبت في الأكراد والعرب الرحل روح التعلق بتركيا ، ولكن هذه المدارس الاستعمارية لم يُكتب لها النجاح . أما فيما يتعلق بالتطوع ، فقد تولج القيام بتحقيقه محمد زكي باشا ، وقد اجتمع به دي شوله في أرضروم ، وبوصفة عسكرياً أيضاً ، علّق على هذا الموضوع في شيء من الارتياح قال :

« كثيرون هم الأشخاص المتنفذون الذين يخالفون من اخراط الأكراد في الجنديمة ، فيخشون استيقاظ ميلهم الحربية إذ لئلا ثاروا ، فيكونون قد أعطوه ما كان ينقصهم من التكتيك والسلاح » .

لكن الأتراك أنفسهم اقتعوا أخيراً بوجوب تحويل الكتائب الحميدية اللامنظمة إلى فرق من الخيالة الخفيفة النظامية .

وقد لاقت الفرق الحميدية تقدير ضابط الماني يدعى جراف فوك وستارب قام بزيارة كردستان بعد مضي عشرين سنة على تأسيسها فقال إنه لا يشك مطلقاً بامكانية تحويل هذه الفرق إلى فرق حربية فإذا ما حظيت بتدريب عسكري صحيح .

ومما هو معروف تماماً أن الأكراد المسلحين من قبل الأتراك

كانوا أداة عمياء تلعب بها سياسة عبد الحميد و تستخدمنها ضد الأرمن . لكن الأكراد الناضجين ما كانت لتخدعاهم هذه السياسة الجميدة و مبرراتها الدينية . والجواب التالي ينسب إلى الشيخ عبد الله عام ١٨٨٥ وقد توجه به إلى أنصاره يوم طلب إليه الأتراك أن يسمون في ذبح نصاري أورميا : « نحن الأكراد » يريد الأتراك أن يستخدمونا فقط لاضطهاد إخواننا المسيحيين . وغداً عندما ننتهي ، سيقوم الأتراك باضطهادنا نحن ! لا ، لا نريد أن نضطهد أحداً ولا أن يضطهدنا أحد ! »

وأحدث من ذلك ، في سنة ١٩٢٨ ، كتب « ثريا بدرخان » يقول هذا القول الكريم :

« في اوكتوبر عام ١٩٢٧ ، أجريت مصالحة عامة فيما بين الأكراد والأرمن بواسطة « الهوبيون » — المجندة الوطنية — التي تمثل كلاب الجانبيين الكردي والأرمني ، وذلك بعد أن تأكدا من أن التركي هو عدوهما المشترك وعدو تضامن مصالحهما ، فيasm أبناء جنسي أُعرب عن تمنياتي الحالية للشعب الأرمني وأؤكد له احترامي لهدفه القومي الشرعي الذي هو أرمينيا المستقلة المتحدة ! » .

والمشكلة في العجم تبدو أوسع من ذلك ، فهي قضية القبائل عامة التي ما زالت ترقب الحل . ومشروع دمورني بقي مولوداً ميتاً . وقد تبين أن الاجراءات الادارية التي اتخذها رضا شاه لم تكن فاجحة .

وبالتالي ، إننا لنعتقد بوجود أمة كردية ، رغم أن الأتراك
والفرس رفضوا الاعتراف بها ، مما أوصى الأبواب أمام كل
الجهود التي بذلت من أجل هذا الشعب منذ نهاية العهد الاقطاعي .
فالباحث الآتي الذي يتناول الحركة الوطنية الكردية ، سينقى
الأضواء على المراحل المتعاقبة ، وعلى الطرق والبرامج بهذا
الصدق .

*

الفصل التاسع

الحركة الكردية الوطنية

*

ما هي المصلحة من وراء بحث هذه المعضلة

عندما نتقدم من بحث هذا الموضوع الدقيق ، أول ما يتبادر لأذهاننا هو أن نتساءل : هل الكردي جدير بخلق دولة خاصة به ؟ هل تدوم هذه الدولة ؟ هل تكون عنصر سلام وأمان ؟ وهل تكون وبالتالي ولادتها سبباً لزيادة تعقيد الحالة في الشرق الأوسط ؟ قد تبيان الأوجوبة على هذه التساؤلات لكنها لا تحول دون الإقرار بضرورة حل للمعضلة الكردية ، ومن العسف والخطأ أن شاعت تظاهرات إرادة الأكراد الوطنية بأنها أعمال عنف وعصيان . أما علّمنا تاريخ القوميات أن بداية الحركات الاستقلالية لم تكن إلا بالسلاح ؟

وأنه الفشل بعينه أيضاً إذا وقفنا عند هذا الحد من الابحاث
وسكتنا عن مرحلة التطور التي يمر بها هذا الشعب .

ثلاث مراحل من الحركة الوطنية

لقد عرفت الحركة الوطنية الكردية ، حتى الآن ، ثلاث مراحل : المرحلة الأولى ، وهي عهد عصيان وفتن إجتماعية فثورات إقطاعية . وقد رافقـت الثورة التركية الأخيرة حاولات عدة قام بها الأكراد مطالبين بقانون خاص يعترف بخصوصياتهم القومية وهذه هي المرحلة الثانية . أما المرحلة الثالثة والأخيرة فهي التي عقبـت الحرب الكونية الأولى ، حيث تـُبـحـثـتـ القـضـيـةـ الـكـرـدـيـةـ فيـ المـحـافـلـ الـدـوـلـيـةـ — مـعـاهـدـةـ سـفـرـ وـلـوزـانـ — وـالـحـلـبـةـ الـراـهـنـةـ تـبـتـدـىـءـ منـ تـارـيـخـ تـأـسـيـسـ الـجـنـةـ الـوطـنـيـةـ الـكـرـدـيـةـ «ـخـوـبـيـوـنـ»ـ فـيـ سـنـةـ ١٩٣٧ـ ،ـ الـتـيـ يـحـبـ أنـ نـعـتـبـرـهـاـ مـنـ الـآنـ فـصـاعـدـاـ كـمـنـظـمـةـ مـسـؤـلـةـ عـنـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ .ـ وـلـتوـسـعـ الـآنـ فـيـ درـاسـةـ هـذـهـ الـمـرـاحـلـ الـثـلـاثـ .ـ

ثورة عبد الرحمن باشا ١٨٠٦

إن عبد الرحمن باشا هو ابن أخت ابراهيم باشا باشي منشى بلدة السليمانية ١٧٨٦ ، بعد أن أغنم الختير في صدر الحكم التركي «لكوي سندحق» وقهر منافسه الكردي خالد باشا الذي معيّن مكانه حاكماً في السليمانية . انتقل عبد الرحمن إلى العجم ، وأخيراً ورغم مساعدة الشاه له ، تغلب الأتراك عليه بمساعدة أبناء خالد ، فخلّده أبناء جنسه بآناشيد شعبية .

ثورة البلباس ١٨١٨

ونقلًا عن التقارير العسكرية الروسية ، فشل الأمير الفارسي الوارث عباس ميرزا في قمع العصاة وكابد خسائر فادحة . وفي الفترة نفسها عام ١٨١٥ ، ثار أكراد البشالكة التركية في يازيد وفان ، وانضمت إليهم الرحالة الأكراد في العجم « أريفان ، ناختشيشان ، خوى ». إلا أن حاكم أرضروم تمكّن من قمع الثورة . ويقول فلتشفسكي إن القضية لم تكن مجرد دسائس بعض الزعماء بل كانت ثورة جماهيرية صحيحة . فالمهاجرين الكرديون تحت حكم الأتراك كانت تقاسي أبشع ألوان الظلم من حكامها الطغاة .

وسجلت السنوات ١٨١٨ ، ١٨٢٠ ، ١٨٢٢ ، سلسلة فتن وثورات موجهة ضد العجم وتركيا على السواء . وفي عام ١٨٢٥ ، ذبح الأكراد فصيلة فارسية وأفتوها عن بكرة أبيها .

الأتراك خلال الحرب الروسية التركية

١٨٢٩ -

إن إمارات راندوز وبجستان وبجحان وهكاري لم تدخل في الحرب . وقد حاول بهلول باشا وهو كردي من يازيد ، التحالف مع الروس ولكنه لم يفلح . ويقول فلتشفسكي إن الأكراد كانوا خلال الحرب الروسية — التركية أسياد الموقف . وقد عمّت الثورة بلادهم آنذاك وكانت موجهة ضد الاقطاعيين الأتراك والأكراد على السواء . هؤلاء الاقطاعيين الذين باستبدادهم وتعنتهم أضروا باقتصاديات الرحل الفقراء .

ولم يكن عامل الاقتصاد وحده سبب الثورة ، فالعقيدة الوطنية أيضاً عملٌ كثير فيها وقد شرعت هذه العقيدة تبلوراً أو لاً في بيئة النخبة ، عند الزعماء ومحيطهم حتى بلغت الجماهير .

الأكراد وثورة مصر ١٨٣٢ - ١٨٣٩

في تلك الأثناء انتهز الأمير محمد من راوندو ز الفرصة ، حيث انضم إليه بعض الزعماء الأكراد وقام ضد الأتراك ، فأرسل هؤلاء لجاهته محمد باشا من سيراس على رأس جيش من الباشوات ، فانتصر واقتاد الأمير إلى القسطنطينية حيث عفي عنه . على أن هناك مخطوطات تشير إلى أنه قضى عليه وهو في طريق العودة .

ثم توالت الثورات ، وبعد هزيمة الأتراك في نصبين بأيار عام ١٨٣٩ ، ثار محمود باشا في السليمانية ، وأضطر إلى اللجوء إلى العجم عندما عيّنا حاكماً مكانه . وقد حال التدخل الروسي - البريطاني سنة ١٨٤٣ دون وقوع حرب شعواء بين بلاد الفرس وتركيا بسبب لجوء محمد باشا إلى بلاد العجم .

ثورة بدر الدين خان بك ١٨٤٣ - ١٨٤٦

إن المؤافين الذين تحدثوا عن هذه الثورة وهم « مينورسكي » ، سوان ، إدموف ، وغرام » يحكمون عليها بأنها نتيجة لجور وتحكم بدرخان ونور الله بك بالعشائر النسطورية في هكاري . وبعد معركة دامية انتصر طبال باشا عليهم ، وتبيّن أن بدرخان وقع ضحية خيانة ابن عمه . وقال روندو عن بدرخان إن هذا

الأخير عرف كيف يستفيد من البلبلة التي وقع فيها الأتراك إثر معركة نصيبيين ، فبسط نفوذه وسيطرته حتى فان والموصل وسوج بولاك وأورميا ، وديار بكر ، وحالفة عدد من زعماء الأكراد الكبار بما فيهم حسين بك من كارس ، والأدجراء ، وأمير أردنان . وفيها كان دائياً على تجهيز جيشه عام ١٨٤٥ ، تمرد النسطوريون وتمنعوا عن دفع الضرائب ، فاضطر إلى إخضاعهم بالقوة .

على كل حال ، تشهد بعض الأدلة الأرمنية بأن بدر خان كان يمارس سياسة دينية مثالية وكان يعتبر نفسه الزعيم الروحي للمناطق المتحررة من الاحتلال التركي .

وقد عاش بدر خان هذه السنين الطوال أسيراً في كندي بجزيرة كريت ، ثم في دمشق حيث توفي عام ١٨٦٨ .

ثورة يزدان شر ١٨٥٣ - ١٨٥٥

قامت هذه الثورة أيضاً أثناء الحرب الروسية - التركية وابتُثقت شرارتها الأولى من بحطان في مقاطعة هكاري . احتل يزدان شر بتليس والموصى وكل المنطقة الممتدة من فان إلى بغداد . وتطوع النسطوريون في جيشه وساروا تحت لوائه . وفي سنة ١٨٥٥ ، حمل يزدان أقوال العميل القنصلي البريطاني غروود رسام على محمل الجد ، فخشى ما ذكره له من قوة الأتراك وهادهم ، فما لبث الأتراك أن اقتادوه إلى القدسية حيث لقي حتفه . وهكذا أصبح بطلاً وطنياً شبيهاً بعد الرحمن باشا . وخلدت ذكره أناشيد شعبية كردية .

ثورة الشیخ عبیدالله نهري ١٨٣٠

كانت هذه الثورة التي وقعت قبيل ثورة الشباب الأتراك ، تستهدف استقلال كردستان . وقد أضرمت نيرانها على الحدود الفارسية في جوار شمـدان حيث هددت طوريس لبرة وجیزة من الزمن . واضطـر الأـكراد أخـيراً إـلى التـراجع عن القـتـال ، وعـلـى أثر اـحـتـيجـاجـاتـ العـجمـ ، وبـفـضـلـ التـدـخـلـ العـسـكـريـ التـرـكـيـ - الفـارـسـيـ ، تـكـنـنـ الفـرسـ وـالـأـتـراكـ منـ إـيقـافـ نـشـاطـ الشـیـخـ الشـائـرـ . ثمـ بـعـدـ أـنـ قـادـوـهـ إـلـىـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ ، أـرـسـلـوـهـ أـسـيرـاً إـلـىـ مـكـةـ . وـبـعـدـ الثـورـةـ التـرـكـيـةـ ، عـادـ اـبـنـهـ الـبـكـرـ الشـیـخـ عـبدـ الـقـادـرـ مـنـ مـكـةـ لـكـيـ يـصـبـحـ فـيـاـ بـعـدـ عـضـواـ فـيـ مجلـسـ الشـیـوخـ التـرـكـيـ .

وهـنـاكـ مـحاـوـلـاتـ أـخـرىـ لـمـ تـمـرـ قـامـ بـهـاـ نـجـلاـ بـدرـخـانـ ، الـأـمـيـرانـ أـمـيـنـ عـلـىـ بـكـ وـمـدـحـتـ بـكـ وـقـدـ أـلـقـيـ القـبـضـ عـلـيـهـمـاـ فـيـ كـمـيـنـ نـصـبـ لـهـاـ عـامـ ١٨٨٩ـ .

المحاولات والتجارب التي بذلت في سبيل تنظيم الحركة الوطنية أول هـنـظـمةـ كـرـدـيـةـ سـيـاسـيـةـ فـيـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ ١٩٠٨

على غـارـ العـربـ وـالـأـتـراكـ الشـيـابـ أـنـفـسـهـمـ ، اـجـتـمـعـ نـوـاءـ الحـرـكـةـ الوـطـنـيـةـ الـكـرـدـيـةـ حـولـ صـحـيـفةـ يـوـمـيـةـ ، فـتـبـلـوـرـتـ عـقـيـدةـ الـاسـتـقـلـالـ الوـطـنـيـ عـنـهـمـ . وـهـذـهـ الصـحـيـفةـ هيـ «ـ لـسانـ حـالـ ثـانـيـ - كـرـدـ - تـرـكـ »ـ تـأـسـتـ فـيـ الـقـاهـرـةـ سـنـةـ ١٨٩٨ـ ثـمـ نـقـلـتـ إـلـىـ جـنـيفـ فـفـوـكـلـسـتوـنـ ، ثـمـ عـادـتـ إـلـىـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ ، وـظـهـرـتـ مـنـ جـدـيدـ فـيـ

القاهرة خلال حرب ١٩١٤ .

وتبدل محرروها كثيراً لكنهم كانوا جميعهم ينتسبون إلى عائلة بدرخان والأمراء مدحت وعبد الرحمن وثريا . وعام ١٩٠٨ قام الشيخ عبد القادر بإنشاء صحيفة « الشمس الكردية » وهي لسان حال جمعية تعاونية وتقديمية انضمت إليها جمعية أخرى مماثلة لها . وما عتم أن سارت كلتاها في طريق العمل حتى بدأت أسرة بدرخان ، وأسرة سيد « نهري » ، تتهاجن وتتشير الواحدة منها فضائح الأخرى . فتوقفت الصحيفة عن الصدور . ثم غادر عبد الرزاق بدرخان البلاد للتعرف إلى النيات الروسية نحوه وأقام في باريس فيها اتجه سائر أفراد العائلة إلى مصر . أما نصيراً الشيخ عبد القادر : خليفة سليم وعلى آغاي ، فقاما بثورة في بتليس قُمعت بشدة . وفي سنة ١٩٠٩ ، أغلق الشباب الأتراك الجماعيات والمدرسة الكردية في تشنبيري . إلا أن فرقة من الطلاب ورجال القانون اتحدوا سنة ١٩١٠ في جمعية جديدة ، اسمها « الأمل الكردي » وشرعوا يصدرون مجلة شهرية دعّيت باسم (اليوم الكردي) . وهكذا بدأت القافلة تمشي . وفي عشية حرب ١٩١٤ ، راحت الحركة الوطنية تلتئم طريقها في الحقل العلمي .

الاكتار خلال حرب ١٩١٤ - ١٩١٨

أوقفت الحرب هذه المحاولات الأولى المأهولة إلى تنظيم وتكوين فكرة وطنية مشتركة . والنداء إلى الحرب المقدسة ، وإلى الجهاد ، سيعيّح مرة أخرى للأتراك بتوجيه الأكراد في اتجاه

مضاد لصالحهم الوطنية الشعبية الصحيحة . فالأتراك يريدون الاستفادة من الأكراد لغاياتهم الحربية . غير أنهم لا ينفكون يراقبون حركاتهم عن كثب ، وهناك قائمة كبيرة جداً تحتوي على أسماء الوطنيين الأكراد الذي نُفذ بحقهم حكم الاعدام خلال الحرب .

وقد بعثت برسالة تحت عنوان «إسهام في دراسة الجهاد» إلى المؤتمر الدولي السادس لتاريخ الأديان الذي عُقد في بروكسل عام ١٩٣٥ أحتاج فيها على إسامة الأتراك إلى الأكراد ، كما وإني أرسلت خطاباً إلى لجنة تنظيم المؤتمر الدولي الثاني عشر للشريقيين في استيبل ، عام ١٩٥١ ، بعنوان «شهادة كردية عن الجهاد» .

ومن المعروف أن كميل بك من بخطان ، وهو من أسرة بدرخان ، اهتم جدياً سنة ١٩١٦ في تفليس ، بالتبشير بالقضية الكردية أمام الدوق الكبير نقولا ، نائب ملك القوقاز وقائد القوات العام المرابطة آنذاك على الحدود التركية . ويبدو أن روسيا لم تتبّن في ذلك التاريخ سياسة واضحة بالنسبة إلى الأتراك حيث كانت المشكلة الكردية متزوج وأمال أرمينيا مستقلة . وفي أواخر سنة ١٩١٧ ، استقبلت في مركزى القنصلي في أورميا موFDA من قبل جمعية الاستقلال الكردستاني أو دعني رسالة من «السيد طه» يطلب مني فيها مواجهة مع العسكريين الروس بغية الإتفاق على عمل مشترك ضد الأتراك من شأنه أن يحرر كردستان . فالسيد طه ، الفار من سجون روسيا القيصرية ، هو

أبن أخت الشيخ عبد القادر . وقد غادر السيد طه القسطنطينية بعد أن مكث فيها حتى ١٩١٧ إلى مكة حيث نزل عند مالك حسين هناك . وفي سنة ١٩٢٥ ، أعدمه السلطات التركية في ديار بكر وألقت القبض على ابنه السيد عبدالله وأسرته في الموصل . وبين الكتابات التي في حوزتي عن الأكراد بيان أدلى به المؤرخ مولاي سعيد في سنة ١٩١٧ . ويشير هذا البيان إلى أن الدافع الأساسي في مصالحة الأكراد بين بعضهم بعض هو تحررهم من ربة زعمائهم الاقطاعيين تميداً لمعالجة حالتهم اليائسة . وما هو جدير بالذكر أن مولاي سعيد كان رجلاً حاد الذكاء ومتقدماً . وكلمة القيمة بالنسبة إلى المطالib الاجتماعية الكردية تلتقي ورأي زميلي السوفيaticي فلتشفسكي .

وفي أثناء الانقلاب في تركيا اجتمع الزعماء الأكراد في شهر أيار ١٩١٩ ، للقيام بتنظيم حركة واسعة النطاق ضد الكماليين ، فأقدم الكولونيل « بل » رئيس قلب الاستخبارات في حلب ، وأرجعهم عن عزّهم باسم حكومته واعداً إياهم بأن الحلفاء سيأخذون تحقيق القضية الكردية بعين الاعتبار ، وكانت معاهدة سفر متوقعة عند ذاك .

وقبيل إمعان النظر في الحافر الذي أدى إلى قيام الحركة الكردية الوطنية ، من المستحسن أن نأتي على ذكر إعادة النشاط الوطني المعبر عنه في إنشاء اللجان ، وهكذا أسس الأمير ثريا في القاهرة ، حالاً بعد معاهدة فودروس السلمية ، لجنة الاستقلال الكردي . أما في القسطنطينية ، فقد قام الأمير أمين علي

وكياموران علي بك والشيخ عبد القادر ورهط من الشخصيات ، بتأسيس جمعية تستهدف النهضة الكردية . وبعد فترة وجيزة خرجت إلى عالم النور « منظمة الحزب الوطني الكردي » و«جمعية الأهداف الاجتماعية ». إلا أن الاحتلال مصطفى كمال للقسطنطينية ، شتت هاتين المنظمتين اللتين ظلتا تبديان نشاطاً سرياً . وفي سنة ١٩٢٧ ، عندما تأسست اللجنة الوطنية « خوييون » جمعت في أحضانها المؤسسات جميعاً .

التكريس الدولي لاماني الاراد معاهدة سفر ١٠ آب ١٩٢٠ ، ولوزان ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٣

رغم أن معاهدة سفر بقيت حبراً أبيك على ورق أصم ، لا شك في أنها كانت مرحلة خطيرة في تطور القضية الكردية . فلأول مرة في التاريخ بحثت وثيقة سياسية دولية قضية الاستقلال المحلي للمناطق التركية العجمية التي يقطنها الأكراد . ومن هذا التاريخ أصبح تدويل القضية الكردية أمراً لا مناص منه . وقد كان لمعاهدة لوزان التي حلّت مكان معاهدة سفر وقع أليم في النفوس ، كما يقول « مندلستام » الأخصائي في مادة الأقليات ، إذ أن هذه المعاهدة لم تنص على المساواة بين الحقوق المدنية والسياسية إلا لمصلحة الدول الكبرى .

قضية الموصل

على الرغم من أن معاهدة لوزان أنت ناقصة وغير عادلة بالنسبة

لأكراد تركيا ، فقد لعبت دوراً خطيراً لا سيما بقضية الموصل التي اضطرت عصبة الأمم لوضعها على بساط البحث وأوفدت إذ ذاك لجنة تحقيق دولية إلى تلك المنطقة الكردية . ثم وضعت اللجنة حدوداً مؤقتة في تشرين الأول عام ١٩٢٥ دعتها « خط برو كسل » وقد نص التقرير المرفوع من لجنة التحقيق الدولية في شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٥ إلى هيئة عصبة الأمم على وجوب وضع هذه المنطقة تحت الوصاية الدولية لمدة ٢٥ سنة . ونص أيضاً على ضرورة تسليم الشؤون الإدارية والعدلية والتربية إلى العناصر الكردية مع اعتبار اللغة الكردية لغة رسمية .

إلا أن الثورة الكردية التي قام بها الشيخ سعيد في شباط - نيسان عام ١٩٢٥ في أثناء دراسة التقرير ، ما كانت إلا دعامة للعرض البريطاني في جعل ولاية الموصل ولاية عراقية . وفي نفس الوقت ، كانت هذه الثورة طريقةً إلى التعبير عن شعور الأكراد بأنهم يستطيعون الاندماج مع الشعب العربي في العراق ، وأنهم يستطيعون أن يكونوا مواطنين صالحين مع العرب حيث كانوا . كما كانت هذه الثورة بثابة تكذيب لتصريح الوفد التركي في لوزان بأن الأقليات الإسلامية كانت مرشحة لمصيرها تحت الحكم التركي .

وبوافقة عصبة الأمم أصبح خط برو كسل الحدود الفاصلة بين تركيا والعراق . وفي شباط ١٩٢٦ ، صرح أول رئيس وزارة عراقي أمام مجلس النواب في بغداد قائلاً : « يجب علينا أن نمنع الأكراد حقوقهم . يجب أن تُمنع الوظائف في مناطقهم لأنهم واللغة الكردية يجب أن تكون لغتهم الرسمية ويجب على أولادهم

أن يتعلموها في المدارس . » وكانت هذه الكلمات تكريساً للتفاهم الودي الصحيح بين الأكراد والعرب .

تأسيس « خوييون » والثورات الحديةة

بعد ثورة الشيخ سعيد ، لم يكن المهدوء الذي نعمت به البلاد من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٣٠ إلا هدوءاً ظاهراً ، ففي ربيع عام ١٩٢٧ عقد مؤتمر نبّت منه فكرة تأسيس الجنة الوطنية الكردية « خوييون » التي أقسم أعضاؤها على استمرار الكفاح في سبيل تحرير كردستان في الأراضي التركية . وعهد بتتنظيم الجملة إلى ضابط قديم هو إحسان نوري باشا . فبدأ بتحضير دقيق مختاراً جبل أرارات كنقطة ارتکاز لخطته .

وهكذا ، ابتداء من ربيع عام ١٩٣٠ عادت إلى المسرح سلسلة من الثورات الكردية . وسندَ كر بالموجز عدداً من هذه الثورات . فثورة ١٩٢٠ أحدثت تقاربًا بين تركيا والعجم على حساب الأكراد ، حيث وقعتا اتفاقاً تعديل الحدود في أرارات في ٢٣ يناير ١٩٣٢ ، وكان لها تأثير في العلاقات التركية - السوفياتية .

ويعلق المارشال داسبرى بصدق ثورة ١٩٣٠ بعد عودته من الشرق الأدنى ، في صحيفة « لاماكان » عدد أول كانون الأول عام ١٩٣٠ قائلاً : إن الثورة الكردية لم تخمد لظاها بعد ، والأكراد يستندون على بعض الأتراء المتأوئين لمصطفى كمال .

وفي أواخر عام ١٩٣٠ وببداية عام ١٩٣١ ، ابنتهت من أوساط دراويش النقشبندية أخيه كان الشيخ سعيد عضواً فيها ، وهي

حركة مناوفة للكهاليين . وفي عام ١٩٣٢ حاكمت المحكمة العسكرية في أرضروم صلاح الدين ابن الشيخ سعيد الذي قدم إلى تركيا من العراق معللاً بالعفو . وقد انضم فيها بعد إلى ثورة درسيم . وسنة ١٩٣٣ سجلت حملة قام بها البوليس التركي ضد الشيخ فخري في ضواحي ديار بكر . وسنة ١٩٣٤ ، أصدرت المحاكمة التركية سلسلة من الأحكام بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة .

وقد خيم على الفترة الواقعة بين ١٩٣٤ و ١٩٣٧ صمت رهيب ، ولم تقع إلا مؤامرة اسبارتا – أيام عام ١٩٣٥ ، التي اشتركت فيها الشيخ بدیع الزمان الكردي ، ثم العصيان وعدم دفع الضرائب في منطقة موش التركية في العام ذاته . وفي ٥ مايو عام ١٩٣٢ صدر مرسوم نفي وتشتيت الأكراد بعدل خمسة بالمائة من كل قرية . فكان هذا المرسوم صدى لأعمال النفي التي قام بها الأتراك خلال حرب ١٩١٤ ، لكن الحيوية الكردية كانت أشد وأقوى من الاندفاع التركي الإداري ، فلم تؤثر هذه الإجراءات في الجماعات التي يتالف منها شعب كردستان .

وفي عام ١٩٣٧ هبت ثورة درسيم – تنجلي – فتبنت الدول الغربية إذ ذاك العرض التركي قائلين هذا القول الراخر بالتعريض والافتراء وإنكار الحقيقة : « المدنة تكافح ضد البربرية » . لذلك انتهت هذه الثورة بأن هدم الأتراك بيوت الأكراد في المنطقة الثائرة ، ثم يحرقون الأحراج التي يأوون إليها . فكانت ترى العجزة والنساء والأطفال يولدون هاربين . وإذا شئت الاطلاع على بروبرية الأتراك في هذه الأعمال فارجع إلى الحوادث البشعة التي

يذكرها كتاب « درسيم كورستان تارينده » .

وضع الأكراد في المعجم

لمحة خاطفة عن وضع الأكراد في المعجم تبين لنا أن المشكلة هنا تتخذ طابعاً خاصاً . فالبيان الذي يلح على اعتبار أصل السلالات الكردية الفارسية تبع من مصدر واحد سحيق ، وعدم وجود المبررات للعداوة بين الأقرباء ، من العوامل التي تجعل أبداً في التصريحات الفارسية الرسمية والصحافة . ومع ذلك ، فإن طهران لم تتهاون أبداً في قمع الانتفاضة التي قام بها خالد آغا الجلالي من جهة أرارات ، وقمع المحاولة التي قام بها اسماعيل آغا سمكوا الشهير من جهة شنو . كما أنها لم تتردد في خنق الحركات التي قام بها جعفر آغا سلطان أورمان عام ١٩٣٢ . فالعلاقات الكردية الفارسية تسمت فيها بعد على صورة واضحة .

الأكراد في الاتحاد السوفيatici

إن عدد الأكراد في الاتحاد السوفيatici في ترانسقوقازيا لا يتعدى مائة ألف نسمة . لكن هذا الرقم لا يدل على أنهم غير قادرين على إنشاء قطب استجلاب لإخوانهم في الخارج ، بل على العكس ، وذلك بفضل سياسة الاتحاد السوفيatici إزاء القوميات . ولا نغالي في شيء إذا قلنا إن أريافان هي المصدر الذي تطبع فيه أكثر النشرات والمؤلفات الكردية ، حيث يوجد أيضاً في القرى الكردية القامة تحت نظام جماعي ، مدارس ابتدائية ، ومكتبات

وأجهزة راديو ، وآلات زراعية ، وجمعيات تعاونية ، جميعها تعمل في سبيل تطوير المجتمع هناك .

المعضلة الكردية في مجري السنتين الأخيرة وخلال الحرب الكونية الثانية ١٩٤٥ - ١٩٤٣

لم تكن الظروف التي خلفتها الحرب الكونية الثانية أجدى من ظروف الحرب الكونية الأولى بالنسبة إلى الأكراد . ففي عام ١٩٤٣ ، اشتعلت الثورة في بارزان - العراق تحت قيادة الملا مصطفى شقيق الشيخ محمد ، بمساعدة الشيخ لطيف ، وقد حاول البعض ترويض الثوار ولكن دون جدو . ففي عام ١٩٤٥ ، أثناء اجتماع هيئة الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو ، قامت لجنة كردية بانتهاز الفرصة المناسبة ورفعت إلى المجلس خطاباً ومذكرة وخربيطة مستعرضة مطاليبها الوطنية في «كردستان حرّ ومستقل» . والجزم ، كما جاء في المذكرة ، بأن السلم لن يعم الشرق الأوسط بدون حل للمشكلة الكردية ، لم يكن قولًا باطلًا . ففي آب عام ١٩٤٥ عادت الدماء تجري من جديد في بارزان . وفي شهر تشرين الثاني من السنة نفسها ، عُقد مؤتمر كردي في باكرو . وفي تركيا ، بدأ الأكراد يثرون . ومن جراء الأحداث في أذربيجان ، منذ ١٣ كانون الثاني عام ١٩٤٦ أعلنت جمهورية كردية في مهساپاد برئاسة القاضي محمد ، إلا أنها لم تحي طويلاً . وفي كانون الأول أدخلت أذربيجان في الدولة الإيرانية وألغيت الجمهورية في مهساپاد ، وكان ثمن هذا العمل البطش بالأكراد بدون شفقة ولا رحمة .

وبعد هذا التاريخ تضارب اتجاهان عند الأكراد ، فالشباب أخذوا يفكرون بامكانية الاتكال على الروس ، في حين أن القدامى كانوا يشتهرون من كل اتفاق مع الروس . « لوموند ٨ مايو عام ١٩٤٦ ». وكمعتاد نجد عند روندر معلومات واضحة عن هذه الحلبة من الزمن : برنامج القاضي محمد ، جمعية شباب كردستان في إيران ، منشورات شيوعية في العراق . ومن الفائدة بمكان أن نشير أيضاً إلى خطاب وجهه المستر فيليبس برليس إلى التايمز في ٢٤ أبريل عام ١٩٤٦ ، وهو نائب من المحافظين في البرلمان الانكليزي ، يدح به سياسة السوفيات ، فيقول : « إن السوفيات وحدهم عرفوا كيف يجدون حلّاً للمشكلة الكردية باخذهما إياها من الناحية الاقتصادية وبمحاربتهم آفة الفقر في القبائل » . ويعتقد المستر برليس أن الحكومة الإيرانية ، لو قامت ، بدلاً من رش أكراد بارزان بالرصاص ، باستخدام واستثمار الطاقات المائية في تلك الجبال الغنية بالفحم الأبيض ، لتمكنت من الحصول على سلم دائم » .

ثم هل يجب أن نؤكّد من ناحية أخرى ، أن الشرق الأوسط ، عقب الحرب الكونية الثانية ، وتحت تأثير الحرب والأزمات المالية ، والأجور الباهظة التي اضطر الأميركي كان إلى دفعها لتغطية الحاجات العسكرية التي عادت فجفت بسرعة ، قد دخل في غليان اجتماعي أحدهمه الغرب نفسه ؟ !

وفي نتيجة هذه التجربة الرامية إلى تركيز المعضلة السياسية لا يسعنا إخفاء تمنياتنا إلى الأكراد ، كما أنه ليس بمستطاعنا ، من

جبهة أخرى ، إنكار الفائدة الناتجة عن تبع التجدد وتكوين الروح الوطنية الجادة في إثره منذ الحرب الكونية الأولى في العجم وتركيا وغيرها من بلدان الشرق الأوسط .

وهنا تقع المشكلة : فتطور كلا الجانبين جعل الاتفاق بعد المثال ، والخروج من هذا المأزق يوجب التوصل إلى نتيجة انقلاب سياسي في مفهوم التعاون . فالبادرة الضرورية يجب أن تتبّع ، بادىء ذي بدء ، من الحكومات المعنية . وعلى الزعماء الأكراد أن يرهنوا عن حسن نية وثقة . إذ أنه ما دام العلاج الناجع متأخراً فسيظل الحقل مبسوطاً أمام الدسائس .



الفصل العاشر

حياة الأكراد الروحية

*

تابع الميائة الكردية

بعد التدقيق في حياة الأكراد في شتى نواحيها ، لاحظنا أكثر من مرة الدور الذي لعبه الاسلام في هذه الحياة . كما ورأينا كيف أن الأكراد خدموا الخليفة العربي واستر��وا عملياً في الحرب ضد الصليبيين (صلاح الدين) وتبنوا الحضارة الاسلامية (المروانية والشدادية) .

على أن الكردي في الميدان الديني ، كما هو في سائر الميادين ، يثبت ذاتيته المميزة . وسنعرف القاريء إليها في هذا الفصل ، إذ سنبحث بادئ ذي بدء ، الاسلام كما يبدو في الوسط الكردي ، ثم اليزيدية كذهب كردي صرف ، ثم طائفة أهل الحق التي

ليست هي كردية صرفة إلا أن كثيرين هم الأكراد المنتمون إليها . وأخيراً سنتكلم باقتضاب عن المحرافات والمعتقدات الشعبية التي لا يمكن فصلها عن مجموعة الحياة الدينية التي يمارسها شعب يدور البحث عن مذهبة . وفي حين أن العقائد الدينية والطقوس المفسرة في الكتب المقدسة والمعلق عليها من قبل اللاهوتيين تبقى إقطاعية النخبة المثقفة التي تتبع الجماهير الشعبية ما تفرضه عليها وتعيش في نفس الوقت على رُكْن قديم من التقاليد والمعتقدات التي تتناقلها من قرون إلى قرون ، وتمشي عليها ، وربما تطرف باستعمالها . فهذه الأفكار الدينية القدية التي لا تزال تحيا في أغوار النفس الشعبية ، هي للباحثة بثابة دلائل تكشف النقاب عن حقيقة الحياة الروحية في البيئة المعنية بالأمر .

موقف الأكراد بازاء الإسلام

قد سبق أن ذكرنا في فصول سابقة كيف أن الإسلام أسمى في تطوير تاريخ الشعب الكردي وكيف كان له من هذا الشعب مؤيدون مستعدون دائماً للمحاربة بإسمه ومن أجل انتشاره، ورجال أتقياء يعطون المثل الصالح ويجدون في التبشير به فرضهم الاجتماعي ، كأئمَّة مظفر الدين من سلالة « بك - تكويين » من هولر (أربيل) . ويخبرنا كتاب شرف نامه باسماء أكراد كثيرين من المحتمل أنهم كانوا أقل تقدى من زعيم أربيل ، غير أنهم كانوا مسلمين صالحين شرفاء . فقد شيدوا المساجد وأسسوا المدارس وقاموا بكل ما استطاعوا أن يقوموا به من أعمال البر والاحسان .

النخبة وتبصرها في الإسلام

هذه بعض الشهادات التي تثبت تبخر النخبة في الإسلام : عُرف صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل ، بنشاط إسلامي خير . وبالرغم من أن نشاط هذا الكردي الكبير قد جرى خارج كردستان ، فإن أعماله تدل على رغبة الشرفاء من الأكراد في العمل الطيب . فقد شيد صلاح الدين مدارس كثيرة في القاهرة ، كما شيد فيها داراً للكتب ومستشفى . ومن المدارس التي أنشأها مدرسة « القرافة » الكبرى و « القرافة » الصغرى قرب ضريح الإمام الشافعي ، ومدرسة قرب ضريح يُنسب للإمام الحسين ، ومدرسة زينة التجار الشافعية ، والمدرسة المالكية ، والمدرسة الخفية في حلة قصر عباس . وفي القدس أيضاً بني صلاح الدين مدارس كثيرة ، وقد أنفق كل ثروته في أعمال الخير والإحسان والأنسانية . ويقال بأنه لم يوجد في خزينته بعد وفاته إلا ٧٤ درهماً من الفضة .

ويُشيرنا كتاب شرف نامه عن أعمال الخير والاحسان التي قام بها هو وأجداده في بتليس ، منها تشييد المدارس التالية : الأخلاصية حيث علّم نهيس الدين مولانا محمد شرنشي ، قطب عصره في علم الفلك والعلوم الكلامية ، والمحجية التي علّم فيها مولانا محمد نازقي المتصرف الروحاني ، والأدريسية وقد علّم فيها مولانا عبدالله ليشقن المولى الأسود الذي كان يمارس سلطة روحية خاصة . والخطبية ، والشاعرية ، والشريفية حيث كان يعطي دروساً مولانا خضر باهي من آباء الطائفة الشافعية . ومدرسة الزاوية الشمسية التي تشبه

ديرأً فيه مدرسة داخلية لطلاب اللاهوت . واشتهر شمس الدين من بتليس بإسم القديس فرنسيس لل المسلمين ، إذ كانت الطيور تأتي وتشرب من كف يده .

إلى جانب هذه الأوساط الإسلامية الكردية الكبيرة ، لذكر سواها من التي لم تحظ بالأهمية الأولى في كردستان . وتأتي الجزيرة في المقدمة لأنها أنجحت رهطاً كبيراً من الجبابدة المشهورين في علم الكلام الإسلامي ، وكان يرعاهم ويحتملهم بدر بك بن شاه علي بك ، ونذكر منهم : مولانا محمد بك القلعي ، أبا بكر ، حسن السرتشي ، زين الدين بابي ، السيد علي . ويروى أن أبا بكر اغتاظ مرةً وصم على مغادرة المدينة ، فهب أعيان المدينة والأمير على رأسهم يتسلون إليه كي يعدل ، فعدل عن الذهاب . واشتهر الرابع بعرفته علوم الظاهر والباطن ، وقد دخلت الأحكام المنصفة لهؤلاء الأساتذة في الشريعة الإسلامية الكردي . وإن قضية الجزيرة جديرة بالانتباه فهي أيضاً مقر لليزيديين ، وببلدة « زاخو » أيضاً شهيرة بما أنجحت من علماء لكردستان فاق عددهم علماء سائر المدن الأخرى . وفي « خوزان » أسس الأمير داود بن الأمير مالك ، مدرسة دعاها الداوودية . ومدينة خلاط التي أنشأها الأكراد أنجحت عالماً كبيراً يدعى مولانا محى الدين الخلاطي ، وهو الذي دعي من قبل ناصر الدين الطوسي لإشرافه على بناء مرصد في مراغه (القرن الثالث عشر) . وفي بلنفان ، شيتد محمد بن غيب الله بك المتزوج من ابنة الشاه طهمسب ، مدرسة وجامعة كبيرة .

وإن هذه القائمة التي أدلينا بها نقلأً عن كتاب شرف نامه ،
ليست كبيرة ولكنها كافية لثبت أن كردستان في القرون
المتوسطة والحديثة كانت كسائر البلدان الإسلامية بلاداً تعم
مدارسها ومساجدها وشيوخها ورجال دينها وعلمائها .

وفي الخطاب الذي وجهته أنا بنفسي إلى المؤتمر الدولي السادس
عشر للدراسات الاتنولوجية المعقود في بروكسل سنة ١٩٣٥ تحت
عنوان : « بحث في التقاليد والأناشيد والقصائد الشعبية بالاستاد
إلى الأحوال الاجتماعية والاقتصادية » قلت عن قصيدة مم وزين :
إن القصيدة كانت ترتدي طابعاً إسلامياً بحثاً بابتهاها المتواصل إلى
الله وتعظيم القرآن الكريم وأياته .

وفي ديوان الشاعر الكردي سوسان نجد قصائد تسيطر عليها
الروح الإسلامية ، وأذكر بنوع خاص قصيدة « سيسبان » التي
تصف معركة بين المسلمين والمشركين وتأتي على ذكر الرسول وعليّ ،
والحسين والحسن ، وعمر بن الخطاب . وهي قصيدة تتسم بطابع
عربي .

والجامع الأزهر عرف بين أساتذته عدداً كبيراً من
الأساتذة الأكراد . منهم الكيميائي عبد السلام المارديني
الذي صنف خطوطاً بهذا الصدد . كما وإن لدينا كتاباً
يبحث في علم الكلام نُشر عام ١٩٣٤ في القاهرة ومؤلفه
هو السيد عبد الرحيم الحسيني المعروف بالمولوي ، وهو كردي من
« سنتات » أما فيما يتعلق بناشر هذا الكتاب فهو حجي الدين صبرى نعيمة
ويبدو أنه كردي غوراني من « سنتات » أيضاً . وقد درس طيلة ٣٦

عاماً في الأزهر ونشر ما كتبه الغزالى والرازى وغيرهما

التصوف الكردي — سلطة المشايخ

الفكرة الدينية المعول بها عند الأكراد هي التصوف المرعى في جماعات الدراوיש . وهو تصوف من الناحية العقائدية لم يحظ أبداً بتأييد العلماء رسميأً . أما من الناحية الاجتماعية فقد انطبق جيداً على البيئة ، أولأً بوجب المذهب النقشبendi ؟ ثانياً بوجب مذهب عبد القادر الكيلاني مؤسس المذهب القادري وهو حالياً منتشر تماماً بين القبائل الكردية بفضل الأصل الكردي الذي ينتسب إليه مؤسسه . وإن الدرويشية الكردية منظمة على الصعيد القبائلي ، والشيخ هو مرجع المذهب الصحيح ، يعلمه ويسره في مقره « الحنقة » ، محاطاً بتلاميذه حيث يصبح أفضليهم بعد ذاك خليفة له تجاه القبائل .

ولا بد من أن تكون قد وردت أمام القارئ أسماء بعض المشايخ عندما تحدثنا عن تدرج القبائل والحركة الكردية الوطنية . ولكن من المستحسن أن تتحدث في هذا الفصل مطولاً عن أولئك الأشخاص لما لهم من أهمية في كردستان . وهذه هي أهم عائلات المشايخ الكردية هناك .

أولاً تأتي عائلة شمدان المعروفة بـ « سادة نهري » فهذه الأسرة يرجع أصلها إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وقد راح ابنه إلى آكرا يبشر بالمذهب القادري وقد دفن هناك ولا يزال قبره مزاراً للحجاج . وقد أقام فيها بعد ابنه أبو بكر في منطقة حريري - قرية

الشيخ الكريم ، وأصبح بعد ذلك مرشد المذهب النقشبendi . وجعلت له شعبيته الكبيرة كثيراً من الأعداء والحساد ، نذكر منهم الشيخ معروف من السليمانية والملاّ محمد من بالك وهو اللذان راحا يهاجمان مكوث مولانا خالد في كردستان بهذه العبارات : « إن الأكراد جماعة سذج ومؤمنون ، لذلك سيقدمون العطايا إلى النقشبنديين ، فيصبح هؤلاء أثرياء ، وستقع القضايا الروحية والزمنية في مأزق حرج ، ويعيش إذ ذاك أبناء مشايخ النقشبندية في الدلال والرفاهية بفضل ثروات آبائهم ، ويسبّون شائخين ووائقيين من أنفسهم بما يؤدي بهم إلى نسيان مبادئ أجدادهم وحياتهم الساذجة . ولن تعود الأولية للشؤون الدينية إذ أن هؤلاء المشايخ سيحاولون التدخل في المسائل السياسية ويستولون على الحكم ، فيجعلون من أتباعهم عيдаً لهم . وما زلهم الخاصة ستثير غضب الحكومة ، فتوسل هذه الأخيرة جيوشاً إلى كردستان حيث لن يبقى بعد ذاك سكينة وعدالة » .

ولم يكتف أعداؤه بتلك الإساءات بل انتهاوا إلى فكرة القيام بقتله . ولما بلغ الأمر مولانا خالداً الذي كان رجلًا تقىً ، ذهب إلى القسطنطينية ، فنصحه العلامة هناك بأن يذهب إلى البلاد العربية . وبعد عدة سنوات من التبشير في سوريا ، مات مولانا خالد ، ودفن في الصالحة بضواحي دمشق .

وقد قال عنه المولى سعيد الذي أعطاني هذا التاريخ . « إنه كان رجلاً تقىً وصالحاً ، لكن المبادئ التي زرעה في كردستان لم تتفع تلك البلاد . »

ستوني - حيث عاش من بعده إبنه الشيخ حيدر وخلفاؤه عدة أجيال . وفي زمن المولى الحجي ، أتت تلك الأسرة وسكنت في قرية مليان في خومارو ، ومن ثم انتقل أحفادها فيما بعد إلى قرية دمانة شوفلا حتى عهد المولى صالح . وأبناء الأسرة الأخيرة تو كانوا المذهب القادرى واعتقو المذهب النقشبendi . وإلى هذا الزمن يعود تاريخ قيام هذه الأسرة في نهري (عاصمة شيدنان) . وبين دراويش النقشبندية يجب أن نذكر « مولانا خالد » من السليمانية . وكانت له سيطرة روحية قوية على أتباعه . والمولى خالد كردي عادي من أهالي منطقة شهرزور أصبح بعد إنتهاء دروسه في المدرسة « المولى خالد » وشرع يعلم في السليمانية ، وقد رأى في الحلم يوماً الشيخ عبدالله دهولي كدرويش بسيط ، فأمره الشيخ قائلاً : « قم يا خالد واذهب إلى الحج ، فسترى هناك في الكعبة درويشاً مثلك ، فقبل طرف عباءته وسيساعدك على تحقيق أمنياتك ». غير أن خالداً لم يبال بهذا الحلم ، ومضت السنون ، فتوفي خالد حاملاً تماماً .

وذات يوم ذهب خالد إلى الحج ، وعندما بلغ الكعبة أبصر درويشاً فدنا منه فنظر إليه الدرويش نظرة طويلة وقال له بصوت هادئ عميق : « يا خالد ، أنسنت حلمك القديم ؟ إذا لم تذهب إلى دهلي ، فستكون طريق الخلاص أمامك طويلة الأمد ». فذهل خالد من كلام الدرويش وذهب إلى دهلي رغم المحاولات العديدة التي بذلت لردعه ، وفي دهلي أمضى سنوات عدة قرب الشيخ عبدالله في الصوم والصلوة ، ثم عاد إلى السليمانية يحمل بركة ذلك

ولتنتقل الآن إلى عائلات بعض المشايخ الأخرى في كردستان.

ففي السليمانية ، تتمتع سلالة الشيخ كاك أمادي بشهرة واسعة نظراً لانتسابها إلى قريش قبيلة الرسول . والشيخ سعيد ابن الشيخ كاك نقيب هذه البلدة الذي قتل في الموصل عام ١٩٠٦ قام بدعائية واسعة النطاق بين أكراد العجم في زمن عبد الحميد ، للتمهيد للأتراء لدخول المناطق الكردية الواقعة تحت النزاع . ولكن ذلك لم يمنع الأتراء من أن يقضوا عليه . ونجل الشيخ سعيد ، الشيخ أحمد لم يكن معروفاً كأخيه البكر الشيخ قادر الذي التجأ إلى جماعة المهاوند بعد اغتيال أبيه ، حيث قام بثورة ضد الأتراء انضم إليها فيها شيخ بربازان . وقد لاقى الأتراء صعوبة في خنق هذه الثورة .

أما العائلة المنتفدة في أورمان فهي عائلة الشيخ عثمان القاطنة في قريتي طويلة وبياري . وقد أنجب الشيخ عثمان ولدين هما الشيخ محمد والشيخ عمر . ونجلاه هذا الأخير الشيخ نجم الدين والشيخ علاء الدين ، ونجل الأول الشيخ حسام الدين ، يئتون هذه السلالة ولهم سلطة على قبائل موكري ومamacash ومنفور . وهم من النقشبنديين .

وفي كركوك استهل نجل الشيخ علي التعلباني : الشيخ محمد علي المنتمي إلى المذهب القادرية . وفي كركوك أيضاً توجد سلالة السيد عبد الرحمن وقتل في شخص عبد الرحمن زاده من الطائفة الشافعية (الطائفة نفسها منتشرة في القوقاز وداغستان) . وكان السيد عبد الرحمن في الفترة الممتدة بين الأربعين

والخمسين سنة من القرن التاسع عشر أقوى شخصية دينية في كافة أرجاء الكردستان . فكان لديه ما ينافى عن خمسين ألف مرید يشرون برسالته في طول البلاد وعرضها .

وفي آماد يتمثل المذهب القادری في عائلة الشيخ نور الدين بريفکي . وفي منطقتي بتليس وفان ، نذكر الشيخ بهاء الدين ابن الشيخ محمد كفراوی . وفي منطقة هکاري ، سلالة الشيخ فہيم أوراسي ، لا سيما الشيخ عبد الكریم ابن الشيخ طه الذي كان قبل حرب عام ۱۹۱۴ يعيش في بشقاقة .

ويذكر « روندو » مشايخ « بالو » أفراد عائلة الشيخ سعيد الذي هو بطل ثورة عام ۱۹۲۵ ، وقد نجح في إشعالها بفضل نفوذه الديني من جهة ، وسلطته الاقطاعية والقبائلية من جهة أخرى . وحصل على تلك السلطة نظراً لزواج موفق عقده مع بنات الزعماء المحليين الأثرياء .

ويوجد في كل من أكرا وزبار أسرتان من شيوخ المذهب النقشبندی ، الأولى من سلالة الشيخ عبد السلام البرزاني الذي اغتال الأتراك أنجاله خلال الحرب الكونية الأولى . أما الأسرة الثانية المقيمة حالياً في قرية بدجلي ، فيتمثلها الشيخ بدیع البوجلی نجل الشيخ محمد .

لقد رأينا ، على الصعيد الديني ، أن المشايخ هم رؤساء جمعيات الدراویش ، وأهمها جمعية نقشبندی وجمعية قادری . فالأولى أسسها الحجۃ محمد بهاء الدين من بخاری ، وهي أقدم جمعية روحية كردية ، وقد قال المؤرخ هامر بهذا الصدد إن النقشبندیين يعتبرون

أن أول حلقة في سلسلتهم هو الخليفة أبو بكر . ييد أن أتباع سائر المذاهب يعتبرون أن علياً صهر الرسول هو الحلقة الأولى في جمعياتهم الدينية . وقد انتشر المذهب النقشبendi في كردستان بعد المذهب القادرى .

ويتعذر علينا الدخول هنا في تفاصيل الدرويشية أو الصوفية غير أنّا نوجز قائلين إن المریدين ينتسبون إلى درجة أو إلى درجات بتعيينات من المرشد . وهم يتظهرون أديياً ويعكفون على التعبّد إلى الله والاتحاد معه في حالة النشوة والغيبة . والطرق الدينية الخارجية للوصول إلى هذه الدرجة تتجلّى في الصلوات ، فلها معنى روحي خاصٌ في الذكر والتلقين ، وترافقها أكثر المرّات حرّكات ورقصات مختلفة .

وتعقد الاجتماعات الدينية في بيوت معدة خصيصاً لالصلة توجد في كردستان : في ساوج بولاك ، ونهرى ، وبرزان ، وبريفكان ، وبديجل ، الخ ...

الموقف الكردي من اليزيدية

إن اليزيدية التي يعتنقها بعض الأكراد هي إحدى طوائف كردستان ، ويقول مار^١ إن هذا المذهب كان يضم أكتيرية الأكراد قبل اعتناقهم الدين الإسلامي . ومن المعلوم أن الأكراد في الحرب ما كانوا ليذبحوا اليزيديين بل كانوا يسترقونهم عسداً^٢ .

١ - يقطن اليزيديون في قضاء شيخان - منطقة الموصل - على جبل السنجار ١٦٠ كلم غربي الموصل ، وفي منطقة ديار بكر وحلب ، وفي أرمينيا السوفياتية قرب تفليس . وعددهم الإجمالي لا يتعدي السبعين ألفاً .

المذهب اليزيدي وتاريخ اصله الاسلامي

إن هذا التاريخ ورد في كتاب لاسكو اسمه « التحقيق عن اليزيدية في سوريا وفي جبل سنجار » (١٩٣٨) وبناءً على التحقيقات التي وردت في الكتاب المذكور ، يكون مؤسس اليزيدية الشيخ عادي ابن مسافر .

وُلد هذا الشيخ في سوريا بين عام ١٠٧٣ و ١٠٧٨ ، وتوفي بعد أن بلغ التسعين من العمر . وقد تعرّف في بغداد حيث قضى الشطر الأول من حياته إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وترك الشيخ عادي بعض النصوص التي تقرّر مذهبه ، فهي لا تحرّف عن الإسلام وليس فيها أي شيء يجعل من كتاب المذهب اليزيدي كتاباً هاماً ، يقول لاسكو : « والجدير بالذكر أن « عادي » يفسّر بأن الله هو الذي خلق الشيطان والشر فيقول : « إذا كان الشر موجوداً رغم إرادة الله وبعزل عنها ، فهذا الأخير غير مقتدر . إذن ، فكائن غير مقتدر لا يمكن أن يكون الله » .

وفي نظر بعض آباء الكنيسة الشرقيين « كزوريس وبندورا » الذين عاشا في مصر ، أن الملائكة الساقطين تعذبوا من أجل البشر على غرار « بروميثي » خاطف النار الذي عوقب لأنه أراد منفعة البشرية !

وبعد أن غادر « عادي » بغداد ، أقام في هكاري في خرائب دير مسيحي حيث تكشف وتنسلّك ، فأدّى تفشه وصومه وزهده إلى بسط سيطرة فعلية على الأمارة برمتها . وبعد وفاته انشطر مذهب شطرين : الشطر الأول : من أهل السنة ، والشطر الثاني :

من أهل الشيعة . ثم بدأ بينهما صراع مذهبي دام جيلاً كاملاً . وقد انتصر المذهب الأول في سوريا ومصر ، والثاني في كردستان . وفي القرن الثالث عشر بُرِزَت اليزيدية إلى حيز الوجود دون بعض الاعتقادات التي ألحقت بها فيما بعد .

إن الإيمان بِيَمَامَةِ يَزِيدِ الْخَلِيفَةِ الْأَمْوَى ، وبقداسة « عادي » وترجيع إبليس إلى مقامه السابق ، من أهم المبادئ اليزيدية المدعومة ، من جهة أخرى ، بِبِواطنِ الأَسَاطِيرِ التي لم تكمل دراستها بعد . وإنني أعتقد بأهمية تلك البواطن التي تحدث عنها مؤلف تاريخ إسلامية اليزيدية ميشال آنجلو كيودي الذي أسلم . ولهذا السبب أيضاً رأيت من الضروري أن أثبت تعليق مارّ الذي يقول إن بحث اليزيدية يجب أن يتناول كل ما يحيط بها .

إنني لن أدخل في تفاصيل كتاب لاسكو إلا أنني أود أن أشير إلى أن في إيمان اليزيدي المعاصر « إلهًا واحدًا يسلم شؤون هذه الأرض إلى معاونيه الملائكة السبعة » . ومن المستغرب أن نجد بين الملائكة اسم الشيخ الخلاج مما يشير إلى أن هنالك اتصالاً روحيّاً بين اليزيديين وغير اليزيديين كما يلاحظ لاسكو .

لقد ذاب آخر أحفاد الجماعة الخلاجية في جمعية القادرية التي عُرف « عادي » بمؤسسها . ويتساءل « لاسكو » لماذا يحمل اليزيديون الروح السفلي ، الطاووس الملائكة ، فيأتي على ذكر بعض الروحانيين المسلمين الذين شغلتهم مسألة هلّاك إبليس الأبدى . فبعد القادر الكبلاوي والخلاج وأبي العربي وأحمد الغزالي اعتبروا أن الشيطان رفض الخضوع لآدم وأبي تكريمه التكريم الواجب لله وحده ،

لكته لم يسقط إلا من جراء حبه الزائد للألوهه . وبدلًا من أن يقوم هؤلاء بلعنه كانوا يطلبون من أتباعهم ألا يلعنوه . وتلفت النظر إلى أن أول عقيدة دعت إلى تكريم إبليس ظهرت في القرن السابع عشر ، في حين أن الآثار المكتوبة عن اليزيديين ظهرت في القرن الثاني عشر .

وفي فقرة الواجبات لهذا التكريم : صلوات ، وصيام ، وأعياد ، وذبائح ، وتقشف . أضف أن الأوسين يقدمون حملًا ذبيحة لإله الشر . (المدينة في القوقاز - بيان وبايو ١٩٣٦) ويحمل الأوسين أيقونة محفور عليها رسم ديك ، بينما يوجد في أيقونة اليزيديين رسم طاووس .

ويتمسّك « لاسكو » بالتاريخ ليقيم الدليل على أن في اليزيدية أصولاً غير إسلامية فيلاحظ أن معتقدات وخرافات إيرانية صفت أولاً إلى جانب بعض المعتقدات الإسلامية ، ومن ثم ، تقدّمت تلك على هذه تدريجياً إلى أن أصبحت هي الأصل في المذهب اليزيدي ، وضرب صفح عما في اليزيدية من أصول إسلامية ، فنفي اليزيديون أنهم كانوا مسلمين .

أما أنا من جهتي فلا أعتقد أن الأكراد اليزيديين كانوا في البدء مسلمين .

إن أطروحة « ماو » التاريخية تضع الأكراد اليزيديين في وسطهم الحقيقى ، إذ أن مذهب « عادى » حور به أتباعه . والجدير بالذكر أن الأكراد كانوا قبل ظهور « عادى » ، يعتقدون بعدة نظريات دينية ويمارسون عادات خاصة بهم لا علاقة للإسلام

بها على الاطلاق ، لكنها نضجت فيها بعد وقت تحت تأثيرات متباعدة و مختلفة ، فاليزيدية ليست إلا مرحلة في التطور الديني . والمهم ألا تحول عن الموضوع و تمسك بأهداه و قشور لا تمت إلى البيئة الكردية و تطوراتها بصلة . ونحن نوافق « لاسكو » عندما يقول : « إن النظريات بقصد اليزيدية ، ستقلب رأساً على عقب يوم تجتمع لدينا وثائق كافية تتحدث عن الشعب الكردي و عاداته و تقاليده ». .

اليزيدية كما يراها البروفسور « مار »

بعد أن تطرق البروفسور مار في دراسته إلى الكلمة « تشلي » وأوضح أن هذه الكلمة ظهرت عند الأتراك السلاجوقيين في بداية القرن الرابع عشر ، وهي مأخوذة عن الأكراد الذين أخذوها بدورهم عن الآرامية « تسيلم - تسلما » التي تعني « صورة » انتقل هذا العالم الروسي إلى بحث البيئة الاجتماعية والأصل الصحيح من حيث انبثقت تلك العبارة ، فقال : « إذا كانت كلمة « تشلب » أي الله هي من أصل يافثي ، أو بكلمة أدق ، يافثي جنوبي ، وإذا كانت الكلمة تشلي المتفرعة عنها لا تعني « إلهي » فحسب ، بل تعني أيضاً : « شريفاً » ونبيلاً ، وسيداً ، ورب بيت ، وموسيقياً وشاعراً ومتقفاً » وأيضاً : « كريعاً » وأديباً ، وجليناً ، وأنيناً » أقول إذا كانت تعني كل ذلك ، فمن الواضح أنه يصبح لدينا ، دون اللجوء إلى البراهين ، جزء خطير من تاريخ الشعب الذي ابتدع تلك الكلمة . ومن الجلي أيضاً ، أن الشعب الذي ابتدع تلك

الكلمة المشتبه المعاني كان :

١ - يعتقد مذهبًا أبصراً النور على الحدود الجنوبيّة للعالم
اليافي .

٢ - شعباً يعيش في نظام اجتماعي له طابعه ، وطبقاته على
الأقل طبقتان : النبلاء وال العامة .

٣ - له في طبقة النبلاء صفات يمتاز عن سواه ، ينحصر فيه
الإكرام الديني ويكون وجوده على أساس وراثي . وفضلاً عن
الإكرام الديني ، كان العلم والغناء والشعر والموسيقى صفات تمثل
هذه الطبقة البارزة .

٤ - أعطته تلك الطبقة نظاماً اجتماعياً ولبت رغبات مجتمعها
عقائدياً ووضعت معنى للطبقة الاجتماعية مع الفوارق ، كما حددت
التعابير السامية التي تطلق على النبلاء في كل مكان .

٥ - صنع تاريخه بعزل عن المصادر المكتوبة ، وفي القرن
الرابع عشر اختلط جزئياً أو بكثرة مع الأتراك السلاجقين
 واستجلب معه إلى لغتهم كلمتي «تشلب وتشلي» اللتين أنضح
مفهومهما تاريخه الوطني الغابر منذآلاف السنين . ومن المحتمل جداً
إذا ذلك أن تكون تلك الكلمة ذات المعاني المختلفة عنواناً للتاريخ
الكردي . وهذه أيضاً مسألة أخرى معقدة .

وإن مارّ وهو يحدّثنا عن تفاصيل البحث الذي قام به بشأن
كلمة «تشلي» يقدم لنا مجموعة من الإفادات عن مركز اليزيديّة
بالنسبة إلى عقائدهم العريقة في القدم بأساساً القديمة ، وسنحاول
اختصار تأملات مارّ واستنتاجاته ، وعلينا أن نشير إلى أن

مارّ يرى أن التراث الديني الكردي يتقدم في التاريخ زمن الاسلام .

المعتقدات في آسيا القديمة

إن التباين في المعتقدات والتقطيعات الحالية في الوسط الكردي على الصعيد الديني ، هي ، بنظر مارّ ، نتيجة للانتصارات المسيحية والاسلامية الحقيقة ضد المعتقدات في آسيا القديمة . و يبدو أن المذهب الكردي الشعبي ، بنوع خاص ، لم يقرّ بالغلبة من جهة فكان يقوم بأعمال ، حتى ضمن الأديان المنتصرة ، تطعن هذه بعض الطعن بما يؤدي إلى وصف تلك الأعمال الاحتجاجية بالهرطقة . هكذا ، في أرمينيا المسيحية ، نعرف طوائف مختلفة بما فيها « أبناء الشمس » تكشف لنا النقاب عن آفاق جديدة في تاريخ الحياة الدينية في تلك البلاد إذا ما أقدمنا على مقارنتها ببعض عقائد الأكراد . ولا يمكننا والحالة هذه الأخذ بعين الاعتبار نظرية الأرمنيين شمشتیان وأبوفيان القائلة بأن اليزيديين هراطقة انشقوا عن الكنيسة الأرمنية ، لكن القضية هي بالعكس من ذلك ، أعني أن ظهور الهرطقة في الكنيسة الأرمنية حدث من تأثير مذهب شعبي كردي يشبه جوهر المذهب اليزيدي الكردي .

إلا أن مارّ ينظر إلى القضية من هذه الناحية فيرى أنه قبل ظهور الأتراك في آسيا القديمة ، حدثت حركة دينية قوية في وسط الكنيسة الأرمنية ، فتعدّت حدود أرمينيا و اكتسحت بيزنطية

وبلغت أقصى الغرب تحت أشكال متباعدة وأسماء مختلفة . وكان أن تركت آثاراً قوية - في جملة ما تركت - في العقيدة اليزيدية .

وما ي قوله أحد المراقبين الأوروبيين : « إن اليزيدي لا يصل إلى أبداً ، وإنما يصل ب بصورة استثنائية للشمس . فعندما تشرق الشمس ، على اليزيدي أن يخسر ساجداً أمامها ثلاث مرات ويقول :

« أشرقت الشمس فانهض إليها التعش ! انهض واعمل واجباتك الدينية . لا إله إلا الله والشيخ عادي صديق الله . ومن ثم يقبل الأرض التي بلغها شعاع الشمس ، فيزروع في الأرض حجراً يمثل هيكل الشيخ « عادي » ، ثم يدور حول الحجر ثلاث مرات . ولا يجوز أن يراه أحد ينتمي إلى دين آخر ، أو ينظر هو إلى أحد وهو يقوم بصلاته » .

والامير كمран علي بدرخان في خطابه عن عبادة الشمس عند اليزيديين ، لا يعتقد بأن اليزيديين هم عباد الشمس . إلا أنه يذكر أن الأتقياء يقبلون نور الصباح على جذع الشجر . وهناك شهادة أخرى تفيد أن المولى المسيحي « الماران » في القرن الرابع ، كان يهدى عابدي الشمس من الأكراد إلى الدين المسيحي . فعلى ضوء تلك الاعتبارات ، يبدو أن اليزيديين من الأكراد لا يزالون يارسون بعض مبادئه مذهب زرادشت .

وملحمة البطولة الكردية الشهيرة « مم وزين » تروي لنا قصة

الأمير « مام » الذي حُصر وهو في عهد الدراسة في مكان لا يدخله نور الشمس . وذات يوم بينما كان يلعب مع رفاقه حدث أن كسر زجاج النافذة الذي سبب دخول شعاع الشمس إلى الغرفة . وما أن رأى الأولاد شعاع الشمس حتى هرعوا يهتفون جميعهم : « هودا الله » وحاولوا القبض عليه ، إلا أن المعلم أوقفهم وأخذ يشرح لهم عن الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وقال لهم : إن الله هو السيد المطلق لهذه الأجرام والكواكب . فتلك الإشارة ، لا بد من أن يكون لها معنى في معنى عبادة الشمس .

والمهم في مذهب اليزيديينرأيهم إذ يعتبرون الروح المنسوبة إليها روح الشر ” قد انفصلت في البدء عن الله ، وفي النهاية ستعود إليه . ولا يجوز اعتبارها خلية معاكسة للخير ، بل قوة طبيعية تعمل في اللاوعي . فمن الواضح إذن ، أن نظرية الشر ليست كأساس ولا توجد في أساس مذهبهم . كما وإنهم يعتبرون الروح الساقطة ، بفضل طبيعتها الأصلية ، ورسالتها وعودتها إلى حالة الإكرام والاحترام كما كانت في البدء ، تشكل مادة عبادة خاصة عندهم .

الخمرة الوثنية الكردية في أرمينيا

يؤكّد مار ” أن الخمرة الوثنية دخلت العالم الإسلامي في آسيا الصغرى بواسطة الأكراد ، إذ كانت الجماهير الكردية تتدفق إلى أوساط السلاجوقيين في حين كان الإسلام يبني على أنقاض المسيحية

التي أنهكتها الصراع مع الحركات الدينية الشعبية ، وفي تلك الأثناء تأسس دين جديد هو الدرويشية ، وما بدأ هذا الدين نشاطه حتى اصطدم بجهات قتال كثيرة ، واضطر إلى مناهضة الإسلام المسيطر في ذلك العهد . ففي الدرويشية ، كما يقول البروفسور سمير نوف ، لاقى المذهب المانشوي تجسيده . غير أن نظام الدرويش « المولوي » المميز بثقافته العلمية ، كما تأسس في كونيه في القرن الثاني عشر ، أبى إلا أن يطلق العنوان لتطوره ويخرج من محيطه التقسيي ، إذ كانت تسيطر حواليه ، على الجو ، فكرة التجدد الداخلي في الإنسان بواسطة الاتصال المباشر مع الله خارج الطوائف ودرجات الكهنوت . وفي أرمينيا ، البلاد المجاورة ، اشتهر القرنان العاشر والحادي عشر بالمعارك الطاحنة بين الكنيسة والحركات الدينية الشعبية ، والتي تهمنا من تلك الحركات هي الحركة الدرويشية التي نشرها في بداية القرن الحادي عشر جاكوب من خارك (باشاليك بايزيد) . وكان أتباع جاكوب يعيشون حفاة مسربيين بشباب من الصوف غليظة ، وكان ينتمي لهم نبلاء وجماعات من الشعب بكثرة ، وكانتوا يعظون بطهارة الحياة وبالصوم ، والندامة ، والكمال ، وهم يتذمرون لرجال الدين وطوائف الكنيسة الرسمية . فسمت تلك الحركة الوثنية القوية فوق كافة المنازعات الطائفية وكان لها تأثير عميق في جميع الطوائف المسيحية . وقبل البحث في الهند أو في الإسكندرية عن أسس الدرويشية المحددة بالزمان والمكان – كالدرويشية في كونيه في ظل عهد السلاجوقيين مثلاً – ربما كان من الضروري كشف

هذه الطائفة وبين المسيحيين . ويوجد من هذه الطائفة في درسيم
بين جماعة كيزيلباج . وهم يعتقدون أن الروس سيحاربون
الأتراك بالسيف الذي أهداهم إياه علي . ويوجد أيضاً عند
جماعة « علي إلهي » أدب مكتوب بلغة غورانية ، وقد توصل
مينورסקי إلى الحصول على مخطوطة من هذا الأدب عنوانها :
« سر نجام » .

والقبائل الكردية التي تتبع إلى هذا المذهب هي قبائل
منيشي من جماعة الكلحور ، والسننجاوي ونواة جماعة غوران .
إلا أنها لا نجدتهم في جوار برديفر الخطيرة بالنسبة إلى تقاليدهم
ولا في كردستان الفارسي : في « سنتات » أو في سالوج بولاك .
وقد علل ذلك مينورסקי قائلاً بأنه نتيجة نفوذ مشايخ
النقشبendi .

وأهل الحق يحفظون أيام الأعياد والصوم . ويختلفون بعيد
النوروز على نطاق واسع . وهم على غرار الدراويش الصوفيين ،
يعرفون أيضاً جلسات الانتشاء بالله وترديد صلوات الذكر التي
ترافقها الموسيقى والأحاديث عن حب الله والحب الأخوي ،
أما عقيدتهم عن أصل الشر فلم تتجلى بعد تماماً . وأهل الحق حاولوا
حل قضية العقاب والثواب في اعتقادهم بالتناسخ .

الأساطير الشعبية الكردية

الشمس في نظر الأكراد امرأة جميلة تبرر الأ بصار برأها ،
والقمر رجل ذو وجه ظليل . وتروي بعض الأساطير الشعبية أن

النواب عن العلاقات الدينية المتقاربة جغرافياً والمعاقبة تاريخياً .
أما بقصد الواقع الناتجة عن هذا العمل ، فيجب الأخذ بعين الاعتبار « التأثير الديني الكبير » الذي ينسب إلى أرمينيا في آسيا الصغرى منذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

وخلصة أن مارّ يرى أن اليزيدية هي الديانة الكردية الأصلية التي كان الأكراد يعتنقونها قبل الإسلام ، إلا أنها فقدت كثيراً من حقوقها بعد اعتناق الأكراد للدين الإسلامي .

أهل الحق

إن مذهب هذه الطائفة الذي نوه عنه مارّ له علاقة أيضاً بالكردستان وستكلم عنه باختصار :

ينبئنا مينورسكي إلى أن القضية ليست مجرد تاليه الخليفة الرابع ، إنما القضية تقتصر على تجسيد سبع الوهيات ، وعلى واحد منها . وكان في كل مرة أربعة ملائكة يرافقون الإله المتجسد . وعلى غرار المذهب الاسماعيلي يختلف الإله المتجسد أحد الرفقاء الأربع ويكون عادةً أقوام . كما أن إنتزال كلام الله لم يحدث في عهد علي ، بل حصل حين ظهر بابا خوشين والسلطان اسحق .

وأتباع هذا الدين يعتقدون بالتق谬 . وهم يمارسون أنواعاً غريبة من العقود الروحانية فيما بينهم . ويفصل توزيع وتكسير الخبز واللحم المسلوق على الحاضرين ، إلا أنه لا يجوز مقارنة هذا العمل بتناول القرابان عند المسيحيين ، إذ لا يوجد أية علاقة بين

الشمس والقمر كانوا مخلوقين بشريين . فلما لم ترض الفتاة عن المهر الذي عرضه عليها خطيبها وصرفته براءة ، صاح خطيبها : « انقلي إلى كائن يستحيل الوصول إليه !! » فانقلبت إلى شمس وانقلب هو إلى قمر . أما كسوف الشمس وخسوف القمر فعملان تسببهما مخلوقات مضرة يجب لطردتها إثارة الضجة ، وإطلاق العيارات النارية ، والضرب على النحاس والتتك . ويعتبر المولى عندهم أن الكسوف والخسوف يعنيان غضب الله ، فينبغي إذاً إقامة الصوات . وأن السماء ترتكز على أعمدة يحكمها سليمان الذي يستطيع أن يدمّرها متى شاء . وأنها – أي السماء – ستتطور في كل جيل . أما درب التبانة فهو الطريق إلى مكة ، وما يتفرع عنه فهو الطريق إلى المدينة المنورة . ولكل إنسان نجمة تقع من السماء عندما يموت .

ويصلّي الكردي عندما يصر نجمة تشتب ، أما النجم المذنب فيعني أن مصيبة كبيرة على وشك الواقع . وكبعض الشعوب يعتقد الأكراد أن الرجل إذا مر تحت قوس قزح ينقلب إلى امرأة ، والمرأة تنقلب إلى رجل . والله يأمر سليمان لإرسال المطر إلى المناطق . وسليمان ، بوصفه ملك الطيور والحيوان ، يأمر بدوره « حمّاى » . وهذا الأخير يجمع الطيور حالاً ويقول لهم : إذهبوا واجمعوا المياه من الحيط الفلاّني أو البحر الفلاّني ثم اصدعوا واستقوا المكان الفلاّني . والفروقات في نقاط المياه هي من جراء الفروقات في أحجام الطيور . ويسبب البرق والرعد خيال يرود الفضاء وبهذه سياط نارية ، فضرب السياط هو الرعد ، وشرارات

سياط النار هي الصاعقة . وإذا قضت الصاعقة على أحد قيل : عاقبه الله لأنه خاطيء . ولا يجوز إطفاء الحريق الذي تسبيه الصاعقة . والأرض توتكرز على ظهر ثور بري عندما يرتعش يحدث الزلزال الأرضي .

ويقول « التشورسين » في دراسته إن الأكراد لا يحصون المواسبي التي يتلکونها خوفاً من إصابتها بعين جارهم . ومحاربة الغبار المطر تذهب النساء إلى العين ويستحممن أو يربطن أنفسهن بالمحراث ويفلحن مياه النهر . أما في سهل إيقاف المطر فأخذ الأكراد رمة حبل ويعقدونها تسع مرات وعند كل عقدة يسمون اسم رجل أجرد الذقن . وهذه العادات الأخيرة يستعملها بعض الشعوب في القوقاز لأن الشعوب تقبس الأساطير بعضها عن بعض فيما إذا كانت متباورة .

الشعبان في المعتقدات الكردية

سانجز هذا الفصل الذي بسطنا فيه العقائد الدينية الكردية بعض الملاحظات عن الأفعى . إن الأفعى تلعب دوراً في الرمزية اليزيدية . فإذا اعتبرنا أن الأفعى مخلوقة شيطانية قادنا هذا الاعتبار إلى إمعان النظر في صراع العقائد الدينية والاجتماعية الذي تدور رحاها بين المبادئ اليونانية والمبادئ الآسية في آسيا الصغرى . وهكذا تبين لنا خفايا دينية نكتشفها في تعليل الأساطير الكردية وغير الكردية . فنعلن هنا أمام مجموعة من التقاليد التابعة إلى

الأفعى تلتقي بها ونحن نتعرف إلى الأرمن والأكراد والماديين والبيشين .

إن دور الأفاعي على أكتاف زوهاق في تاريخ العادات الكردية الشعبية ، هو دور الأفعى في تقاليد اليزيديين الذين حافظوا أكثر من سوامِم على بقايا المعتقدات القديمة فيها بين الأكراد . وبعض الأدلة تشير إلى أن التقاليد حددت ملجاً للأفاعي في بلدة « أورamar » الصغيرة في قلب كردستان المتوسط . ولا شك أن لإثنين من الأساطير عملاً كبيراً في هذه الأسطورة التي نحن بصددها . الأولى وثنية ، والثانية مسيحية نشأت على أنقاض الأولى . ويروى أن قديساً ، هو « مار مامو » سحر الأفاعي وحصرها في قبو وشيدت كنيسة فوق القبو . ولا تزال الكنيسة موجودة حتى الآن وتقوم عائلة كلدانية بحراستها في البيئة الكردية . وفي كل عام يرى الحارس المسيحي آبا الأفاعي . ويسود الاعتقاد في المنطقة هناك أنه إذا ما حصل شيء يحرم العائلة المسيحية من هذا الإمتياز ستخرج الأفاعي من القبو وتعتاج المنطقة .

ويروى عن اليهود الجليلين في القوقاز أنهم يعتقدون بوجود روح « اوشديهومار » المشتق عن دين الأجداد الذي يشبه دين الروس القدماء ، وأن هذه الروح توجد تحت أرض البيت ، ولها شكل أفعى ذات سبع رؤوس . أما الروح نفسها فهي غير منظورة ، وإنما يترك أمر الظهور لأنوثتها . والجدير بالذكر

أن هذه الروح هي بثابة حارس أمين لسلامة العائلة ، لذلك يقدمون لها عسلاً كتذكير لها بواجبها . وهذه الفكرة لها علاقة بالخرافة الشعبية المعروفة والتي تعتبر الأفاعي أرصاداً على الكنوز .



الفصل الحادي عشر

الأدب الكردي

*

أول ما يدهش له الانسان عند القيام بدراسة الأدب الكردي هو غزارة القصائد الشعبية في هذا الأدب . وقد قال فلتشفسكي إن غنى القصائد الشعبية ليس إلا نتيجة طبيعية لجهل العامة اللغة الأمّ . وهذا الجهل تفرضه في أكثر الأحيان بعض الطوائف التي ينتمي إليها أصحاب هذه اللغة ، كما هي الحال عند اليزيديين مثلاً حيث يبقى مجال العلم محصوراً في درجة من درجات الكهنوت . غير أننا نعرف من خلال ما اطلعنا عليه آنفًا أن المدارس عند الأكراد المسلمين كانت عديدة . ولكنها مدارس دينية

أكثر منها علمية ، وتقوم بتلقين التلميذ واجبات الدين الإسلامي .
ويعتقد فلتشفسكي أيضاً أن عنصر الغزارة الزائدة في القصائد
الشعبية يرجع في البدء إلى طبقة الأقطاعيين الذين كانوا يحاولون
بها السيطرة على العامة . وليس من ينكر أن أكثر تلك القصائد
تتحدث عن الحرب و مغامرات الأكراد وغزوائهم وعن الآغا
والشيخ وحلفائهم .
و سنورد فيما يلي بعض الأشعار الغنائية الكردية .

تبادل التمنيات عند الفراق

*

ها قد دنا الربيع ،
وحان الوقت للخروج من المنزل ،
وفي دار حبيبي حرّ !
وقد اجتاحته البراغيث ...
إن بوعمّي صدر حبيبي كانوا صغيرين !!
في العامين الماضيين .

أما هذه السنة ، فيمكن مدعيتها ... هايليلي هايليلي !
أنا على النافذة وأنت على النافذة ،
تعالي تعاهد . . .

١ - لا معنى لهذه العبارات سوى « يا حبيبي ، يا حبيبي » وهي
قريبة من الكلمة مثلها تستعمل في الأغاني الشعبية الروسية .

أنتِ على حلاكِ !
 وأنا على خنجرِي !
 تعالى أضع يدي على عنقكِ الذهبي ...
 ولتبعد عنا عيون الشياطين وذراعا التفرقة ، هايليلي هايليلي !
 إتنا تنتقل إلى الأصطياف ،
 إلى حقل أخضر رحيب ...
 يا حبيبتي ، إياكَ أن تعقدِي خطوبتك ،
 على هذا اليتيم المُسْكِن !
 يجب هذه المرة أن أغرز إصبعي في عين المصير ...
 تعالى . لا تذهبِي ، تذكريني ...
 احفري إسمِي على الحاتم الذي في إصبعك .
 وعندما تذهبين إلى القرية ،
 ضعي إسمِي على شفتيكِ ...
 لا تخزني . لا تضعفِي !
 أود أن يبقى ظهر حبيبتي خطأً مستقيماً ...
 عزيزتي ، يجب أن تثبت الزهور مكان الزهور ...
 وبيليلي وبيليلي !!

ذكرى معركة

*

عارٍ ومحروق كلوح الحجر !
 أنظر إلى أبي صالح ،

كيف يعطي فرساً عريباً ويحمل السلاح !!
 وجلال الدين يوجه نداءه إلى العبيد الآبقين .
 أسرع أنت الساعة ... إنه لوقت حرج !
 تحذر من « عثمانكي زور » .
 ها قد دخل الجنود في الضباب ...
 لمسمع طلقات النار ،
 على كتف أخي عثمان .
 عثمان قاتل الرجال !
 يوجد ثغرة في الجبهة ،
 انظر إلى المعر المفتوح للفرار ، في الأمام .
 لقد حان الوقت كي تصلنا المساعدة من « ثلاثة كايدى »
 وصعد أبو صالح إلى غرب المرتفع !

حديث عاشقين قبل المعركة

*

يا حبيبي ، قلت لك :
 إنه قادم من دير الزور ثلاثون خيالاً !
 وإنني أجهل من هم .
 لكن أعتقد أن أحدهم هو العميل الأميركي بابي حسن !
 والذي يأتي وراءه هو الخيال منصور !
 وبعدهما الفارسان الجريئان بابا أمين ومحمد علي !

فأجاب الحبيب :

يا سيدة ، أقسم بالله ...

يوم المعركة التي يدور رحاها في جبال البشيرية ،

وفي سهل « بيل داري »

وقد يقع ببابا أمين من على الجواد !

إن « سيرتا غولا » مكان منحوس كأنما حُرقـت أعشـابـه !

يا سيدة ، أقسم بالله صراحة ودون تردد :

أن بندقـيـة بـابـاـ أمـينـ جـيـدةـ ...

فـهيـ بـنـدـقـيـةـ لـاـ تـخـطـئـ ،

وـفـيـ يـوـمـ المـخـاطـرـ نـطـلـقـ مـائـةـ طـلـقـةـ ...

وـلـاـ تـقـعـ رـصـاصـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ .ـ كـلـهاـ تـصـيبـ الـمـدـفـ !

أما بـنـدـقـيـةـ مـنـصـورـ ،

فـهيـ مـصـنـوـعـةـ فـيـ بـيـتـ وـقـدـ أـكـلـهـ الصـدـاـ ...

وـفـيـ الـيـوـمـ الـعـصـيـبـ لـاـ تـطـلـقـ رـصـاصـةـ وـاحـدـةـ ...

فـهيـ مـصـنـوـعـةـ فـيـ بـيـتـ وـقـدـ أـكـلـهـ الصـدـاـ ...

وـفـيـ الـيـوـمـ الـعـصـيـبـ لـاـ تـطـلـقـ رـصـاصـةـ وـاحـدـةـ ...

في « سيرتا غولا » يوجد جبل ؟

قم وضع السيف في وسطك .

احمل بـنـدـقـيـتـكـ ،

واذهب بـنـسـاطـ !

معركة بين الأكراد والاتراك

*

أيها الأمير ، بدأت المعركة خلف الجامع ،

أمسك رجال « شيخان » بنا دقهم الألمانية !
 ثم اجتمعوا وراء الميكل ...
 همروا واضربوا قبور ذوي القبعات الحمراء : قوم طوران ،
 الآتراك .

سنقتل الشاويش والباشاوش والأنباشي واليوزباشي ،
 سنحرق قبور آباء الذين ينفخون النفير !
 منذ عهد علي عمر باشا ،
 لم ندفع الجزية ...
 أرسلوا لنا شاعراً يحمس المغاربين !!.

آه يا حبيبي

*

تعالى وتكرمي عليّ بقبة على كل خد ...
 إني أبتهل إلى الله تعالى ! هاري ليلي هاري ليلي !
 أنا هنا عبدك الوضيع ...
 وسأكون خادماً لكافة أمورك الجميلة .
 إليها الجبل الشامخ ، غاري داغ ،
 قافلة أبي قمر من هنا ...
 إن رأسي تحت تصرف قامتك ،
 وعينيك الواسعتين ،
 وجينيك الناصع البياض !

التساغر والحسناه

*

أيتها الطائشة ، إسمك حلو كالسكر !
عزائي الوحيد أنني لن أتر كنك
سأقودك إلى مخدعي وسأغلق النواخذ ...
وسأضع فمي على رقبتك الجميلة ...

*

يا عزيزي ، أنا لست طائشة .
لست قصيرة ولا طويلة .
ها أنا إذا بعقد المرجان ...
وليسارة الذهب !
إني لأنتكبر على جميع شباب الجزيرة ...
ولكن ، مع شاعر في المساء ،
لن أبي بالفقر أو بالغنى !!

*

يا طائشي ، لا تدعني شعاع الشمس ،
يصيب بأحمراره وجنتيك الموردين ...
سذهب ... وأبتاع من سوق الموصل ،
وشاحاً لقامة حبيبي ...

واسطع الوشاح على قامتها ،
في حفلة راقصة في القرية !!

قصيدة في جعفر آغا الذي اغتيل في طوريس

أيها الآغا الشاب ،
ليت الطاعون يفتلك بولي عهد إيران ...
أيها الآغا الشاب ،
كنت في ساحة المعركة راسخاً كالطود !
شوكة في عيون العدو !
بasha الصحراء الحقيقي !
لقد أصابوا جسده برصاصتين قاتلتين ...
فارس كبير بين فرسان كبار أنت !
إن « هادي » امرأة جعفر آغا تتمنى ...
وامرأته الثانية « موتيري » تبكي ...
ثم تضع منديلاً على ثياب أبي بوز كرو .
أين الطيب « لقمان » فالجراح بالغة !!
ليت الطاعون يفتلك بولي عهد إيران !
وهناك في طوريس الملعونة ،
شرعوا بنورون ابتهاجا !!!
وانتشر الخبر بين عشيرة السيد في كربلاء !
هيا ... أيها الرجال ،
عقلق بك أقسم أنه لن يذهب إلى القلعة ،

ولن يضيء الشمعة في القنديل ...
هيلا ... أيها الرجال ،
فالديوان مكتظ بالجماهير ...
وأكثار البوابل قوية ! إن جعفر آغا قتله ولي " العهد في
طوريس .

هكذا ، ذهب عفلق بك إلى « طوربكلا » ،
يطلب من القائمقام التركي ،
إخلاه سبيل رجاله المعتقلين .
وبعد أن قتل عفلق بك القائمقام ،
فقد عفلق بك اثنين من إخوته !
اثنان معركة بالسلاح الأبيض ...
أيها الرجال ، قامة عفلق بك كشجرة التوت !
وبحين عودة عفلق بك ،
كان مو كبه يحمل جثتي شقيقيه ...
فخاطب عفلق بك عائشة خانم يقول :
لا تحزني ، لقد صرّع شقيقاي كالأبطال ...
وهما يقاتلان قتال المغاوير !

معركة الأخوين بشار وجميل مع الأتراك

*

أيها الاخوة ، نحن في حالة حرب !
أنا بشار الأشقر ، لا يمكنني أن أعيش تحت حكم الأتراك !.

ولعلم الجميع أني لن أطلق النار على الجنود .
 فهو لا مكلفوون بتنفيذ الأوامر فقط !
 سأطلق النار على القاعقان ،
 على البكباشي ... على ايوزباشي على الباشاوיש !
 سأعلن الثورة في قلعي ،
 حيث سأكون كالنمر الرابض وراء الصحراء !
 وهذا جميل يصبح : بشار يا أخي ...
 يجب أن نعمل شيئاً خطيراً ،
 كي ينتشر إسمنا في العالم !
 أنها الإخوة ، نحن في حالة حرب .
 أخي ، أنت تعلم أن الشيخ قد زارنا نهار الجمعة : لقد باركنا !
 خذ البنديقة ، ولا تنزع المسدس من كفك !
 لا تطلق النار على الجيوش ، فهو لا أبناء الدولة .
 انظر إلى كل من يحمل سيفاً طويلاً ...
 وسمايل مذهبة على كتفيه !
 فهذا ، أطلق النار عليه !
 إن قصر بشار تشتيت قرب النبع ...
 وبشار ينادي أخاه جيلاً بقوة :
 إرم جيداً ... إني أقسم بروحى وجسدي ،
 لن آكل خبز الجناء ما دمت حياً !

*

إن هذه النماذج الشعرية الشعبية من الأدب الكردي توحّي لنا مدى تعلق الكردي بالقتال والحب ، إلا أنه فاتنا ترثيتها بالأشعار الوصفية التي تصور لنا الطبيعة والرعاة والمواشي والجبال في فصل الصيف . ولا شك في أن القارئ يمكنه الاطلاع على مقدار تعلق الكردي بوطنه من خلال ما ذكر « أرب سامو » الأدبية ، وهو كردي من ترانسقوقاز أمعن في وصف طبيعة بلاده وما فيها من روعة وجمال .



ملاحظات وآراء حول كتاب «الاكراد»

بقلم الأديب الكردي جلال كردستاني

لطالما كان الشعر ، والغناء ، والرقص ، يشكل الفولكلور القومي لكل شعب . وما كان الفولكلور الكردي – رغم كل الظروف الصعبة – من أغنى الفنون الشعبية ، المحافظة على طابعها الأصيل ، وجوهرها الانساني المحب . فإن ما ورد في الفصل السادس تحت عنوان : «وسائل الهوى ، الشعر والغناء والرقص» يعتبر أثراً ضئيلاً ، بل ومقتضاً جداً، لما يمكن أن يقال ويُكتب، عن فن وشعر الشعب الكردي .

وحيث أن المؤلف الكريم ، يذكر أن الكردي سواء كان رجلاً أو امرأة ، هو شاعر بفطرته ، يمكننا أن نذكر أسماء بعض الشاعرات الكرديات اللواتي دخلن قلوب الأجيال الكردية كافة ، منها : الشاعرة الكردية الحالدة «ماه شرف خان» التي لُقِّبت بـ «مستورة كردستاني» و «مريم خان» التي جمعت الغناء إلى الشعر . أما «كل بهار^١» فهي شاعرة معاصرة ، تمارس الغناء إلى جانب كتابة الشعر . هذا عدا أن فتيات وشابات الجيل الكردي المعاصر الناهضات يعشن حياة شعبهن بكل وقائعاًها المؤلمة ، وجوانبها الناهضة .

١ - بالكردية Gul Bihar وبالإنكليزية Gul Bhar

إن الأغنية الكردية ، تتسم دائمًا بصفة مميزة ، وهي كونها بعيدة عن الابتدال ، حزينة النغمة ، رقيقة المعنى ، تسمو إلى أن تثير أنبل المشاعر ، وأدفأ العواطف في نفس الإنسان . وهي باختصار تعبّر في نغمتها وأسلوبها ، عن آلام الإنسان المضطهد ، بمزوجة بآماله ! .

ومهما يكن من واقع موسيقى وفولكور الشعب الكردي ، فإن الظروف السياسية القادمة ، هي التي تستدعي الأكراد يطورون موسيقاهم وفولكورهم ، أو يستطيعي صفحة "رائعة غنية من فن" شعب عريق كالأزل ، في درجى الضياع والنسيان !

أما عن المدرسة الوطنية الكردية ، فقد جاء الفصل السادس ، رغم تقسيمه إلى بنود وعناوين ، مفتقرًا إلى الإيضاح والصراحة . فمعاهدة سيفر التي ذكرها المؤلف لم يحدّثنا عن أية مادة من موادها ، وبدونها جاء الحديث عن الحركة الوطنية الكردية مفتقرًا إلى الأمثلة الواقعية ، والأحداث التاريخية .

فقد جاء في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر ما يلي :

«وفي مدة سنة من هذه المعاهدة ، إذا طلب الأهالي الأكراد في المناطق المذكورة في المادة ٦٢ من مجلس العصبة الاستقلال ، وأثبتوا أن أكثريّة الأكراد تزيد ذلك ، ووافق مجلس العصبة على أهلية الأكراد للاستقلال ، وأوصى بذلك ، فإن تركيا تعهد منذ الآن بتنفيذ هذه التوصيات ، ولا تتمسّك بأي حق في هذه الأقاليم . ويتحقق على تفاصيل هذا التنازل ما بين تركيا وقوى الخلفاء الأساسية . وإذا وقع هذا التنازل ، لا تتعارض قوى الحلفاء ،

على دخول سكان كردستان من الأكراد التابعين حتى الآن لولاية الموصل ، في هذه الدولة الكردية .
إلى هنا ، ينتهي نص المادة الرابعة والستين من معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ . ولكن ماذا حدث ؟

هل أقر الحلفاء بالواقع واعترفوا بالحقيقة ، حين هب الأكراد يطالبون بحقهم كشعب ، وبمحق تقرير المصير الكريم الذي يتغىبه ؟ أم قلبو الأكراد ظهر المجن ، حين استبدلوا حق الأكراد ، بصداقه محكمة الصنع مع دولة تركية تقوم على الأرضي المغتصبة من شعوب الأمبراطورية العثمانية ؟

لو سوء حظ الأكراد ، فتذكر الحلفاء لمعاهدة سيفر ، وتصلب الأتراك الطورانيون حيال الأكراد ، بل وقفت دول الحلفاء وراء تركيا بما تمنها بالقوة والعنون للقضاء على مطالبيب الأكراد . وطبخت معاهدة لوزان لتحل محل معاهدة سيفر . وتحطممت إرادة الأرمن في ولايات شرق تركيا ، وقضى على آمال الأكراد في إعادة الوحدة إلى الولايات الجنوبيّة والشرقية ، وحين قاوم الأكراد أحدهض على مقاومتهم بقسوة ووحشية ، وأبدلت تركيا اسم الشعب الكردي بأتراك الجبال ١ وشردتهم ، وهجرت آلاف العائلات الكردية ، وأصدرت قانوناً يمنع الأكراد من إنشاء القرى ، وجردت كبار الملاكين الأكراد من ملكيتهم ، ونفتهم .
واشتعلت الثورة ، وقد تم لها الأكراد الوقود بسخاء ، وصمدوا في جبالهم .

١ - منطقة كردية في تركيا ، ذات طبيعة جغرافية جبلية .

ولنقرأ مع السيدة (أنديرا غاندي^١) بعضاً من رسالة^٢ ، كان قد بعث بها إليها والدها المرحوم لال نهرو ، يوم كان سجينأً ، يقارع الاستعمار البريطاني :

« وقضى كالناس بعد ثورة عام ١٩٢٥ على الأكراد بلا رحمة ، وأقام محاكم الاستقلال الخاصة لحاكمتهم بالألاف ، وأعدم الزعيمان الكرديان الشيخ سعيد والدكتور فؤاد وغيرهما ، الذين ماتوا وأمنية استقلال كرستان لا تفارقهم . »

وبتابع نهرو « زعيم الهند الراحل ، حديثه إلى إبنته الوحيدة قائلاً :

« وهكذا نرى أن الأتراك الذين حاربوا مؤخراً للحصول على حريةهم ، سحقوا الأكراد لمطالبتهم بحريةهم ، فما أغرب تحول القومية من دفاع عن الوطن ، إلى هجوم لسلب حرية الغير . وفي عام ١٩٢٩ قاتل الأكراد ثانية ، ولكن ثورتهم سُحقت ولو إلى حين ، إذ كيف يمكن أن تخمد إلى الأبد ثورة قوم يكافحون من أجل الحرية ، وهم مستعدون لدفع الثمن ؟ ! »

*

الادب الكردي

صحيح قول « فلتشفسكي » من أن غنى القصائد الشعبية ليس إلا نتيجة طبيعية لجهل العامة اللغة الأم . ولكننا ننأى عن الحقيقة والواقع حين نعزّو سبب جهل الأكراد لغتهم إلى العوامل

١ - أنديرا غاندي ، رئيسة وزراء الهند حالياً .

الاجتماعية لهذا الشعب .

فالواقع السياسي المرّ والأليم للشعب الكردي ، هو السبب الأساسي لكل ما طرأ على القيم الحضارية للأكراد ولغتهم ، من انكماش وتقهر .

وإذا تصفحنا تاريخ الأدب الكردي ، نراه يوحى إلينا بثقة عظيمة ، تبدد ما قد يكون قد علق بذهننا عن ضالته وافتقاره .

ومرة أخرى ، نقول إن المرأة الكردية ، ما كانت في تاريخ حياتها ، كغيرها من نساء الشرق ، متقوقة ، أو متحجبة خلف ستائر الحريرية ومنعطفات الدهاليز ، بل كانت دائمًا الند والرفيق الصدوق للرجل الكردي ، في كل مجالات الحياة ، في الفروسية ، والفن ، والأدب ، وأيضاً في السياسة .

ماه شرف خان

شاعرة كردية ذاتعة الصيت ، ولدت عام ١٢٢٠ للميلاد ، اشتهرت بلقبها « مستورة كرديستاني » . تزوجت « خسرو خان » الذي كان أحد رجالات الأكراد البارزين ، والوالي العام لإقليم كردستان . وقد طبع ديوانها بعد ترجمتها إلى الفارسية .

بابا طاهر الهمداناني

وُلد في « همدان » بكردستان الإيرانية ، يكاد شعره يقتصر على مواضيع الحب العذري ، والغزل الرفيع . اهتم المستشرقون

بآثاره ، ونشروا بعضها . ففي طهران ، قام صاحب مجلة « ارمغان » الفارسية بطبع بعض آثاره الأدبية .

علي ترموكي

أما علي ترموكي ، فهو ككل العاقدة الذين يولدون كالقدر ، فيخلقون ويبدعون ، فالترموكي هو أحد الذين خلّدوا باسمهم تاريخ الأدب الكردي ! .

هو من قرية « ترموك » الصغيرة الواقعة بين « ماكرو » و « حكارى » . وقد وضع قواعد النحو والصرف للغة الكردية ، وكان ذا شعور رقيق ، وإحساس مرهف ، وفکر عميق . فقصائده المعروفة بـ « كلمة واحدة » و « عقد ياقوت » و « إن كانت الحياة نومة » . هي في غاية العمق في الفكر ، والقوة في الأسلوب والحرارة في العاطفة القومية . عاش ترموكي في القرن الرابع الهجري ، وله آثار مترجمة إلى الفرنسية .

ملادي جزيري

اسمه الحقيقي « الشيخ أحمد » ولد في جزيرة « بوطان » وعاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري . شعره ككل شعر كردي ، رقيق الشعور ، دافئ العاطفة . وقد أمضى حياته بين ألم وأمل إذ هام بحب أميرة كردية .

أحمد خاني

وحين نذكر أحمد خاني ، فإن مأساة « مم وزين » الملجمة

الشعرية الرائعة ، لا بد من أن تثير فينا أكبر الاحترام والتقدير ،
لـشاعر الإنسان ، الذي استطاع أن يعبر ويبدع !
أحمد خاني ، هو من عشيرة « خانيان » المقيمة في لواء بايزيد .
عاش بين ١٥٩٢ - ١٦٥٣ ميلادي .

من أشهر آثاره الأدبية ، قاموس كردي عربي ، يحمل اسم
« نه بار ». وملحمة شعرية رائعة تحكي مأساة شعب من خلال
مأساة عاشقين ، في ٢٦٥٥ بيّناً من الشعر الموزون .

إن مأساة « مم وزين » هي الرواية المفضلة والمحببة لدى كل
الأكراد نساء ورجالاً . ولقد طبعت هذه الملحمـة حتى الآن باللغة
الكردية وبالمحروف العربي أربع مرات : المرة الأولى في عام
١٩٢٠ في اسطنبول بتركيا ، غير أن الحكومة التركية بادرت
إلى مصادرة نسخ هذه الطبعة وإحراقها ! . ثم في عام ١٩٤٣ أعيد
طبعها في سوريا . وفي عام ١٩٥٣ طبعت في « هولير » والمرة
الرابعة كانت عام ١٩٦٢ في موسكو . وترجمـت مأسـاة « مـم
وزـين » إلى عدة لغـات منها ، الفـرنـسيـة ، والـأـلمـانـيـة ، والـرـوـسـيـة ،
والـعـرـبـيـة .

حاجي قادر كوفي

شاعر وطنـيـ كـرسـ حـياتـهـ وـأـدـبـهـ فـيـ سـيـلـ أـمـتـهـ . مـوـلـدـ فـيـ عـامـ
١٢٣٢ للـهـجـرـةـ ، فـيـ قـرـيـةـ صـغـيرـةـ عـلـىـ أـخـدـ الجـبـالـ القـرـيـةـ مـنـ « كـوـيـ »
سـنـجـقـ » بـكـرـدـسـتـانـ العـرـاقـ . وـتـوـفـيـ رـحـمـهـ اللهـ عـامـ ١٣١٢ هـجـرـيـ .

طبع قصائده في بغداد .

أما الأدب الكردي المعاصر ، فإنه في مرحلة انطلاق نحو إثبات الذات الكردية ، متبعاً وزا كل الحدود الموضوعة ، ومتعدياً القيد التي تفرض عليه . وهو يمتاز بالواقعية في معالجة القضايا الشعية .

فالشاعر الشاب «مه ثار» هو اليوم أمير شعراء الأكراد ، حيث تستقطب حول شعره الجماهير الكردية ، مغرومة بصدق قصائده ، وحرارة عباراته . وهذه أدباء أكراد آخرون ، منهم «فائق بوجاك» و «م . آ» و «كال بعدنلي» و «كموران بدرخان» وغيرهم .



جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	الصفحة و(السطر)
في الشورون	من الشورون	(٨)٥
فولكلور	فولكور	١٠(٢٢)، ٢٣٠(٤-٣)، ٢٣١(٨-٦)
اورارتور	اوراتو	١٧(٤)، ١٩(٤)
ضحاك	زهاق، زوهاق	٢١(١٠)، ٢١٧(٣)
روجههم	ووجههم	٢٢(١٤)
سنه (ستندج)	سندوج، سناء، سندوج، سناه، سنتات	٢٥(١٩)، ٤٢(١٧، ١٢)، ٤٣(٣)، ١٤٨(١٨، ١٤)، سنتات
١٥٦(١١)،	١٥٢	١٥٠(٧)، ١٥١(٢)، ١٩٧(١٠)، ٢١٤(٢٢-٢١)، ١٩٧(١٠)
جوليرك	جلاميرغ، دجولامرغ	٢٦(١٠)، ١٣٧(١٢)، ١٣٨(١٦، ١٤)
سركي، اوراما	صركراما	٢٧(٣)
(فيزل) اوزن	كيزلوزن	٢٧(١٧)
مازندران	مزندiran	٢٩(٢)
تنگي بالشه	تنجي بيلندا	٣١(٩)
خودا	کريده	٣٩(٨)
بران بردان	بيران بيردان	٣٩(٩)
ساوج بولاق، سابلاغ (مهاباد)	سودج بولاج، سرج بولاك، سالوج بولاك	٤٢(١٧-١٨)، ١٨٠(٢١٤)، ٣-٢(١٠)
باستطاعتتنا	باسطناحتنا	٤٣(٢٠)
ارهني	ارغانی	٤٥(٩)

نماذج	نماذج	(٩٥٢)
لاسماعيل باشا	لابراهيم باشا والي	(١١٦٨)
أمير العمارية (أميدى)	كردستان	
سروال	سروان	(١٨٨٠)
كامران عالي	كاموران، كياموران،	(١٨٨٨)
بدرخان	كمران،	
	كموران علي بدرخان	(١٤٢١٠)
	شقيق الامبراطورة ثريا	(٢٨٨)
قبيلة	شقيق الأمير ثريا	
مها نيركز	مها نيركز	(٥٨٩)
آخر الزعماء الحميديين	آخر الزعماء الأميديين	(١١٨٩)
السرة	الصرة	(١٨٩٧)
بسى، بسى	بصه	(٢)١٠٤، (١٧)١٠٣
شمدينان	شمدانين	(١)١١٦
ترکفر	ترجفر	(١٨)١١٦
أك قويبلو	أك كوبونلو	(٦)١٣٤
الكرمانچ	الكرمندج	(١٤)١٣٥
كلهور	كلحور	(١٥)١٣٥، (١٢)١٤٧
		(٢)١٥٦، (٨)٢١٤، (١١)١٥٧، (١)١٥٨، (٢٠)٢٠٠
مستكردة	متسكردة	(٦)١٣٨
		(١٧، ١٥)١٣٨
	روندوز، رمندوز،	
	رامندوز، راوندوز ، راندوز	(١١) ١٤٢
		(٥)١٥٠، (١)١٦٤، (٦)١٧١، (١٥)١٧٨، (٥)١٧٩
جيبرانلي	جيبرانلي	(٧)١٤٠
اريل، كارتشولان،	ارييل، قلاجوالان،	١٤٢
سرسیر	صرد	

کویستنچ	کوی سندجق،	۱۴۲ (۱۷)
(کویه)		
چچمال	شامتشامل	(۱۴) ۱۴۳
میندواب	میندواب، مینداب	(۱۵) ۱۷۲ (۱۳)
منکور	منفور	(۱۶) ۲۰۱ (۷)
اذربایجان	اذربایجان	(۲۱) ۱۴۶ (۲۱)
النبي الكردي	النبي الفارسي	(۲۰) ۱۴۷
اردبیل	اردبیل	(۲۱) ۱۴۹
كوردستان کورجستان (جیورجیا)		(۲۲) ۱۴۹
جوانزو	دجونزو	(۵) ۱۵۰
مروان، ساقیز	مریوان، سقز	(۶) ۱۵۰
البطل الفارسي	البطل الكردي	(۱۲) ۱۵۰
معتمد عود دولة	معتمد الدولة	(۱۸) ۱۶۱۵ (۱۵)
کزیل ریاط، کزیل الرباط	قرل ریاط	(۲۰، ۱) ۱۵۳
پینجفین	بنلدجفین	(۲۰) ۱۵۳
سیروان	سرفان	(۸، ۴) ۱۵۴
خانقین	خنانقین	(۱۷، ۵) ۱۵۴
قره داغ	کاراداغ	(۵) ۱۵۴
ماهیدشت	ماهیدخت	(۱) ۱۵۶
تاجیک، طاجیک	تدجیک	(۲۱، ۸) ۱۵۶
سنگابی	سندهجابی	(۱۷، ۱۲، ۷) ۱۵۸
پشتکوه	بوتشکوح	(۹) ۱۵۸
سalar الدولة	صلار عود دولة	(۱۱-۱۰) ۱۵۸
شکاک	شقاق	(۱۸) ۱۵۹
محمد باشا	الشيخ محمد بوزنجي	(۲۲) ۱۵۹
الشيخ برذان	شيخ بارزان	(۲) ۱۶۰

الدروس الكردية	الدراسات الكردية	(١٦٤)
دوستك	دوسطاق	(١٦٥)
بني هيار	بني عناز	(١٦٦)
شبانكاره	شبنكرا	(١٦٦)
الهزار أسبين، الحضر سبيون ،	الحضر سبيون ، (نسبة إلى الآتابك هزار أسب ، زعيم الحكومة الفضلوية(اللور الكبير)	(١٧٠)
ديناور	دينور	(١٦٦)
الصفدية، الصفديين الصفرية، الصفوين	الصفدية، الصفديين الصفرية، الصفوين	(٢١)
ملاطية	الملاطية	(٩)
امارة كردية	امارة تركية	(١٦٩)
(١٧٧٩-١٧٥١)	(١٧٦٩-١٧٦٠)	(٣)
فلتشفسكي، فيتشفسكي فيليجيفسكي		(١٧١)
١٨٨٠	١٨٣٠، ١٨٨٥	(٧)
(١٤)، (١٧)، (١٧٨)	(١٧٤)، (٤)، (١٧٢)	(١)
(ثورة الشيخ عبيد الله نوري)		
يزدان شير	يزدان شير	(١٧٢)
الخربيون	الهربيون	(١٧٤)
السليمانية	السليمانية	(١٧٧)
١٧٨٤	١٧٨٦	
الأكراد خلال الحرب	الأتراك خلال الحرب	(١٧٨)
الروسية التركية	الروسية التركية	
بوتان	بوطان	(١٧٨)
بجبان	بجبان	(١٧٨)
		(١٥)
		(١٨٣)
		(١٥)

ثورة بدرخان بك	ثورة بدر الدين	(١٥) ١٧٩
١٨٤٨-١٨٤٢	١٨٤٦-١٨٤٣	خان بك
وان	فان	(٢) ١٨٠
فولكستون	فوكلستون	(٢١) ١٨١
سيفر	سفر	(١٥، ١٠، ٩) ١٨٥
الشيخ محمد	الشيخ محمد	(٨) ١٩٠
١٣ كانون الثاني	٢٢ كانون الثاني	(١٨) ١٩٠
الخانقاه	الخناكته	(١١) ١٩٨
كاك أحد	كاك أمادي	(٢) ٢٠١
الطالباني	التعلباني	(١٨) ٢٠١
آميدى	آماد	(٤) ٢٠٢
أكرا وزبار آكري (عقرة)	أكرا وزبار آكري (عقرة)	(١٤) ٢٠٢
تشلب، چلب،	تشلب، چلب،	(٢٠، ١٥) ٢٠٨، (١٦، ١٤، ٩) ٢٠٧
چلبي	چلبي	
مم	مام	(١) ٢١١
قزلباش	كيزيلباچ	(٢) ٢١٤
بشارچتو	بشارتشيتو	(١٧) ٢٢٨
هڪاري	حڪاري	(٨) ٢٣٥
١٦٥٣-١٥٩٢ (أحدى خانى)		(٤) ٢٣٦
الشاعر «هه ثار»	الشاعر «هه ثار»	(٦) ٢٣٧



منشورات مجلة (ASO) - ١٩٩٣

To: www.al-mostafa.com